علماء ينسبون الى مدن أعجمية

وهم من أرومة عربية

الاستاذ ناجي معروف

عميد كلية الآداب سابقاً

ينسب عدد لا يُحصى من العلمـاء العرب الى مختلف المدن الاعجمية فنقرأ مثـلاً : الأصـفهاني ، والنيسـابوري ، والفيروز ابادي ، والرازي ، والطبرستاني ، والمـارديني ، والابيوردي ، والقزويني ، وغير ذلك . ويظن الكثيرون من الناس ان هؤلاء المنسوبين الى هذه المدن الاعجمية هم من الفرس أو الاتراك ، أو الهنود أو المغول أو غيرهم من الأمم التي دخلت في الاسلام. ويعتقدون انهم أعاجم وليسوا عرباً باعتبار ان العرب لا ينتسبون الى المدن ، أو القرى ، أو المحـالّ ، أو الاماكن المختلفة الأخرى ، ولم يُسمَع ان أحداً من العرب في الجاهلية وصدر الاسلام وعهد الامويين انتمى أو انتسب الى مكة أو المدينـة أو الطائف أو صنعـاء ، أو عـدن ... الخ وانما كانوا ينتسـبون الى قبائلهم ، وعشـائرهم والى افخاذها ، وبطونها . فنسـمع على الدوام : القُرشي، والمخزومي، والزُهري، والسَّهمي،والتيمي،والتميمي، والباهلي ، والأسـدي ... واما الأعاجم فينتسـبون الى المدن ، والقرى ، والاماكن ولا يعتزون كالعرب بانتسـابهم الى الآباء أو القبـائل ، وبطونها ، وأفخاذهـا .

ويبدو بوضوح وجلاء ان اعتزاز العرب بالنسب الى قبائلهم ، وآبائهم ، والدفاع عنه كان شـديداً جداً بحيث أصبح الاعاجم ينتسـبون الى القبـائل العربية بالولاء باعتبـار ان مولى القوم منهم . وقد ذهب البعض منهم الى أن ينتحلوا لهم أنساباً عربية معروفة . وظل الأمر كذلك الى أن خف وتضاءل في الدولة العباسية عندما أصبحت بغداد مدينة أممية كبيرة تضم أناساً من كل الاجناس ، والقوميات ومن مختلف الملل والنحل . وأصبحنا مع الزمن نجـد الكثير من العرب الصرحاء ينتمون مثل الاعاجم الى المدن ، والقرى ، والمحالّ ، والاماكن المختلفة وبخاصة اولئك الذين عاشـوا بين ظهرانـي

المسلمين من غير العرب • وصار المتسبون الى المدن من عرب ، وغير عرب كثيرين جداً • وكان في المتسبين الى بغداد مثلاً « كثرة من كل جنس وفن[1] » كما يقول السمعاني • وصار ينسب اليها من ليس من أهلها لأنهم أقاموا بها زمناً طويلاً • أضف الى ذلك انهم صاروا ينتسبون الى الحرف ، والصناعات المختلفة وصرنا نسمع ونقرأ :

العسّال ، والنخّال ، والخلاّل ، والقوّاس ، والزرّاد ، والفرّاء ، والثلاّج ، والقطّان ، والجصّاص ، والورّاق ، والعطّار ، والأبّار ، والخياط ، والبزاز ، والجزار ، والزجّاج ، والشحّام ، والسرّاج ، والطحّان ، والجمّال ، والصوّاف ، والتمّار ، والوشّاء ، والصفّار •••• الخ •

والجوهري ، والاُشناني ، والخَيْشي ، والزعفراني ، والصابوني ، والصيدلاني ، والرخامي ، والقلانسي ، واللؤلؤي ، والبرذعي ، والدقيقي ، والشمعي ، والمنجنيقي ، والكاغدي ، والرياشي ، والسكري ، والفاكهي ، والحلواني ، والنعالي ، والكبريتي ، والحنّائي ، والآجري •

والطرائفي ، والاكفاني ، والحرابي ، والجلودي ، والقدوري ، والفوطي ، والجواربي ، والانماطي ، والمغازلي ، والستوري ، والمسوحي ، والبزوري ، والطيالسي ، والقواريري ، والغضائري ••• الخ

وأصبح يستوي في هذه النسبة العرب الصرحاء والموالي •

وسادت البلاد الاسلامية بأسرها وحدة دينية وثقافية • وبذلك أصبح التمايز بين العرب وغيرهم من المسلمين أمراً صعباً جداً •

ومع ذلك كله نستطيع أن نقرر ان العلماء العرب الذين ينتسبون الى قبائلهم العربية فى جميع البلاد الاسلامية فى آسية ، وافريقية ، وأوربة ملأوا المدن فى تلك البلاد ، وتوالدوا فيها • وأصبح لأبنائهم وأحفادهم وذراريهم أثر واضح فى تعريب الثقافة فى البلاد الاسلامية •

---

(١) الانساب ٢ : ٢٦٩

واذا علمنا أن عـدد أصحاب الرسول (ص) الذين انتشروا في هـذه البلاد ابان الفتوح الاسلامية ، وحملوا اليها مشاعل العلم كان عددهم نحو اثني عشر ألف صحابي أدركنا عظم التأثير العربي على هذه البلاد ، وتعريب الثقافة فيها • هذا عدا الجيوش العربية الفاتحة من المهاجرين ، والأنصـار ، وما عـدا اولئك الذين انتقلوا من القبـائل والأسر العربيـة الى بلاد المشرق والمغرب من مختلف الاقطـار العربية • وعـدا اولئك الذين ظلت الجزيرة العربية تغذي بهم هذه البلاد طوال العصور •

وكان من نتائج ذلك انتشار اللغة العربية في هذه البلاد ، حتى غدت لغة السياسـة ، والثقافة ، والتخاطب كما كانت لغة العلمـاء ، والباحثـين بأسـاليبها البليغـة ، ومؤلفاتها التي لا تعـد ولا تحصى • ويمكننا أن نلحظ استمرار ذلك الى نهاية الدولة العباسية وحتى الى ما بعدها كما نلحظ ان من العلماء المسـلمين مَنْ كانوا أئمة في اللغـة العربية ، وحُججاً في علومها المختلفـة •

واذا كان الأمر كما قررناه فما الاسباب التي جعلت هذه البلاد تنزع نزعة غير عربية في بعض العصور ، ويحل محل اللغة العربيـة لغات قومية محلية قضى عليها الاسلام ؟ لاشك في أن موجة المغول كان لها أعظمُ الأثر في ذلك ، فقد محا المغول ـ منذ قيامهم في عهد جنكيزخان الى احتلال هولاكو لبغداد ـ أكثر بلدان المشرق وأقطاره محواً تاماً وأزالوا مدناً لم تقم لها بعد ذلك قائمة • وقتلوا علماءها وأهلها ، ولم ينج منها الا أفراد قلائل •

وتعاقب على الحكم بعد المغول أمم لا تمت الى الثقافة العربيـة ولا الى النسب العربي بصلة • وكان أثرهم كبيراً في طمس معالم الحضارة العربية • وفي تأخير التقدم البشري الذي كان مزدهراً بفضل العرب وحضارتهم •

وسنحاول أن نذكر نماذج من أمثلة كثيرة وجدناها متناثرة في أمهات الكتب العربية نثبت أن كثيراً من العلماء ، ومشاهير الرجال الذين ينتسبون

الى الاشخاص رجالا ونساء ، أو الى المدن الاعجمية ، أو الى أسماء يتوهم أنها أعجمية ، أو الى الحرف والصناعات ، أو المذاهب والطوائف أو الى الاماكن كالمحال ، والدروب انما هم من أرومة عربية كما قلنا في صدر هذا الحديث .

فمن النسب الى الاسماء التي يتوهم انها غير عربية

البُرَيْدي : لمن ينتسب الى بُريدة[2] وهو أبو سهل الخصيب الأسلمي دفين مرو وصاحب رسول الله (ص) وهو من قبيلة أسلم العربية .

والبُسْري[3] نسبة الى بُسْر بن أرطاة القرشي من قريش .

والبِشْري[4] نسبة الى بشر بن يزيد الأموي من نسل بشر بن مروان

والبَطّالي[5] نزيل المَصِّيصه نسبة الى البَطّال من صعدة اليمن .

والبكالي[6] نسبة الى بني بكال وهم بطن من حِمْيَر

والبِجادي[7] نسبة الى بِجاد وهو من ولد سعد بن أبي وقاص الزهري الفقيه الشافعي البجادي المعروف بابن حمامة .

والبَكِيلِي : نسبة الى بكيل ، بطن من هَمْدان[8]

والبَلَوي نسبة الى بَلَي وهي قبيلة من قضاعة[9]

والبُهْثِي نسبة الى بُهثة بطن من قيس عيلان وهو الذى ينسب اليه بنو سُليم[10]

---

(٢) السمعاني ٢ : ١٩٢ وياقوت ٢ : ١٤١

(٣) « ٢ : ٢٢٦

(٤) « ٢ : ٢٤٨

(٥) « ٢ : ٢٥٦

(٦) « ٢ : ٢٨٩

(٧) « ٢ : ٨٣

(٨) « ٢ : ٢٩٩

(٩) « ٢ : ٣٢٣

(١٠) « ٢ : ٣٧٢

والبَهْدَلي نسبة الى بهدلة وهي قبيلة نزل أكثرهم البصرة[11]
والبَهْدِي نسبة الى بهد بطن من بني سعد بن الحارث بن ثعلبة[12]
والبهرائي نسبة الى بهراء قبيلة من قضاعة[13]

وابن المارستانية [14] عبيدالله التيمي من تَيْم التى ينتسب اليها أبو بكر الصديق (ر)

والبِصاري [15] نسبة الى بِصار بطن من أشجع
والزاكاني نسبة الى زاكان وهى قبيلة عربية سكنت قزوين .
وهكذا فان جميع من ينتسبون الى هذه الاسماء انما هم عرب صرحاء لاشك فى عروبتهم .

ويذكر المؤرخون أيضاً كثيراً من كبار العلماء الذين ينتسبون الى مدن أعجمية غير أنهم ينحدرون من سلالات عربية ومن أشهرهم :

أبو الفرج الاصفهاني صاحب كتاب الأغاني الشهير وهو من سلالة الأمويين .

وبديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات المعروفة وهو كما يقول عن نفسه : مضري المحتد ، تغلبي المورد .

ومجدالدين أبو طاهر الفيروزأبادي المعيد بالنظامية ، وصاحب القاموس المحيط . وفخرالدين الرازي نسبة الى بلاد الري : وهما قرشيان من تَيْم من نسل أبي بكر الصديق (رض)

وموفق الدين الاصفهاني داود بن معمر السنجاري[16] وهو قرشي

---

(١١) السمعاني ٢ : ٣٧٢
(١٤) ابن العبرى ص ٤١٥
(١٥) السمعاني ج ٢ ص ٢٥٢
(١٦) ابن الفوطى ج ٥ ص (٨٥١) الترجمة ١٩٤٦

ينتهي نسبه الى عبدشمس بن عبدمناف بن قُصَي أحد أجداد الرسول (ص) .
والطبرستاني ، والسورائي الأول نسبة الى طبرستان والثاني الى سورا احدى المدن العراقية . وهما من نسل الامام علي بن أبي طالب (رض) والسورائي أيضاً عماد الدين محمد ينسب الى بني شيبان
والدَّهلي[17] الخوزستاني معين الدين أبو الفتح حسيني علوي من ذرية عمر الأشرف بن علي زين العابدين .

والشَّبَذي[18] وهو محيي الدين الخالدي المخزومي من نسل خالد بن الوليد (ر) نسبة الى شبذ وهي قرية من قرى ابيَورْد

ومحب الدين الكَرَجي وينسب الى مدينة الكَرَج التي أنشأها أبو دلف العجلي .

ومجد الدين الهمذاني[19] وعبد اللطيف الهمذاني وهما من نسل أمين الأمة أبي عبيدة بن الجراح (ر) .

وابن الصفار الماردينى وهو نُمَيْري .
وأبو اسحق الفيروزابادي وهو من أولاد البراء بن عازب الخزرجي .
وابن علَّجَة الاصفهاني وهو قرشي ينتهي نسبه الى لؤي بن غالب .
وابن الكُنَيِّن الحَصْكَفي أو ابن الكنين كمال العرب وقد فَوَّض اليه رشيدُ الدين الوزير أمر التدريس بقبة السلطان غازان : بتبريز . وكان يدعي ان أصل نسبه عباسي في زمن كانت السيادة فيه للمغول .

ومؤيد الدين القُمِّي[20] نسبة الى مدينة قُم وهو من نسل المقداد ابن الأسود الكندي .

(*) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ٨٣١ .
(١٧) نسبة الى دهلي بالهند . ويقال الدهلوي ايضا .
(١٨) ابن الفوطي . ج ٥ ص ٣٣٦
(١٩) ابن الفوطي ج ٥ ص ١٦٠ الترجمة ٣١٥
(٢٠) الفخري ص ٢٨٩ وتلخيص مجمع الآداب ج ٥ ص ٧٥٤ الترجمة ١٦٨

والفقيه أحمد الدماوندي من أهل دماوند بين بلاد الري وطبرستان .

ومحمود بن قاضي خاصة البخاري الامام فخر الاسلام .

وكلاهما : من أولاد قاضي القضاة الامام أبي يوسف الانصاري الشهير .

والعلامة سيف الدين الآمدي علي بن أبي علي بن محمد بن سالم بن محمد الشافعي كان عربياً من بني تغلب . وقد وصفه ابن خلكان بأنه كان « أعجوبة الدهر وامام العصر ... من أكبر جهابذة الاسلام »[٢١] .

وابن فورك الايذجي[٢٢] من ولد المهدي بن المنصور عماد الدين المعروف بالكموني القزويني[٢٣] : وهو عربي أنصاري له نسب متصل بخادم رسول الله (ص) أنس بن مالك .

وشمس الدين الاتراري الأصل أبو هاشم الهاشمي الكوفي من ولد ربيعة ابن عبدالمطلب وهو أحد شيوخ دار الحديث المستنصرية[٢٤]

والسنخواني وهو عربي من أولاد الحسن بن سفيان الشيباني المتوفى سنة ٤٧٢ هـ[٢٥] واسمه أحمد بن محمد بن عثمان أبو عمر السنخواني نسبة الى سنخوان قرية من قرى نسا

والعتبي النيسابوري المتوفى سنة ٤٩٤ هـ[٢٦] وهو أسعد بن مسعود العتبي نسبة الى الصحابي عتبة بن غزوان مؤسس البصرة

والابيوردي الشاعر ، والبلالي العالم نسبة الى بلدة ابيورد وهما من الأمويين .

---

(٢١) الوافي للصفوي ج ١٢ الورقة ١٢٤

(٢٢) ياقوت ١ : ٢٨٨ (ط . صادر)

(٢٣) ابن الفوطي ٤ : ٧٢٥

(٢٤) تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٣٦٣

(٢٥) المنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٣٢٤

(٢٦) المنتظم لابن الجوزي ج ٩ ص ١٢٥

والسمعاني المروزي مؤلف كتاب الانساب من بني تميم نسبة الى سمعان أحد بطونها[٢٧] •

وأبو أحمد القاسم بن المظفر الشهرزوري شيباني الأصل[٢٨]

والصغاني اللغوي الأديب حامل لواء اللغة العربية في زمانه ، ورسول المستنصر الى ملك الهند ينتمي الى بني عدي ، من ذرية عمر بن الخطاب (ر)

وعماد الدين المَرندي وابنه ذو الفقار من أساتذة المستنصرية وهما قرشيان من سلالة الحسن بن علي بن أبي طالب (ر) • وكان مولد المرندي في أذربيجان •

وابن الفُوَطي مؤرخ العراق كمال‌الدين عبدالرزاق خازن دار الكتب المستنصرية وهو مروزي الأصل ولكنه شيباني ينحدر من أصلاب معن بن زائدة الشيباني •

وعلاء الدين ابن القلانسي الشافعي وهو دمشقي من بني تميم ينسب الى عمل القلانس [٢٩] أو بيعها •

ومثل ذلك يقال عن :

الترمذي عيسى بن سورة بن موسى الضحاك السُلمي المتوفى سنة ٢٧٩ هـ وهو صاحب الجامع الصحيح في الحديث[٣٠] وهو من بني سُليم •

وصدرالدين النيسابوري وهو أبو علي القرشي التيمي من سلالة أبي بكر الصديق(ر) وهو صوفي توفى بدمشق سنة ٦٥٦ هـ [٣١]

وجلال‌الدين القزويني قاضي القضاة ينتسب الى أبي دُلف العجلي[٣٢]

---

(٢٧) اللباب ج ١ ص ٩ والانساب للسمعاني

(٢٨) اللباب ج ١ ص ١٠

(٢٩) الوافي ١٢ الورقة ١٨٩

(٣٠) هدية العارفين ج ٢ ص ١٩

والأعذوني : حاشد بن عبدالله نسبة الى أغذون • من قرى بخارى • وكان يزعم انه من ولد الاحنف بن قيس[٣٣].

وذكر السمعاني (ج١ ص٧٨) الآغَزُني نسبــة الى آغَزْون وهي قرية من قرى بخارى منها أبو عبدالله عبدالواحد ••• بن مرة بن الاحنف بن قيس التميمي الآغَزُوني ••

وأبو محمد الدُورَيستي عبدالله بن جعفر بن محمد بن موسى بن جعفر نسبة الى دورَيسْت من قرى الري وكان يزعم انه من ولد حذيفة بن اليمان صاحب رســـول‌الله ووالي العراق أيام عمر بن الخطــاب[٣٤] وكانت وفاته ســنة ٦٠٠ هـ •

والزرنجري البخاري الامام في‌مذهب أبي حنيفة والمعروف بأبي‌حنيفة الاصغر عربي من الانصار • وهو أبو الفضل بكر بن محمد ••• بن حفص بن جابر بن عبدالله الخزرجي الانصــاري وهو ينتسب الى زرنجر احــدى قرى بخارى[٣٥]

وعزالدين الخالدي التبريزي من نسل خالد بن الوليد (ر)[٣٦]

والشــيخ عبدالقــادر الجيلاني الذي يعتبر هو وذريته من كبار علمــاء الحنابلة ببغداد ينتهون في نسبهم الى الامام علي بن أبي طالب (ر) •

وعماد الدين أبو المعالي عمر بن عمر القزويني المعدل عربي هاشمي كان شيخ رباط الدرجة ببغداد[٣٧]

---

(٣١) الوافي ج ١١ص الورقة ٣١
(٣٢) الوافي ج ٣ص ٢٤٣
(٣٣) ياقوت ح ١ ص ٢٢٤
(٣٤) ياقوت ج ٢ ص ٤٨٤
(٣٥) ياقوت ج ٣ ص ١٣٨ • التلخيص ٧٩٤ـ٧٩٥
(٣٦) ابن الفوطي ج ٥ ص ٢٥٠ـ٢٥١ الترجمة ٥٢١
(٣٧) التلخيص ٤ : ٧٩٩

والحاكم النيسابوري الحافظ المعروف بابن البيّع امام الحديث عربي من بني ضبّة ولذلك يقال له الضبّي[38]

وجلال الدين البخاري وبنوه وذريته عرب حسينيون من ذؤابة هاشم في الهند[39]

وابن الصائغ الفيلسوف الشاعر الاندلسي السرقسطي هو ابن باجة العربي التجيبي[40]

وابن خزيمة النيسابوري أبو بكر محمد بن اسحق السُلمي عربي من بني سُلم[41]

وابن عربشاه الدمشقي الشيخ شهاب الدين عربي من الانصار[42]

وغياث الدين أبو محمد عبدالمؤمن السمرقندي ثم البلخي ملك أرّان كان يدعي انه من أولاد أبي أيوب الانصاري[43] .

وأبو عبدالله بن أبي أحمد الاصبهاني : هو محمد بن معمر بن عبدالواحد بن رجاء بن الفاخر عربي من قريش توفى بشيراز سنة ٦٠٣ هـ وكان ذا مكانة رفيعة ، وجلالة في النفوس[44]

وأبو النعيم التبريزي الشافعي بشير بن حامد عربي من ولد جعفر بن أبي طالب نشأ بتبريز وتوفى بمكة سنة ٦٤٦ هـ وكان معيداً بالنظامية[45]

---

(٣٨) التاج المكلل ص ١١٣
(٣٩) التاج المكلل ص ٢٩٣
(٤٠) التاج المكلل ص ٢٩٥
(٤١) التاج المكلل ص ٢٩٧
(٤٢) التاج المكلل ص ٣٢٦
(٤٣) التلخيص ٤ : ١١٩٦
(٤٤) مختصر ابن الدبيثي ج ١ ص ١٤٧
(٤٥) مختصر ابن الدبيثي ج ١ ص ٢٦٣

وشمس الدين الحيالي محمد بن شرشيق : أحد العلماء الذين سمعوا على ابن مزروع البصري المضري ينتسب الى حيال بلدة من أعمال سنجار وهو عربي ينتهي نسبه الى الشيخ عبدالقادر الكيلاني[٤٦] .

وعزالدين الزرندي نسبة الى زَرَنْد احدى مدن كرمان : جارالله وجار رسول‌الله (ص) عربي خزرجي من الانصار[٤٧]

وأبو علي الزاهد النيسابوري ثقفي من ولد الحجاج بن يوسف الثقفي[٤٨]

والاصبهاني الكاتب[٤٩] محمد بن فتح المتوفى سنة ٥٥٢ هـ كان ثقفياً أي من بني ثقيف . وكان يعرف بالمؤيد .

وعضد الدين الخُجُنْدي ينتسب الى خُجُندة على شاطيء سيحون . ويتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة[٥٠] الازدي الفاتح الشهير .

والقُهِستاني يتصل نسبه بالأشتر النخعي[٥١]

وعزالدين النيسابوري الملك صاحب البصرة المتوفى سنة ٦٧٢ هـ ، له نسب فى آل الاشتر النخعى أيضاً[٥٢] .

والخطيب التبريزي : أبو زكريا يحى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ المعروف بالخطيب نزيل بغداد . وكان يدرس بالنظامية[٥٣]

---

(٤٦) الوافي بالوفيات للصفوي ٣ : ١٤٩
(٤٧) منتخب المختار ص ٢٣٥_٢٣٧ والتلخيص ٤ : ٣٨٩
(٤٨) الوافي ج ٤ ص ٧٥
(٤٩) الوافي ج ٤ ص ٣١٥ [راجع ياقوت ٤ : ٣١٥]
(٥٠) الخطيب ج ٩ ص ١٣٧ وابن الفوطي ج ٤ ص ٤٣٩
(٥١) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ٤٥٨
(٥٢) تلخيص ٤ : ٢٠٨
(٥٣) هدية العارفين ٢ : ٥١٩

والأقسرائي : جمال الدين الرومي الشافعي من أحفاد فخرالدين الرازي البكري الصديقي المتوفى سنة ٧٧١ أو ٧٩١ (٥٤)

وجلال الهندي الدهلوي محمدبن‌محمود من ذرية عثمان بن عفان(٥٥) وكانت وفاته سنة ٧٦٥ هـ •

وآق شمس‌الدين الرومي من ذرية شهاب‌الدين السهروردي البكري الصديقي المتوفى سنة ٨١٣ (٥٦)

والتهانوي الهندي محمد بن علي الفاروقي صاحب كشاف اصطلاحات الفنون المتوفى سنة ١١٥٨ هـ

واللاهوري علم‌الله بن عبد الرشيد النقشبندي وهو عباسي توفى سنة ١١٦٨ هـ (٥٧)

العربي مالك بن الاشتر النخعي(٥٨)

والاكراد الهكارية أمويون قرشيون •

العربي مالك الاشتر النخعي(٥٨) والاكراد الهكارية أمويون قرشيون •

والامام أحمد بن حنبل المروزي الأصل عربي شيباني ينتهي نسبه الى معد بن عدنان(٥٩)

وابن راهويه المروزي : المتوفى بنيسابوري سنة ٢٣٨ هـ أبو يعقوب اسحق بن أبي الحسن عربي ينتهي نسبه الى زيد

ومناة بن تميم بن‌مرة الحنظلي وكان أحد أئمة الاسلام

---

(٥٤) هدية العارفين ٢ : ١٦٥ـ١٦٦

(٥٤) « « ٢ : ١٦٥ـ١٦٦

(٥٥) « « ٢ :

(٥٦) « « ٢ : ٢٠٢

(٥٧) « « ١ : ٦٦٧

(٥٨) تلخيص مجمع الآداب ج ٤ ص ٨١٢

(٥٩) التاج المكلل ص ٢٤

وأبو سليمان البستي المتوفى بمدينة بست سنة ٣٨٨ من ذرية زيد بن الخطاب ولذلك قيل له الخطابي أيضاً(٦٠)

وابن ماكولا : أصله من جرباذقان من نواحي أصبهان ، المقتول سنة ٤٢١ هـ عالم عربي ينتسب الى الأمير أبي دلف العجلي(٦١)

ومثل ذلك يقال عن جمال الدين الافغاني ، والشيخ محمود الحفيد وأبنائه في السليمانية في العراق والسادة البرزنجية ، وعن أشخاص وأسر كثيرة في شمال العراق ، والبلاد الاسلامية الأخرى ممن يفاخر بالنسب العربي ويعتز به • ويشاركهم في هذا الشعور العلماء الذين عاشوا هم وأسلافهم أجيالاً عديدة في البلاد العربية أو الاسلامية ولم يكونوا يعرفون لهم ثقافة غير الثقافة العربية ، ولا أدباً غير الأدب العربي ، ولا لغة غير اللغة العربية ، يعتزون بالاسلام وأهله ، ويفضلون العرب على العجم • ويرون أن من يفضل العجم على العرب فيه عرق من المجوسية ينزغ اليه كما يقول الصاحب اسماعيل بن عباد يرد على الشعوبي الذي حاول أن يفضل العجم على العرب بحضرته •

على أن هناك عدداً من العلماء الذين لم تذكر أنسابهم يحتمل أن تكون أصولهم عربية غير أن المؤرخين فيما يظهر أغفلوها ولم يذكروها • وانما عُني المؤرخون بوجه عام بذكر نسب العلماء اذا كانوا هاشميين ، أو من العلويين ، أو من القرشيين • أو المعروفين المشهورين جداً •

ولئن أغفل المؤرخون ذكر أصلهم العربي فانهم لم يَنُصُّوا على خلاف هذا النسب العربي الا قليلاً • ومع ذلك كله فان بين اولئك العلماء الذين لم ينسبهم المؤرخون الى قبائلهم كما جرت العادة فى نسبة العرب عدداً كبيراً ممن نسبوهم الى الاقاليم ، أو المدن ، أو الحرف أو المذاهب ، أو المحلات ،

---

(٦٠) التاج المكلل ص ٤٣

(٦١) التاج المكلل ص ٨٣

أو غيرها كالرازي ، والفوَطي ، والعاقولي ، والجوزي ، والعتَّابي • وهم في كثير من الأحيان عرب في دمهم ، وثقافتهم ، وتأريخهم ، ودينهم • واذا لم يكونوا عرباً في أصلهم فقد اعتبروا عرباً في مرباهم وبيئتهم ، وثقافتهم وميولهم ، وعواطفهم ، وولائهم للعرب • ولا نجد بينهم من يجهل العربية بل نراهم يجيدونها ، ويحذقونها باعتبارها لغة العلم ، والدين ، والسياسة والأدب ، والتخاطب •

والحق أننا ذكرنا العلماء الذين انتسبوا الى مدن أعجمية بناها العرب والمسلمون ، أو الذين انتسبوا الى المدن التي سكنها العرب ، أو التي أسلم أهلها • ولم نذكر تلك الأعداد الهائلة من العلماء العرب ، ومشاهير رجالهم الذين انتسبوا الى قبائلهم ، أو آبائهم ، وعاشوا هم وذراريهم فى تلك المدن ، أجيالاً طويلة ، بل اندمجوا في أهلها مع الزمن • والذي يقضي العجب أن الكتب التأريخية والجغرافية ، وكتب التراجم ، والأنساب ، وكتب الطبقات تزخر بمثل هذه النسب للرجال ، والنساء من كل قبيلة عربية ، ومن كل بطن ، وفخذ ، فنقرأ : السُّلَمي ، والسَّهْمِي ، والشيباني ، والتميمي والعَدوي ، والضَّبِّي ، والأسدي ، والزُّهْرِي ، والقُرَشي ، والأنصاري ، والجُمَحِي ، والقُضاعِي ، والبَجَلي ، والأزدي ، والهاشمي ، والتيمي ، وبني العنبر وغيرهم ، من الذين ظلوا ينتسبون على عادة العرب الى قبائلهم ، ولم ينتسبوا الى المدن ، أو الذين لم ينتسبوا لا الى المدن ، ولا الى القبائل ، بل انتسبوا الى حِرفة ، أو صِناعة ، أو مذهب ، أو عقيدة ، أو علم ، أو أب ، أو أم ••• الخ •

ولم نذكر في هذا البحث : الأعاجم المنسوبين الى القبائل العربية بالولاء لكثرتهم • كما اننا أهملنا المنسوبين بالولاء من العرب ، لصعوبة التفريق بين المنسوبين بالولاء من العرب ، وبين غير العرب ، ولأنهم خلق يطول

ذكرهم • وسنذكر فيما يأتي أمثلة أخرى من العلمـاء العرب الذين انتسبوا الى مدن أعجمية أيضاً فمنهم :

البالوجي[٦٢]نسبة الىقرية منقرى سَرَخْس يقال لها : بالوجوزجان على صوب هراة منها : أبو الحجاج خارجة بن مُصْعَب بن خارجة الضَّبِّي البالوجي • وقد شهد أبوه صِفِّين مع الامام علي (رض) •

والبالوزي[٦٣]النَّسَوي نسبة الى قرية بالوز وهي قرية من قرى نَسا منها : أبو العباس الحسـن بن سفيان بن عامر بن عبدالعزيز بن النعمـان بن عطاء الشيباني البالوزي النَّسوي ، محدث خراسان المتوفى سنة ٣٠٣ هـ •

والبالَـوي[٦٤]: أبو سعيد عبدالرحمن بن أحمد بن حامد بن محمود بن محمد بن عبدالرحمن بن سـعد بن أبي وقاص الزُهري النيسـابوري المتوفى سنة ٣٧٤ هـ وكان يتولى المظالم •

وضياء الدين الغرناطي[٦٥] أبوالحسن علي بن يوسف الصوفي الشاعر من أهل غرناطة ينتسب الى سعد بن عبادة • توفي سنة ٦٨٦ هـ

والديوسي[٦٦] نسبة الى ديوسـه بين سـمرقند وبخارى وهو علي بن المظفر بن حمزة ينتهي الى الحسـن بن علي • وكان من أئمة الشافعية ، قدم بغـداد ودرَّس بالنظامية الى أن توفي سنـة ٤٨٢ هـ • واليه انتهت رئاسـة الشافعيـة •

---

(٦٢) الانساب ج ٢ ص ٥٩
(٦٣) الانساب ح ٢ ص ٦٠
(٦٤) الانساب ج ٢ ص ٦٣
(٦٥) الوافي ج ١٢ الورقة ١٩٣
(٦٦) الوافي ج ١٢ الورقة ٢٠٣

البانَبِي[٦٧] : نسبة الى بانَب احدى قرى بخارى ، منها : أبو سفيان وكَيع بن أحمد بن المنذر الهمْداني البانَبِي من قبيلة همْدان اليمانية • وأبو يوسف يعقوب بن يوسف بن قَطَن بن الجُنَيد بن ابراهيم بن مجدود الانصاري البانبي •

الباني[٦٨]: نسبة الى قرية يقال لها : بان بنواحي نيسابور منها : موسى بن عبدالملك القُرشي الباني •

ابن شاذان[٦٩] البَجَلي الرازي : أبومسعود أحمد بن محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن أبي عمر بن شاذان البَجَلي الرازي • تُوفي بما وراء النهر في حدود خمسين وأربعمئة • وهو منتسب الى بَجِيلة حي من سُلَيم • ينتمي اليها الامام أبو يوسف الانصاري البَجَلي صاحب أبي حنيفة •

والمتنكب البَجْلِي[٧٠]شاعر فارس نسبة الى بَجْلَة وهم رَهْط من سُلَيم بن منصور نسبوا الى امهم بَجْلَة بنت هناءة بن مالك بن فهم الأزدي •

البُجَيْري[٧١]السُغدي أوالصغدي • نسبة الى بُجَيْر • والمشهور منهم : أبو حفص عمر بن محمد بن بُجَير بن خازم بن راشد الهمداني الخشوفغني السُغدي المتوفى سنة ٣١١ هـ وهو صاحب «كتاب الجامع الصحيح» من قرية خشوفغن •

---

(٦٧) الانساب ج ٢ ص ٦٦
(٦٨) الانساب ج ٢ ص ٦٨
(٦٩) الانساب ج ٢ ص ٩٢
(٧٠) الانساب ج ٢ ص ٩٥ ـ ٩٦
(٧١) الانساب ج ٢ ص ٩٦

الا بْهَـري[٧٢] نسبة الى أبْهَـر وهي بلدة بالقرب من زنجان خرج منها جماعة كثيرة من الفقهاء المالكية ، والمحدثين ، والصوفية ، والأدباء منهم الامام أبو بكر محمد بن عبدالله ينتهي نسبه الى زيد مناة بن تميم المتوفى سنة ٣٧٥ هـ بغداد •

والأدرعي والأدرعيون • هذه النسبة لجماعة من العلويين ينسبون الى الادرع وهو لقب لأحد العلويين منهم نقيب خُجَنْدة المعروف بالشعراني • وجماعة بمرو [٧٣] •

أبو محمد القاسم بن أسلم الاسلمي النيسابوري[٧٤] الاسواري من قبيلة أسلم • جاء في اللباب ان هذه النسبة تكون أيضاً الى بطن من تميم يقال لهم الاساورة • وكانت وفاته بنيسابور سنة ٣٢٢ هـ •

الاسنائي أو الأسنوي وهو المشهور : نسبة الى اِسنا بكسر الهمزة وقد تفتح وهي مدينة بصعيد مصر منها : جمال الدين عبدالرحيم بن الحسين الأموي الاسنوي صاحب التصانيف في الفقه والأصول[٧٥] والقاضي الاكرم ابن القفطي[٧٦] ولد بقفط من الصعيد الاعلى بمصر وهو علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبدالواحد بن موسى ينتهي نسبه الى بكر بن وائل وهو وزير حلب جمال الدين أبو الحسن أحد الكتاب المشهورين • وكان أبوه القاضي الاشرف كاتباً وأمه امرأة بادية من العرب من قضاعة • توفى سنة ٦٤٦ هـ •

أبوالفرج[٧٧] المظفر التميمي الجُرجاني من بني تميم سمع منه اِمام مسجد الصاغة بمرو •

---

(٧٢) الانساب ج ١ ص ١٠٣
(٧٣) الانساب ج ١ ص ١٣٩
(٧٤) الانساب ج ١ ص ٢٤٨
(٧٥) حاشية (٢) من الانساب ج ١ ص ٢٤٧
(٧٦) الوافي ج ١٢ الورقة ٢٣٢
(٧٧) الانساب للسمعاني ج ٢ ص ١٢٢

البُرْزِي الكِندي[78] من قرية بُرْز احـدى قرى مرو • وهو اسحاق بن أنيس بن منصور بن عبدالله الكِندي البُرْزِي •

ابن قطبة القيسي النيسابوري[79] سكن أولاده محلة باب عزرة بنيسابور وهم ينسبون أيضاً الى أحد أجدادهم بَرُويْه منهم : محمد بن بَرُويه جد البَرُويين توفى سنة ٢٩١ هـ •

ابن المُطَهَّر البُزاني[80] نسبة الى بُزان قرية من أصبهان • وهو تميمي • ويقال له العميد أبو مضر • وأبوه أبو الفرج عبدالوهاب بن محمد بن عبدالله الاصبهاني البُزاني • ومن أحفاد عبدالوهاب المذكور الذين رووا عنه للسمعاني : سِتُّ العراق ، وعين الشمس بأصبهان • وقد سمع السمعاني من سِتّ العـراق •

أبو حاتم البُسْتي[81] نسبة الى بُسْت بلدة من بلاد كابل بين هراة وغزنة • وهو محمد بن حِبّان بن أحمد بن حِبان التميمي البُسْتي امام عصره • ذكره الحاكم أبو عبدالله فقال : كان من أوعية العلم في اللغة ، والفقه ، والحديث ، والوعظ • وكان من عقلاء الرجال • ولي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن الفارسية وكانت الرحلة بخراسان الى مصنفاته • وتوفى سنة ٣٥٤ هـ •

وبُشْت[82]: ناحية بنيسابور كثيرة الخير • وقيل بُشْت : عرب خراسان ، لكثرة أدبائها ، وفضلائها •

وابن فنجويه الثقفي[83] الدِّيْنَوَري أبو عبدالله الحسين بن محمد بن الحسين بن عبدالله ثقفي الأصل •

---

(٧٨) الانساب للسمعاني ج ٢ ص ١٦١
(٧٩) » » ج ٢ ص ١٩٠
(٨٠) » » ج ٢ ص ٢٠٠
(٨١) » » ج ٢ ص ٢٢٥
(٨٢) » » ج ٢ ص ٢٤٣
(٨٣) » » ج ٢ ص ٢٤٤

البُشْكلاري[٨٤] نسبة الى بُشكلار من قرى جِيان بالأندلس منها : عبدالله بن محمد بن سعيد الأموي المعروف بالبُشْكلاري المتوفى سنة ٤٦١ هـ

البَكِبوني[٨٥] وهو أبو زكريا يحيى بن جعفـر بن أعْيَن الازدي البيكندي البكِبُوني .

أحمد بن حاتم[٨٦] بن عبدالحميـد بن عبدالملك البكري من أولاد بكر بن وائل يعد من أهل سـمرقند والمنتسب الى بكر بن وائل[٨٧] أبو محمـد عبدالله بن بشير ..... بن أسـد بن ربيعة بن نزار الطالقاني وهو بكري سكن نيسابور ومات بها سنة ٢٧٥ هـ .

وأبو الحسـن الرهني : المنسوب الى رهنـة احدى قرى كرمان وهو محمد بن بحر عربي شيباني معروف بالفضل والفقه[٨٨] .

وأبوالقاسم الواعظ من أهل هراة وهو علي بن يعلى ينتهي نسبه الى عمر بن الخطاب . وكان من مشاهير خراسان في الوعظ والتذكرة . وكان يجهر بالتسـنن ويقول : أنا علوي بلخي ما أنا علوي كرخي . توفي بمرو الروذ سنة ٥٢٧ هـ[٨٩] .

والفقيه الأصولي الصوفي سلمان أبوالقاسم النيسابوري المتوفى ٥١٢ هـ وهو صاحب امام الحرمين كان عربياً من الانصار . وكان من كبار المصنفين في الأصول[٩٠] .

---

(٨٤) الانساب للسمعاني ج٢ ص ٢٥٠ راجع معجم البلدان
(٨٥) » » ج ٢ ص ٢٩١
(٨٦) » » ج ٢ ص ٢٩٦
(٨٧) » » ج ٢ ص ٢٩٧
(٨٨) » » ج ١ الورقة ٢٠١
(٨٩) الوافي للصفدي ج ١٢ الورقة ٢٣١
(٩٠) » » ج ١٣ الورقة ١٠٧

وسلمة بن شبيب أبو عبدالرحمن النيسابوري المسمعي وكان أحد الأئمة الرحالين بدمشق • سمع باليمن والعراق والحجاز وخراسان • وروى عنه أحمد بن حنبل ، ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه • وزار مصر ومات بمكة سنة ٥٤٦ هـ (٩١) •

والسندي بن عبدويه الرازي أبو الهيثم • وهو كندي كان قاضي قزوين وهمدان واسمه سهيل بن عبدالرحمن (٩٢) •

وابن دفتر خوان الطوسي : هو علي بن محمد بن الرضا •••• الشريف أبو الحسن الحسين الموسوي الأديب الشاعر المتوفى بحماه سنة ٦٥٥ هـ وقد امتدح المستنصر بالله وغيره (٩٣) •

عزالدين أبو الحسن الاصفهاني : وهو علي بن المرتضى بن محمد محمد العلوي الحنفي وهو بغدادي حسني النسب يعرف بالأمير السيد المدرس بجامع السلطان • وكان والده من اصفهان في خدمة الخاتون فاطمة بنت ملكشاه السلجوقي (٩٤)

وبلخ كما يقول أبو سعد السمعاني(٩٥): خرج منها عالم لا يحصى من العلماء ، والائمة ، والمحدثين ، والصلحاء قديماً وحديثاً منهم : ابراهيم بن بشير بن فرقد الحنظلي التميمي البُرْجُمي من أئمة بلخ وعلمائها توفي سنة ٢١٤ هـ •

البَلْعَمي(٩٦) نسبة الى بَلْعَم بلد من ديار الروم • وبهذه النسبة ينسب الوزير أبو الفضل محمد بن عبدالله بن زيد مناة بن تميم البَلْعَمي التميمي وزير اسماعيل أمير خراسان • وكان أحد أجداده رجاء بن مَعْبِد

---

(٩١) الوافدي للصفدي ج ١٣ الورقة ١٠٩
(٩٢) « « ج ١٣ الورقة ١٧٥
(٩٣) « « ج ١٢ الورقة ١٦٩
(٩٤) مجمع الآداب ج ٤ ص ٢٦٦
(٩٥) الانساب للسمعاني ج ٢ ص ٣٠٤
(٩٦) « « ج ٢ ص ٣١٣

استولى على بَلْعَم عندما دخلها مسلمة بن عبدالملك • وأقام بها • وكثر نسله فيها ، فنسب ولده اليها • وفي رواية كان جده بهار بن خالد بن مغيث بن الحارث ••••• بن زيد مناة من فرسان تميم • قدم مرو في جيش قُتيبة بن مسلم الباهلي ونزل أسفل قرية بلاشجرد في موضع يقال له : بلعمان فنسب البَلْعَمي اليه •

البَلَنْسِي (٩٧) نسبة الى بَلَنْسِية مدينة بشرق الاندلس منها أبو الحسن ••• بن سعد الأنصاري البَلَنْسِي وصل في البحر الى الصين • وكان حريصاً على طلب الحديث •

البِهامِذي(٩٨) نسبة الى « بهآمذ » وهو لقب بعض أجداد أبي الفضل محمد منصور الحنفي • من بني حنيفة وهو من أهل شيراز •

ابن البَيِّع(٩٩) وهو الحاكم أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدَوَيْه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري من أهل نيسابور المتوفى سنة ٤٠٥ هـ •

ان كثيراً من اولئك العلماء الذين انتسبوا الى مدن عربية أو اسلامية انما يرجعون الى أصول عربية • وسنذكر بعضهم في هذا البحث على سبيل المثال لا الحصر لانهم خلق كثير يطول بنا ذكرهم ومنهم :

علي بن موسى السالمي الاندلسي : نزيل فاس وخطيبها وأصله من مدينة سالم بالاندلس • وهو عربي من الانصار • وله كتاب « شذور الذهب » في صناعة الكيمياء • ولم ينظم أحد في الكيمياء مثل نظمه بلاغة معان ، وفصاحة الفاظ ، وعذوبة تراكيب ، حتى قيل فيه : ان لم يعلمك صنعة الذهب فقد علمك صنعة الأدب(١٠٠) •

---

(٩٧) الانساب للسمعاني ج ٢ ص ٣٧١
(٩٨) « « ج ٢ ص ٣٧١
(٩٩) « « ج ٢ ص ٤٠٠
(١٠٠) الوافي ج ١٢ الورقة ٢١٨

والامير سعيد الطليري صاحب ميورقة وهو سعيد بن حكم بن سعيد بن حكم الامير أبو عثمان وهو من عرب الاندلس من قبيلة معافر اليمانية ، ولد بطليرة في حدود الستمئة وتوفي سنة ٦٨٠ هـ • نزل جزيرة ميورقة وكان حسن السياسة [١٠١]•

العقرقوفي : كمال الدين أبو الحسن علي بن محمود بن مظفر نزيل بغداد المتوفى ٦٨٥هـ وهو من أكابر الصدور ببغداد ولي الاعمال الجليلة • وتولى نظارة المستنصرية وهو من بيت معروف بالنيابة والولاية • وله نسب متصل بالعرب [١٠٢] •

وقد ساعد الانتساب الى المدن الاعجمية أو الاسلامية وحتى العربية ، أو الحرف ، والصناعات ، والوظائف ، أوالفرق الدينية ، أو الطوائف المذهبية أو الى الرجال والنساء على تحاشي النسب الحقيقي عند الأزمات الحادة ، أو في أثناء بعض الظروف السياسية الحرجة التي كانت تواجه الأمة • وكان من الطبيعي أن يُخفي الامويون مثلا أنسابهم عند قيام الدولة العباسية بعد تلك المطاردة ، وبعد ذلك التنكيل الشديد الذي أصابهم في كل مكان ولا سيما في المشرق بحيث لم يتأخر العباسيون عن نبش قبور بعض خلفائهم ، وحرق جثثهم ، متخطين بذلك أبسط قواعد الشريعة الاسلامية في حرمة الموتى • ويكفي أن نشير الى ما ذكره الطبري عن قتل ٦٠٠ ألف عربي صبراً بأمر أبي مسلم الخراساني ، والى قول الشاعر سديف للسفاح ينشده •

فضع السيف وارفع السوط حتى   لا ترى فوق ظهرها أمويا

كما ان العباسيين بعد أن تغلبوا على خصومهم من الأمويين قلبوا ظهر المِجَنّ لأبناء عمومتهم من العلويين • ونكلوا بهم أشد من تنكيل الأمويين بني عمهم من الهاشميين ولاسيما في زمن أبي جعفر المنصور والمتوكل

---

(١٠١) الوافي ج ١٣ الورقة ٦٩ وقد وردت طبيرة والاصح طلبيرة •

(١٠٢) تاريخ علماء المستنصرية ج ١ ص ٨٥ •

وكان طبيعياً أن يخفي الناس أنسابهم في مثل هذه الظروف القاسية • ويحاولوا الاختفاء في المدن النائية ، وينتسبوا الى المدن ، أو الحرف ، أو الصناعات ••• الخ •

ولقد كان اظهار النسب العربي في عهد ساد فيه الأتراك ، والبويهيون من الأمور الصعبة التي تعرض أصحابها الىالمطاردة ، والتعذيب • أضف الى ذلك ان البويهيين الذين بثوا الطائفية في العراق ، وحاربوا مناوئيهم ، كان لهم أثر كبير في اخفاء الانساب العربية سواءاً أكانت عباسية ، أم بكرية ، أم عمرية ، أم أموية ••• الخ أو في انتحال أنساب علوية لينالوا الحظوة عندهم • وقل عكس ذلك في زمن السلاجقة •

كما أصبح للتسنن أو التشيع والترفض أثر في اعلان النسب ، أو اخفائه ، أو تبديله ، أو الانتساب الى المدن أو الحرف ••• الخ •

أما الفاطميون بمصر فلم يكن يجرؤ أحد على تسمية أولاده باسم أبي بكر ، أو عمر ، أو عثمان ، أو بأسماء العباسيين الذين يضمرون لهم أشد العداوة •

وبعد أن أصبحت السياسة في العراق سياسة مغولية وأصبح الحكم بيد المغول الوثنين لم يبق للنسب العربي كبير أهمية في الدولة • وبعد أن أسلم المغول ، وجاء بعدهم التركمان كان ملوكهم ، وأمراؤهم يساندون احدى الطائفتين ، ويؤيدونها •

وفي زمن الصفويين اشتدت هذه الظاهرة جداً حتى عمد الناس الى تغيير أسماء المشاهد ، والاضرحة مخافة نبشها أو العبث بالأموات اذا كانوا ينتسبون الى العباسيين ، أو الامويين ، أو الأشاعرة أو المعتزلة ، وأُضْفِيَتْ الاسماء العلوية على كثير منها لحفظها ، وحمايتها ، وعدم التعرض لها بسوء •

والا فأين تلك المشاهد والأضرحة للخلفاء ، والعلماء ، والمتصوفة ، والزهاد والامراء، وأين تلك التُرب ، والمقابر التي وصفها المؤرخون ، وذكروا من قوى فيها خلال العصور الاسلامية ؟ .

ان المشاهد الكثيرة التي يطلق عليها « بنات الحسن » أو أبناء موسى الكاظم انْ هي الا مثل من تلك الأمثلة الكثيرة التي تدل على طموس الأنساب ، وضياعها ، وعلى تغيير معالم كثيرة ذات قيمة من الناحيتين التأريخية والخططية في المدن الاسلامية وبخاصة في العراق .

ناجي معروف



التصغير في اصوله ودلالته

الدكتور : ابراهيم السامرائي

التصغير من مواد العربية كما انه معروف فى كثير من اللغات • وقد درس النحاة الأقدمون هذا الموضوع ضمن ما ندعوه « أبنية الاسماء » وقد عنوا به عناية فائقة • ولعلهم على حق فى هذه العناية فلقد شاع التصغير فى العربية شيوعاً علماً حتى انه ليبدو للباحث وهو يدرس المادة النحوية أو قل ليبدو وهو يدرس الانساب والاعلام واختلاف القبائل والبطون فى موضوع التاريخ العام القديم •

واذا عدنا الى نحويينا الأقدمين وجدنا هـذه العناية ظاهرة فقد أفرد سيبويه فى « الكتاب » مادة ضخمة[١] فى هذا الباب ، ومثل ذلك ما وجدناه فى « شرح المفصل » لابن يعيش[٢] • وتتجلى هذه العناية الفائقة فيما ذكره رضي‌الدين الاستراباذى فى « شرح شافية ابن الحاجب » عن هـذا الموضوع[٣] •

غير ان هذا الحشد من المعلومات التى نجدها فى هذه المصنفات الامهات لا تخلو من عبث • أقول لا تخلو من عبث ذلك ان الأقدمين ـ غفر‌الله لهم ـ لم يكتبوا هذه المادة الضخمة مستقرئين لغة العرب متتبعين ما استعمل من كلام الناس ، فكأنهم أقلعوا عما يضطرب الناس فيه ومضوا يكتبون لأنفسهم مادة لم تجر على ألسنة المعربين ، والا فليس في كلام العرب مصغر « فرزدق » و « جَحْمَرِش » و « خَدَرْنَق » و « سَفَرْجَل » و « شَمَرْدَل » و « قَبَعْثَرَى » و « صَهْصَلَق » •

وليس فى العرب حاجة الى أن يصغروا مصادر لا يمكن أن يعتريها التصغير بوجه من الوجوه نحو : « انطلاق » و « احرنجام » • وأى حاجة

---

(١) سيبويه ، الكتاب (ط • بولاق) ٢/١٠٥ـ١٤٣

(٢) ابن يعيش ، شرح المفصل (ط • المنيرية) ٥/١١٣ـ١٤١

(٣) الضي ، شرح الشافية (ط • حجازي)١/١٨٩ـ٢٩٤

الى تصغير غرائب العربية أو قل المواد الغريبة ذوات الأوزان النادرة نحو : « قَطَوطَى » و « عَثَوثَل » و « عَفَنجَج » و « قَرْشَبٍ » و « جُلعْلَم » و « عُلابط » .

ويبدو أنهم قد مضوا في هذا السبيل فحلا لهم أن يصغروا ما لا يمكن أن يصغر ، والا فأى غناء يحصلون عليه في تصغير المعربات نحو « استبرق » و « جوالق » و « قلنسوة » وكيف يستدل على أن « أبيرق » أو « أبيريق »[٤] مصغر « استبرق » أو أن « حُمَيرير »[٥] مصغر « احمرار » المصدر أو أن « قُلَيْسِية » أو « قُلَينسِية » مصغر « قلنسوة »[٦] .

ومثل هذا العبث كثير في هذه المصنفات القديمة ، وكأن النحوي القديم انسان يعيش وحده فهو أصم عما يضطرب فيه القوم ، أو قل هو مثل نفر من علماء هذا الزمان الذين ينقطعون الى التفكير الفلسفي الخيالي الذى لا يدني صاحبه من واقع من يساكنهم من بنى الانسان .

فان لم يكن هذا فأى لون من العبث أن تصغر أسماء أمكنة عرفها الناس في صورها المشهورة نحو « حضرموت » و « بعلبك » و « قرقرى » .

وأنا أنقل اليك شيئاً مما أتعبوا أنفسهم به ولكنهم لم يفيدوا العربية شيئاً . جاء في « الكتاب » : « زعم الخليل » ان « مرمريس » عنده من « المراسة » والمعنى يدل ، وزعموا أنهم ضاعفوا الميم والراء في أوله كما ضاعفوا في آخر « ذُرَحْرَح » الراء والحاء وتحقيره « مُرَيْرِس » ... ولو قلت : « مُرَيميس » لصارت كأنهما من باب « سُرَّحوب » و « سِرداح »[٧] .

---

(٤) الكتاب ٢/١١٣
(٥) الكتاب ٢/١١٤
(٦) المصدر السابق ٢/١١٥
(٧) الكتاب ٢/١١٣

فانظر الى هذا العبث الطويل فكأن هذه الالفاظ وما يقيسون عليها مما ألف العرب « تحقيرها » وكأن المعرب يقلب الالفاظ فيلوكها على صور مختلفة على نحو ما يفعل النحوى فى هذا النوع من « الكيمياء » اللفظية .

فهم يصغرون « فرزدق »و« حجمرش »على« فُرَيزد »و« حُجَيمِر » ومنهم من يقول : « فريزق » و « جحيرش »[٨] . وهذا يوحى ان النحوى القديم لم يسمع هذا التصغير على ألسنة المعربين ، وانما اهتدى اليه فى ممارسته لتقليب الالفاظ على وجوهها واحتساب الاصول والزوائد من أحرف الكلمة .

وافترضوا الافتراضات فى الوصول الى هذه المصغرات الغريبة فقد جاء فى الكتاب : « ولو سميتَ امرأة بـ « ضَرَبَتْ » ثم حقرت لقلت « ضُرَيبة » فتحذف التاء وتجيء بالهاء مكانها وهذا قول الخليل »[٩] .

ويتضح لنا ان التصغير عندهم بمعنى التحقير كثيراً فقد قالوا « اعلم ان التصغير والتحقير واحد ، وهو خلاف التكبير والتعظيم ، وتصغير الاسم دليل على صغر مسماه فهو حلية وصفة للاسم ، لانك تريد بقولك « رُجَيل » « رجلا صغيراً » وانما اختصرت بحذف الصفة وجعلت تغير الاسم والزيادة عليه علماً من ذلك المعنى كما جعلت تكسير الاسم علامة تنوب عن تحليته بالكثرة[١٠]وذلك لانهم كانوا يرون « التصغير والجمع بمنزلة واحدة ... ، وقالوا التصغير والجمع من وادٍ واحد »[١١] . فكما حذفوا من « سفرجل » فى التصغير فقالوا « سُفَيرِج » كذلك حذفوا فى تكسيره فقالوا « سَفارج » وعن الأخفش انه قال : سمعت من يقول « سُفَيرجِل » و « سفارجِل »[١٢]

(٨) الزمخشرى ، المفصل (ط . التقدم) ص ٢٠٥

(٩) الكتاب / ١٢٤

(١٠) ابن يعيش ، شرح المفصل ٥/١١٣

(١١) الكتاب ٢/١٠٦

(١٢) ابن يعيش ، شرح المفصل ٥/١١٧

والذى نلاحظه فى كتاب سيبويه ان لفظ التحقير يرد كثيراً وقد يكون مرادفاً للتصغير وليس غرضاً من أغراضه • وهذا المعنى المرادف تلمحه فى المعانى التى أوردها النحويون للمصغر وهى :

(١) تصغير ما يتوهم أنه عظيم كقولك : « رُجَيل »

(٢) تقليل ما يتوهم أنه كثير كقولنا : « دُرَيهِمات » و « دُنَيْنيرات» •

(٣) تقريب ما يجوز أن يتوهم انه بعيد كقولهم : « بُعَيد العصر » و « قُبَيل الفجر » و « السقف فُوَيقَنا »(١٣) •

وفى هـذه المعانى الثلاثة يبدو معنى التحقير وينبغى الا ينصرف ذهن القارىء الى معنى « التحقير » كما هو سائر مألوف فالمراد بالتحقير القلة والدون بوجه عام •

وقد أشار المحقق الرضى الى تصغير التلطف « فالتصغير فى« أُحيسنَه » راجع الى الحسن وهو تصغير التلطف كما ذكرنا فى نحو : بُنَيّ وأُخَيّ ومن هذا قول الشاعر

يامـا أميلـح غـزلاناً شَـدَنّ لنا
من هؤليائِكنّ الضالِ والسَمُرِ(١٤)

وهذا « التلطف » هو « التحبب » وهو معنى لا يدخل فى « التحقير » الذى رادف التصغير فى كتاب سيبويه كثيراً جداً • ولابد من القول أن تصغير «أفعل» التعجب ورد كثيراً فى الشعر القديم والذى أراه أنهم استملحوا تصغير هذه المادة وحسن جريها فى الموسيقى الشعرية ألا ترى أنهم صغروا « أهل » على « أُهَيل » فى الشعر كثيراً وليس فى هذا تلطف ولا تحبب على نحو « بُنَيّ » و « أُخَيّ » • وهذا هو الوجه •

---

(١٣) ابن يعيش ـ/١١٣ـ١١٤
(١٤) الرضى ، شرح الشافية ١/٢٨٠

وما أظن أن عمر بن أبى ربيعة قد أراد تصغير القمر أو أن قمره لم يكن بدراً وأنه كان صغيراً حين قال فى رائيته :

وغاب "قُمَير" كنت أرجو غيوبه
وروَّح رعيان ونوَّم سُمَّرُ

والوجه عندى أنه استحلى صيغة التصغير فجاءت سائرة طيعة مع الوزن الشعرى .

وقد اختلف البصريون والكوفيون فى تصغير صيغة التعجب بين الاسمية والفعلية والى هذا أشار أبو البركات ابن الانبارى فى « الانصاف »[١٥] وذكر الزمخشرى ان « تصغير الفعل ليس بقياس وقولهم « ما أُمَيلَحه »

قال الخليل : انما يعنون تصفه بالملح كأنك قلت : زيد مليح بالشىء الذى تلفظ به وأنت تعنى به شيئاً آخر ... »[١٦]

وقد جرت العربية على كون صيغة التصغير مظهرة للتصغير فى معانيه المختلفة التى ترادفه من تقليل وتحقير ولهذا لحقت تاء التأنيث المؤنثات المصغرة التى لم تلحقها هذه التاء وهى مكبرة نحو :

هند : من أسماء الاناث تصغر على هُنَيدة
عين : مصغرها عُيَينة
ساق : مصغرها سُوَيقة
يَدْ : مصغرها يُديَّة
قدم : مصغرها قُدَيمة
شمس : مصغرها شُمَيسة
عصا : مصغرها عُصَيَّة

---

(١٥) ابن الانبارى ، الانصاف (نشر محمد محي الدين عبدالمجيد) ١/٨١
(١٦) الزمخشرى ، المفصل ٢٠٥
(١٧) الزمخشرى المفصل ٢٠٤

وشذ من هذا الباب « عُرَيّس[١٧] » مصغر « عروس » فقد جاء بغير التاء . ومثل هذا ما سمع من :

قوس مصغره قُوَيس
درع مصغره دُرَيع
نعل مصغره نعيل
قلوص مصغره قُلَيِّص[١٨]

وقد اهتم الأقدمون بأمور تبتعد كثيراً عن وظيفة النحو ومنهجه ، وكان عليهم أن يستقرئوا ويصفوا ويضبطوا ما يستقرئونه بضوابط ، وفي هذا تطبيق للمنهج الوصفي الذي يأخذ به المحدثون في تحرير النحو في اللغات الحديثة . وقد سقت أمثلة للاصطناع والتكلف في بحثهم مادة التصغير وكيف شغلوا أنفسهم بأمور لم تخدم العربية وتصورات وأوهام لم تكن من مادة اللغة التي جرت على ألسنة المعربين .

فقد بحثوا : لم كان اذا صغروا الاسم بضم أوله ، قيل لانا اذا صغرنا الاسم فلابد من تغييره بعلامة تدل على المصغر وكان الضم أولى لان الفتحة للجمع في نحو : مساجد وضوارب فلم يبق الا الكسر والضم فاختاروا الضم لان الياء علامة التصغير وما بعدها مكسور فيما زاد على الثلاثة فكرهوا كسر الاول لثقل اجتماع كسرتين مع الياء وكانت عنه مندوحة الى الضمة . وقال بعضهم انما ضموا الاول من المصغر تشبيهاً له بفعل ما لم يُسمَّ فاعله فكما ضموا أول « ضُرِب » كذلك ضموا الاول من المصغر »[١٩] .

وهذه التعليلات ضعيفة بادٍ عليها الاصطناع والتكلف وكأن أصحابها لم يعلموا أن اللغة تنطلق بداهة وفطرة وسليقة ، وان الذين جرت ألسنتهم على هذه الابنية المصغرة من العرب الاندمين لم يفكروا باديء ذي بدء في

---

(١٨)
Wright (W.), Agrammar of the Arabic Language, 3e ed, I, P, 171 B.

(١٩) ابن يعيش ٥/١١٥

هذه الدقائق التى صنعها النحاة . والغريب ان النحاة الاقدمين أبعد ما يكونون عن العلم اللغوى . والا فما علاقة المصغر بالفعل المبنى المجهول ؟ ثم ما علاقة التصغير بالجمع المكسر ؟

اذا كان الضم فى الاول ، والحذف فى الثانى هما أصل هذه العلاقة فهذا القول من الضعف بمكان .

ثم تساءلوا : « لم كان التصغير بزيادة حرف وليس بالنقص ، مع ان النقص يناسب معنى التصغير ؟ »

الجواب : ان التصغير لما كان صفة وحلية للمصغر بالصغر ، والصفة انما هى لفظ زائد على الموصوف جعل التصغير الذى خنف عنه بزيادة ولم يجعل بنقص ليناسب حال الصفة .

والجواب الثانى : انهم لما أرادوا الدلالة على معنى التصغير والايذان بذلك جعلوا العلامة بزيادة لفظ لان قوة اللفظ توزن بقوة المعنى »[٢٠] .

وهذه التعليلات جميعها تشعر الى أن المكبر قد وضع اولاً ثم فكر فى هيأة التصغير فتوصلوا الى هذه الصور الثلاث من أوزان التصغير المشهورة . وقد بينا خطل هذا النهج من البحث والذى نعرف ان العربية قد حوت المصغر دون أن يكون المكبر جارياً فى الاستعمال فقد ورد فى شرح الشافية :

قال : « ونحو جُمَيل وكُعَيت لطائرين وكُمَيت للفرس موضوع على التصغير »[٢١].

والاول طائر صغير شبيه بالعصفور ، وفى اللسان : « قال سيبويه : الجُمَيل البلبل لا يتكلم به الا مصغراً[٢٢] . وأما « كُعَيت » فقيل هو البلبل وقال المبرد : هو شبيه بالبلبل وليس به .

---

(٢٠) المصدر السابق .
(٢١) الرضي ، شرح الشافية ١/ ٢٨٠
(٢٢) اللسان مادة جمل

وقال الرضى : وانما نطقوا بهذه الاشياء مصغرة لانها مستصغرة عندهم ، والصغر من لوازمها فوضعوا الالفاظ على التصغير ، ولم تستعمل مكبراتها[٢٣] .

وقد رأيت فى تعليلهم ان التصغير كان بالزيادة لا بالنقص ، وكأن فى منطقهم أن التصغير يناسب النقص فلجوؤهم للزيادة بحسب تعليلهم فى التصغير اتباع لقاعدة منطقية مشهورة استخدموها فى اللغة والنحو وهى « الزيادة فى المبنى زيادة فى المعنى » وهذه الملاحظة المنطقية لا يمكن أن تنطبق على الظواهر اللغوية . أفادوا من هذه المسألة المنطقية فى هذا الباب كما أفادوا منها فى مسألة الجمع ذلك انالجمع فى أغلب أوزانه يكون بالزيادة لا بالنقص ولا يعنى هذا صدق تطبيق هذه المسألة فى العلم اللغوى .

وفى هذا الباب من التصغير نهتدى الى شىء من التاريخ اللغوى وذلك ان التصغير يرد الالفاظ الى أصولها فالاسماء الآتية تصغر على النحو الآتى :

باب	بُوَيب	لأن الألف فى المفرد يرد الى أصله الواو
خاف	خُوَيف	
ناب	نُيَيْب	لأن الألف فى المفرد يرد الى أصله الياء
ريح	رُوَيحة	
عين	عُيَينة	
بيضة	بُيَيضة	
شيخ	شُيَيخ	
بيت	بُيَيت	

---

(٢٣) الرضى شرح الشافية ١/ ٢٨٠

هذا هو الأصل ولكنه قد أثر أن من العرب من يقول :

بُوَيت مصغر بيت و شُوَيخ مصغر شيخ و عُوَينة مصغر عين و بُوَيضة مصغر بيضة و ضُيَيعة مصغر ضيعة[٢٤] . وفي هذا دليل على ان ما ندعوه اليوم في العلم اللغوي باللهجات كان معروفاً وما زلنا حتى يومنا هـذا نميل في لغتنا العامة الى هذا النحو من التصغير فنقول « عُوَينة » و « بُوَيضة ».

ومن هذا ما ذكره سيبويه : ان من العرب من يقول : شِيَيخ و بِيَيت و سِيَيد[٢٥] في تصغير شيخ وبيت وسيد وذلك بكسر الفاء وهذا يعني أن ذلك لون من ألوان الاستعمال الخاص ، ومن هذا الباب ايضاً ما أثر أن منهم من يصغر أسود على أُسَيوِد دون أن يميل الى قلب الواو ياءً كما هو معروف فالتصغير الشائع هو « أُسَيِّد » وابقاء الواو على هذا النحو مراعاة للاستعمال عند كثير من العرب ومعنى هذا أن عدم القلب كان شائعاً كما هو شائع اليوم في عربيتنا الحديثة .

ولابد أن نشير الى ما في العربية من صور للتصغير غابت على علماء النحو لعدم قياسيتها ومن ذلك :

« فُعَيلى » من أوزان المصادر والاسماء وفيها هُوَينى ، عُجَيلى و خُلَيطى وغيره[٢٦] . و « فُعَّيل » وهو من وزن يشبه وزن التصغير وعليه ورد « جُمَّيز » و « عُلَّيق » من أسماء النبات و « زُمَّيل » للجبان و « عُقَيب » النسر الصغير . وقد أشار E. Littmann الى هذه الصيغة ووجودها في النقوش البالميرية والنبطية[٢٧] .

---

(٢٤) سيبويه ، الكتاب ٢/١٢٧

(٢٥) سيبويه ، الكتاب ٢/١٣٦

(٢٦) السيوطي ، المزهر ٢/٢٥٤

(٢٧) E. Littmann, Zs, Vol. 4 1926 P. 31—41

و « فِعَّـول » وهو من الاوزان الغريبـة وقد ورد عليه « عِجَّـول » بمعنى « عجل صغير » و « خِنَّوص » بمعنى خنزير صغير و « فُعَّيلى : ومنه لُغَّـيزَى ، وخُلَّـيطَى بمعنى اخلاط[٢٨].

وسكت النحويون الاقدمون عن وزن « فعلون » من أوزان التصغير غير القياسي وهذه الصيغة عرفت فى العربية منذ أقدم العصـور وعليها ورد « سعدون » و « خلدون » ثم كتب لها الشيوع فى بلدان الشمالى الافريقى بعد الفتح الاسـلامى فقد عرف بينهم « وهبون » و « ضمون » و « عبدون » و « زيدون » و « نزهون » وقد جاء هذا العلم مؤنثاً « نزهونة » وهذا الوزن ما نجده عندنا فى جملة الفاظ عامية مصغرة على هذا النحو فنقول « بيتونة » مصغر بيت و « دربونة » مصغر درب « وشويونة » مصغر شيء .

وقد أثر عن العرب صيغة أخرى مصغرة على وزن « فَعّـول » وعليها ورد « عَبّود » و « حمود » و « لحّـود » .

ويبدو أن التزام الواو فى هـذه المصغرات أمر ثابت وانما الخلاف فى الحرف الأخير فقد ورد « قطّوس » مصغر قط وقد سمع « عبّوش » مصغر « عبد » ولا سيما عند النصارى ومثله « فطّوش » مصغر فاطمة كما صغرت فاطمة على « فَطّوم » و « فطّومة » و « فَطَم »

وقد سمع « مرّوش » مصغر « مريم » و « عَبدُوش » مصغر « عبد » ولعل « عبدوس » و « حمديس » فى المغرب العربى من هذا التصـغير وهذه المصـغرات بالواو والنون أو بالواو والسين تشبه المصغر فى اللغـة السريانية فان « كْتاب »تصغر على « كْتابونا » أو « كْتابوسا » .

---

(٢٨) السيوطى ، المزهر ٢/٢٥٥

وفى العبرية يصغر « ايش » وتعنى « انسان » على « ايشون » وعندى ان « ايسان » فى العربية وهى لغة فى « انسان » تشير الى هذا النوع من التصغير والخلاف بينهما خلاف ما بين الفتح والضم وهو مسألة راجعة الى شىء من الامالة .

وفى مثل هذا النهج نستطيع أن نرد « فُعَيل » من أوزان التصغير الى « فَعال » بالاتجاه فى فتحة العين فى « فُعَال » نحو الياء . وربما استطعنا أن نرد الى ذلك ما يرد على هذا من أنفاظ فيها معنى المصغر نحو : « غُلام » و « حُوار » .

وهذه الالفاظ المصغرة غير القياسية قد نستطيع حملها على ما أسموه تصغير الترخيم .

جاء فى شرح الشافية للرضى : قال وتصغير الترخيم ان تحذف كل الزوائد ثم تصغر نحو : « حُمَيد » فى أحمد[٢٩] . ومثله « حُرَيث » فى حارث و « سُوَيد » فى أسود . ولا أريد أن أختم هذا الفصل دون الاشارة الى مصغرات عرفت وشاعت فى العراق فى عصرنا بين المسلمين والنصارى وهى أن يختم « فَعّول » بياء لا تفيد النسبة وأكبر الظن أنها اضافة أعجمية ربما كانت تركية وهذه الاعلام هى :

« عبّودى » وهو معروف عند المسلمين والنصارى وربما غلب على النصارى . « فتّوحى » من أعلام النصارى ومثله « بشّورى » و « خدّورى » و « نصّورى » و « رفّولى » مصغر « رفائيل » و « مخّولى » مصغر ميخائيل .

ومن هذه الأعلام المصغرة ما شاع عند المسلمين دون النصارى وهى : « سعّودى » و « حمّودى » و « وجبّورى » و « غفّورى » . وغير هذا كثير .

---

(٢٩) الرضي ، شرح الشافية ١/ ٢٨٤

وقد ترد هذه المصـغرات مختومة بالواو للدلالة على التصـغير ومنها : « عَبّـو » وتعنى عبدالله و « رمّـو » وتعنى أرميـا و « سَلّـو » وتعنى « عَبّـو » وتعنى عبدالله و « رمّـو » وتعنى أرميـا و « سَلّـو » وتعنى سليمان و « صَفّـو وتعنى اسطيفان و « فرجو » وتعنى فرجالله[٣٠] •

ومن هذا القبيل أعلام شاعت مصغرة عند المسـلمين ومنها « حَسّو » وهو مصغر حسن و « رشّـو » مصغر « رشيد » وغير هذا •

هذه نبذة يسيرة عرضت فيها لموضوع التصغير مشيراً فى ذلك الى المنهج القديم والى محصـولنا اللغوى من ذلك المنهج الذى سـار عليه جمهـرة النحويين • وفى جميع ذلك أردت أن أبحث هذا البحث اللغوى واصلاً قديم العربية بجديدها مشـيراً فى أثناء ذلك الى التطور الذى أخذت به هذه اللغة الشريفة • وعسى أن أرجع فى مقالة اخرى أشير فيها الى آثار التصغير فى لهجاتنا الدارجة •



(٣٠) راجع كتابنا « الاعلام » المكتبة الاهلية بغداد ص ٨٣

مصادر الأدب العباسي

ـ منهج البحث ـ

بقلم : الدكتور علي الزبيدي
استاذ مساعد في قسم اللغة العربية

ليس المقصود بدراسة مصادر الأدب العباسي تعداد الأصول القديمة والمراجع الحديثة التي تخص أدب هذه الفترة ولا تهيئة قوائم طويلة بأسماء المؤلفين المشهورين والمغمورين • وليس المقصود منها أيضاً دراسة وتحليل كل كتاب تناول أدب الفترة عامة ، أو درس موضوعاً من مواضيعها خاصة ، في طول العصر العباسي الذي زاد عن خمسة قرون ، وضخامة أدبه ، وكثرة الكتب التي تناولته تجعل هذا العمل بعيداً جداً عن الكمال • أما تسطير القوائم الطويلة بأسماء الكتب والمؤلفين فمضيعة للوقت والجهد ، اذ يكفي أن يتصفح المرء فهرست أحد البحوث الجيدة في موضـوع يخص هذا العصر ، ليجد ثبتاً طويلا بمجموعة كبيرة من مصادر القرون العباسية الخمسة •

المطلوب منا اذن ان ندرس أبرز مصـادر هذه الفترة دراسـة منهجية منظمة ، فنحلل معلوماتها ونشرح المناهج التي اتبعها مؤلفوها في فترة زمنيـة معينة ، ونلاحظ التطور الذي طرأ على هذه المناهج في الفترات التالية ونضع اليد أو نطلع على الوســائل التي اتبعهــا المؤلفون في جمع المعــلومات عن الموضوعات التي الفوا فيها ، والمصادر التي اعتمدوا عليها ، ثم البواعث التي دفعتهم الى هذا الجمع والتدوين والعوامل المختلفـة التي يمكن أن تؤثر في الرواية أو التقييد فتؤدى الى الكذب أو الانتحـال أو التزوير أو التحريف أو المبالغــة والتقليــــل والتحريف أو غير هــــذا وذاك من أنـــــواع التلاعب بالحقائق والاخبار • وليس من شك في أن دراسة عدد من المصادر البارزة أو المهمة يكوّن لنا فكرة واضحة عن المصادر الثانوية الاخرى فيوفر علينا جهداً كبيراً ووقتاً طويلا • كما أن الحديث عن طائفة أو مجموعة من الرواة والمؤلفين الكبار يغنينـا عن التطرق الى صغـــار المؤلفين والدخول في تفاصيل ليست بذات قيمة ، فالاحاطة بكل واردة وواردة محال ، والعلم بكل شيء لله وحده •

وما دامت الفترة طويلة ، ومصـادرها كثيرة فقد يكون من المفيـد أن نستعيد الى الذهن تقسيمات الفترة العباسية لانها تساعدنا على تصنيف المصادر الى مجموعات ، ثم دراسـة كل مجموعة على حـدة • هنا سنجد أنفسنا مضطرين الى عدم التقيد بتقسيم الفترة العباسية الى أربعة عصور ، لأن العصر العباسى الأول والثانى تكاد تتجمع كل معطياتها التاريخية فى مصـادر أولية متعددة تكون فى رأينا مجموعة واحدة • ويكاد ينطبق هذا أيضاً على العصرين الثالث والرابع مع ملاحظة أعداد من الفوارق فى الوسائل التى اتبعها مؤلفو مصادر العصرين الأخيرين والمناهج التى أتبعوها بما سنفصله فيما بعد •

ولعل تقسيم بعض الباحثين الفترة السياسية الى عصرين كبيرين : أول وثانى أو الى دورين تاريخيين : دور المركزية وسيطرة بغداد على الاطراف أو دور الانقسـام وتعدد المراكز الحضـارية ، أقول لعل هذا التقسيم أكثر فائدة فى عملية دراسة مصـادر الأدب العباسى • وآية ذلك ان هذا التقسيم ينعكس على المصادر وعلى المناهج والاساليب التى اتبعها مؤلفوها بحيث يمكننا من أن نعـزل أو نجمع طائفـة منها ونقول انها تخص الدور الأول لأنهـا اقتصرت على دراسة النشاط الأدبى المتمركز فى العراق عامة وفى البصرة والكوفة ثم في بغداد خاصة • ونستطيع من جهة ثانية أن نجمع طائفة اخرى ونميز فيها مناهج وأساليب مشـتركة كان أبرز ما فيها (تأقلمها) أو دراسـة النتاج الأدبي حسب الاقطار أو الأقاليم فعكست الظاهرة التاريخية التي وصفها المؤرخون بدور الانقسام أو دور تعدّد المراكز أو اللامركزية ••• الخ • وطبيعى أن هذا التقسيم العام لن يمنعنا من تصنيف المصادر حسب أنواعهـا أو مناهج تأليفها فهذه كتب تراجم وسـير ، وتلك كتب بلاغة ونقد ، وهذه مصادر بلاغية ونقدية وتلك كتب فهارس وأدب عام ••• الخ •

ولا تثريب علينا اذا لم نوفق الى الصواب فى تقسيمنا هذا لأن الباحثين ومؤرخى الأدب لم يعنوا العناية اللازمة بدراسـة تدوين الأدب العباسى ولم يتناولوا هذا الموضوع أو يتطرقوا الى الظروف والعوامل التى أحاطت بالتدوين

وأثرت فيه فتركونا نجاهد للبحث عن منهج أو خطة • ولدينا من الأسباب ما شجعنا على تبنى هذا التقسيم المزدوج لمصادر الأدب العباسي • فكتاب الأغاني الذى ألف في النصف الأول من القرن الرابع الهجرى يقف حداً فاصلاً بين المناهج التي اتبعها الرواة والمؤلفون في القرنين الثالث والرابع ، والمناهج التى سار عليها صاحب يتيمة الدهر ودمية القصر وخريدة القصر وغيرهم من مؤرخى آداب القرون العباسية المتأخرة • ومن يتأمل المدونات والمنقولات التى ظهرت خلال الفترة الاولى أى فترة القوة المركزية ، والمنقولات والمدونات التى قيدت في الفترة الثانية يجد فرقاً ملحوظاً في منهج التقييد وطريقة النقل والرواية وأساليب التبويب والتأليف • هذا بالاضافة الى نظرة مؤلفى الفترة الاولى الى الأدب العربى كوحدة متصلة النواحي والاطراف ونظرة مؤلفى الفترة الثانية اليه كوحدات تتوزع على الاقطار أو الأقاليم • فاذا كانت المجموعة الاولى من المصادر تعكس خصائص الفترة الاولى أو فترة القوة المركزية فالمجموعة الثانية تعكس الفترة التاريخية الثانية أو فترة انقسام المملكة الى دويلات وتوزع الحضارة على عدة مراكز •

لقد حظى الأدب الجاهلي بعدد من البحوث التي درست عمليات روايته وتدوينه وكشفت نشاط الرواة الذين اشتغلوا بذلك • ولكن الأدب الاسلامى والاموى وأدب الفترة العباسية لم يكن له نصيب من هذه البحوث فنحن لا نعرف متى دونت أخبار واشعار القرنين الثاني والثالث الهجريين ، ولم ندرس المناهج والطرائق التى اتبعت فى هذا التدوين ، ولم نتعرف على الرواة والمؤلفين الاوائل الذين حفظوا هذا الأدب من الضياع ولم يكشف الدوافع التى دفعتهم الى هذا العمل والوسائل التى ساعدتهم على تحقيقه •

نحن بحاجة اذن الى دراسة رواية الأدب العباسي وعمليات حفظه وتقييده أو تدوينه بالاسلوب الذى درسنا به تدوين الأدب الجاهلى • ولكن مثل هذه الدراسة صعبة ، أو قل ان الباحثين لم ينتهوا اليها فأهملوها ولم يحسوا

بفائدتها وضرورتها • فظلت أرض هذا الحقل بكراً ، وبقي عـــدد كبير من الرواة والمؤلفين الذين عنوا بتاريخ الأدب العباسي في عداد النسيان •

يقول الاستاذ أحمد عبدالستار فراج في مقدمة كتاب طبقـات الشعراء المحدثين لابن المعتز :

« ظفر رواة الحديث الشريف بمن تتبّعوا أخبارهم ودوّنوا تاريخهم ، لما في ذلك من توثيق لرواياتهم المتصـلة بأمور الدين وأحكام الشريعة التي تبنى على الصدق وتجنب الشبهات • أما رواة الأدب فان تاريخهم لم يجد من العناية ما وجده رجال الحديث ، ما لم يكن للرواة انتاج أدبي يذكر من شعر أو نثر • ومن الرواة من لا شأن له الا أنه كان ممن يحبون رجال الأدب ومجالسهم ومساجلاتهم ، أو كان نديماً على شراب ، أو حاضراً دعوة ، أو هو من الاتباع والمملوكين • وفي كتابنا هــذا (يقصد طبقات الشــعراء لابن المعتز) وفي كتاب الأغاني وغيرها من الكتب التي اعتمدت في رواية الأدب على الســند ، لا نجـد فيما ألف من كتب التاريخ والتراجـم ترجمة لأغلب الرواة ، بل أن كثيراً منهم لا نعرف أسماءهم كاملة ، لأن المؤلف لم يذكر كناهم أو ألقابهم ، بل أن جهلنا بالاســماء قد يتناول شعراء وأدباء روى لهم انتــاج وأغفل فيه ذكر الاسماء »[1] وقد أكد الاســتاذ فراج هذا ايضاً في موضع آخر قائلاً « وأغلب الناس يتغاضون عن سلســلة الاسانيد والثبين الى الرواية نفسها وما فيها من طرائف ومعلومات لا يعنيهم شأن الرواة في قليل ولا كثير • مع ان فريقاً منهم جديرون بالعنـاية والتقدير»[2] ولولا اهتمام بعض المستشرقين بدراســـة المصـادا في مقدمات البحوث التي نشروهـا كما فعــل المستشرق الفرنسي بلاشـير في رسالتــه عن المتنبي [3] ، والمستشرق

---

(١) احمد عبدالستار فراج في مقدمة طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز ص١١ •

(٢) فراج • مقدمة اخبار أبي نواس لابي لعنان ص ٧

(٣) بلاشير : ابو الطيب المتنبي (بالفرنسية) باريس ١٩٣٥ •

الروسى الاستاذ كراتشكوفسكي في رسالته عن أبي العتاهية [٤] وفى المقدمة التي صدر بها ديوان الشاعر الدمشقي [٥] وكما فعل بعض طلابهم كالدكتور صالح الاشتر فى رسالته عن البحترى [٦] والدكتور على جواد الطاهر فى رسالته عن الشعر العربى فى العصر السلجوقى وكاتب هذه السطور فى رسالته عن أبى العتاهية وشعر الزهد فى القرن الثانى وفى كتابه (فى الادب العباسى) وملاحظات الدكتور عباس اقبال فى مقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز الذى نشره فى لندن [٧] وما كتبه الدكتور سامي الدهان فى مقدمة ديوان أبى فراس الحمدانى ، ومقدمة المستشرق ليون زولنديك فى رسالته عن دعبل الخزاعى [٨] ... الخ أقول لولا هذه البحوث التى وجهها وأشرف عليها المستشرقون لتعذر علينا القيام بدراسة مصادر الأدب العباسى عامة أو دراسة مصادر بعض مواضيعه خاصة . ولا ريب فى أن الفضل يعود لهؤلاء اذا وفقنا فى مثل هذه الدراسة وعلينا أن لاننسى أيضاً فضل عدد من المختصين بالتاريخ الاسلامى كالمستشرق الفرنسى سوفاجيه [٩] والمستشرق الانكليزى برنارد لويس والدكتور عبدالعزيز الدورى [١٠] والدكتور صالح العلى [١١] من العراقيين والدكتور صلاح الدين المنجد وشكرى فيصل من اخواننا السوريين والدكتور طه حسين واحمد عبدالستار فراج وعبدالسلام هارون وغيرهم .

---

(٤) موضوع رسالة ماجستير باللغة الروسية قدمت لجامعة لنغراد سنة ١٩٢٦

(٥) سامي الدهان مقدمة ديوان ابى فراس الحمداني ص

(٦) صالح الاشتر . البحترى . رسالة دكتوراه قدمت لجامعة باريس عام ١٩٥٦

(٧) على جواد الطاهر — الشعر العرب فى العصر السلجوقي ص رسالة دكتوراه قدمت لجامعة باريس ١٩٥٤ .

(٨) انظر كتابنا (في الادب العباسي) ومال العبث والانتحال في الادب العباسي مجلة كلية الآداب العراقية العدد ١ و ٢

(٩) انظر مقدمة طبقات الشعراء المحدثين لان المعتز طبعة لندن .

(١٠) انظر مجلة ARABICA المجلد ٣ العدد ٨ سبتمبر ١٩٦١

(١١) انظر كتابه رائد التراث العربي .

اذا أمعنا النظر في حركة (تقييد العلم) كما يسميها الخطيب البغدادي[١٢] وأطلعنا على البحوث التي أشرنا اليها والتي تناولت رواية الأدب الجاهلي[١٣] وجدنا ان حركة التدوين وجمع الاخبار كانت تجري على مراحل :

ففي القرن الثاني للهجرة ومطلع القرن الثالث ، اشتغل الرواة والمدونون بالأدب الجاهلي والاسلامي واستنفدوا نشاطهم في عمليات روايته وجمعه وتدوينه ، فحفظوا لنا التراث الأدبي القديم ولا سيما التراث الشعري في عهدي الجاهلية والاسلام .

أما الشعراء والادباء الذين عاصروا رواة الأدب الجاهلي والاسلامي ولاسيما الشعراء والكتاب الذين اطلق عليهم اسم المولدين أو المحدثين وهم الذين ظهروا ابتداءً من القرن الثاني للهجرة ، فلم يحظوا باهتمام الرواة الذين عاصروهم أعني رواة القرن الثاني لا لأن اولئك الرواة قد انشغلوا بتدوين التراث القديم فقط ، بل هي طبيعة الاشياء والناس اذ ليس من المألوف أن يركز الرواة والمدونون جهودهم في جمع أخبار واشعار معاصريهم من الشعراء والكتاب ، في وقت لما تتم فيه عمليات تدوين التراث القديم . فكان لابد من مرور ردح من الزمن لكي تنجلي الأمور ، وتتبلور الحركات الفنية والادبية وتتجمع الاخبار والنصوص الشعرية ، ويفرق الناس بين الغث والسمين ، ويحكم الزمن بالخلود لهذا الشاعر أو الأديب بالنسيان بذاك الشويعر أو المتأدب .

ولعل من المفيد أن نبيّن انه في الوقت الذي كان فيه رواة القرن الثاني يستخدمون كل الوسائل الممكنة لرواية الأدب الجاهلي والاسلامي وتدوينه ويشغلون كافة الجهود لدارسته ونقده كانوا هم أنفسهم يلعبون دور المخبرين

---

(١٢) انظر كتابه :

(١٣) انظر كتابه التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة .

المباشرين أو الرواة الناقلين والراوين لأشعار واخبار معاصريهم من الشعراء والكتاب • وهنا يجب أن نلاحظ ظاهرة مهمة وهي أن الجيل الاول من رواة الأدب الجاهلي البارزين كمحمد بن السائب الكلبي م ١٤٦هـ/٧٦٣ وأبي عمرو ابن العلاء م ١٥٤ هـ / ٧٧٢ م وأبي الحكم عوانة بن الحكم الكلبي ١٤٧ هـ / ٧٦٤ م والمفضل الطبي م١٧٠ هـ / ٧٨٦ م وحماد الراوية م ١٥٦ / ٧٧٢ م وخلف الأحمر وغيرهم لم يسهموا في نقل اخبار معاصريهم من شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية أو شعراء صدر الدولة العباسية الا بمقياس ضيق بالقياس الى خدمتهم للأدب القديم • ولهذا نلاحظ ان أسماءهم لا تتردد كثيراً في أسانيد كتاب الاغاني الناقلة لاخبار واشعار الطبقة الاولى والثانية في شعراء القرن الثاني ، كما لا نجد لهم ذكراً كثيراً في المصادر الاخرى ذات الاسانيد كتاريخ بغداد أو طبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز أو غيرهما • وليس في هذه الظاهرة غرابة ، اذ كان زمانهم متقدماً أو مبكراً بالقياس الى شعراء القرن الثاني ، هذا فضلاً عن ان رواية الأدب القديم وتدوينه كانت شغلهم الشاغل ، حتى تعصب أغلبهم بحكم هذا الانشغال بأدب الأوائل فأعرض اعراضاً مقصوداً عن أدب معاصريه وشعرهم كابن عمرو بن العلاء وحماد الراوية وخلف الأحمر واضرابهم الذين كادوا يتجاهلون معاصريهم من الشعراء والكتاب تجاهلاً تاماً • وفي كتب الأدب كثير من الاحكام القاسية نطق بها هؤلاء وانصارهم للازراء بشعر معاصريهم وآدابهم[١٤] لا نريد ان نعود الى الاشارة اليها في هذا البحث رغم هذا فنحن لا نستطيع أن نحشر أغلب رواة القرن الثاني للهجرة في هذه الطائفة التي تعصبت للقديم بل يجب أن نستثني عدداً منهم ومن تلامذتهم

---

(١٤) انظر كتاب : تقييد العلم للخطيب البغدادي تحقيق يوسف العش ، دمشق ١٩٤٩ •

(١٥) انظر طه حسين : في الادب الجاهلي : وناصر الدين الاسد مصادر الشعر الجاهلي وبلاشير : تاريخ الادب العربي ••

كأبي عبيده والاصمعي وحتى ابن الاعرابي • لماذا ؟ لأن هؤلاء وأضرابهم عاصروا بشاراً وأبا نواس وأبا العتاهية ومسلم بن الوليد وغيرهم من شعراء عصرهم فتذوقوا بعض شعرهم واعترفوا لبعضهم بالتقدم والتفوق ولا سيما بشار وأبو نواس • وامتد العمر باقران الاصمعى الى أوائل القرن الثالث فتهيأ لهم متسع من الوقت للاهتمام بالشعراء والكتاب الذين سموهم بالمولدين أو المحدثين • ولهذا نجد أسماءهم تتردد في أسانيد بشار وأبي نواس وأبي العتاهية وغيرهم من شعراء القرن الثاني كمخبرين مباشرين تنتهى عند اسمائهم سلاسل الاسناد ، علماً بأن كل واحد منهم عنى أو اهتم بما يلائم ذوقه ومزاجه وما اختص به أو مالت اليه نفسه فعرف به فهذا يهتم بالخبر والنسب والايام، وذاك يعتني باللغة ودقائقها وشواردها وغرائبها ، وهذا يميل الى النحو والاعراب وذاك يبحث عن المعنى الظريف فى المبنى الجميل يقول بلاشير : وقد ظهر على مرور الايام نوع من الاختصاص النسبى ، فاختص بعض العلماء كسيبويه والخليل بن أحمد فى النحو ومفردات اللغة ، واهتم أبو عبيدة باللغة والاخبار فى حين ألف الاصمعى كتباً فى القواعد واللغة ، وعكف غيرهم أمثال عمر ابن شبه والهيثم بن عدي والزبير بن بكار على جمع معطيات التاريخ والتراجم(١٥) • قال الجاحظ : طلبت علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لا يحسن الا غريبه ، فرجعت الى الأخفش فوجدته لا يتقن الا اعرابه ، فعطفت على أبى عبيده ، فوجدته لا ينقل الا ما اتصل بالاخبار وتعلق بالايام والانساب(١٦) وكلام الجاحظ هذا ليس بدعاً لان كل واحد من هؤلاء كما قلنا قد اختص بشيء عرف به • ومنقولات الأصمعي كما تشير أسانيد الأغانى وغيره تؤكد لنا شدة عنايته هو ومن روى عنه أو تلمذ عليه بالمسائل اللغوية والنقدية المتعلقة ببناء الشعر اللفظى أو اللغوى • واذا اتعبنا البحث عن هذه الظاهرة فى كتاب الاغانى فيكفى أن تتصفح كتاب الموشح(١٧) للمرزبانى لتجد الدليل على صحة كلام الجاحظ • بل يمكنك أن تكتفى

---

(١٦) انظر فصل (العصبية الفنية) فى كتابى (فى الادب العباسي) •

(١٧) بلاشير : تاريخ الادب العربي ص ١٢٠

بقراءة روايات الاصمعى عن شاعر واحد كبشار أو أو أبى انعتاهية[١٨] لتلاحظ بسهولة هذه الظاهرة فى حين أن أبا عبيدة وأمثاله من الاخباريين قد اهتموا بالروايات المتعلقة بأنساب الشعراء ونوادرهم وما جرى لهم مع فلان أو فلان ويمكنك ملاحظة ذلك فى أخبار بشار فى الاغانى[١٩] • والامر عينه بالنسبة الى سيبويه أو الأخفش حتى ان لجاجتهما فى نقد بعض أبيات بشار من حيث الاعراب والنحو مثلا قد عرضتهما الى لسانه السليط فهجاهما[٢٠] •

ولكن ليس هناك ما يؤيد أن هذا الجيل الثانى من الرواة أى جيل الاصمعى (م ٢١٥) وابىعبيدة (م ٢١١ هـ) وابى عمرو الشيبانى(م ٢١٣ هـ) وهشام بن محمد بن الكلبى (م ٢٠٦ هـ) والمدائنى (م ٢٢٥) وأمثالهم قد تركوا مؤلفاتأو مدوناتاختصت بدراسة حياة وشعر معاصريهم من القراء • صحيح ان كتب الفهارس والأدب قد ذكرت كتباً لهم تحمل اسم الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ولكن المرجح ان هذه المؤلفات دارت حول الادب الجاهلى والاسلامى الذى كانت حركة روايته وتدوينه قائمة على قدم وساق فى عهدهم • ولعل أحسن دليل على ذلك كثرة تردد أسمائهم فى أسانيد اخبار الجاهليين والاسلاميين فى كتاب الاغانى • ولم يرد فى منقولات أبى الفرج الخاصة بالشعراء المولدين أو المحدثين ما يدل على قيام الرواة المذكورين بالتأليف فى أخبار شعراء القرن الثانى • اذ كان لابد من مرور ردح من الزمن وظهور جيل جديد من الرواة عاشرا العصر الذى عاشه الشعراء المحدثون وانفعلوا بالتجارب النفسية والفنية التى انفعل بها المحدثون وتسنى لهذا الجيل الجديد قراءة دواوين المحدثين أو الاطلاع على مجموعات تشتمل عدداً كبيراً من الاغراض والفنون التى نظموا فيها لكى يتذوقوها ويدرسوها ويشيروا الىمواطنالقوة والضعف فيها ولا تنس ان الزمن بحد

---

(١٨) العمده ٢/ ٨٤

(١٩) تكشف أسانيد المرزباني في الموشح هذه الناحية بوضوح في المآخذ التي نسبها لهذه الطائفة من الرواة •

(٢٠) الاغاني ج ٣ •

ذاته عامل فعال في مثل هذه الحالة ، فقد درج النـاس على قلة الاهتمام بأمر النوابغ من معـاصريهم ، فالاديب الحي لا يحظى بما يحظى به الأديب الميت من احترام وتقدير • والمتوفى قبل وقت قصير لاينال الغاية التي ينالها المتوفى قبل سنين كثيرة •

لقد كان الزمن الذى مر على أبناء القرن الثـانى غنيـاً بثروات أدبية وفكرية وعلمية الذى سرعان ما أصـبحت جزءاً من التراث الأدبى الحى • فكان على الاجيال الجديدة من الرواة أن تعنى بأمر تدوينه والتأليف فيه •

لقد اختفت الطبقة الاولى من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية كما اختفى معظم شعراء وأدباء الطبقة الثانية التى ولدت فى صدر الدولة العباسية فكان على رواة القرن الثالث أن يشرعوا بتدوين آثار هؤلاء جميعاً • لقد تهيأ للرواة مجال جديد وجدوا فى ساحاته مادة غزيرة للعمل • أما الادب القديم فقد تم تدوينه بل أشبعه الرواة نقداً وتأليفاً • أضف الى هذا ان نظرة الجيل الجديد من الرواة قد تغيرت وان ذوقهم قد تطور ، وان تفكيرهم ونقـدهم قد اتسع فصـاروا أكثر تقبلاً لانتاج المحدثين • فالعصبية للقديم قد ضعفت أو ضاق نطاقها عندما ظهر رواة وأدباء ومدونون عاشوا عصر المحدثين وقرأوا شعرهم فأعجبهم جمال معانيه واستعذبوه لانه صور حياتهم المدنية الجديدة وعكس ما امتازت به هذه الحياة من مظاهر التطور العقلى وأسباب اللذة المادية والروحية • يقول آدم متز :

« فى القرن الثالث الهجرى صار الادباء الذين نشـأوا وتعلموا الأدب على تقاليد الفروسية ، ادباء من طراز جديد • يلمّون بكل شىء ، ويشبهون فى عصرنا هذا الصحفيين غير المتخصصين الذين يتكلمون فى جميع الأمور • ولهذا نجد العلماء يفرقون بين أنفسهم وبين الأدباء ، حتى قال ابن قتيبة : من أراد أن يكون عالماً فليطلب فناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليتسع فى

العلوم[٢١] وقد خرجت من بين فنون الآداب القديمة مجموعة من العلوم التربوية ، ولم يكن من العلوم حتى ذلك الحين ما له منهج علمي واسلوب علمي ، سوى الفلسفة وعلم الكلام ، ثم صار لكل من التاريخ والجغرافية واللغة منهجه الخاص ، وترك العلماء ما كانوا قد ألفوا قبل من اتخاذ المعارف وسيلة للتسلية ، كما أنهم اصبحوا لا يغالون في حشد المعارف على تنوعها ، بل أقبلوا على الدراسة العملية وعلى تنظيم المعارف ، وشعروا بما يجب من عناية ومحاسبة في تدوينها • وكانت الدعوة الى التدوين والتأليف قد اشتدت في القرن الثالث ، وصار الادباء والمفكرون يدعون الى تسجيل المعارف لحفظها من الضياع[٢٢].

وقال الدكتور فرانتز روزنتال : ففي القرن التاسع للميلاد[٢٣] كان من البداهة عند الناس أن النتاج العلمي والأدبي بجميع فروعه انما يتم عن طريق تدوينه ، فان المعرفة في نظر الجاحظ ، ذلك الأديب الذي كان يحث الكتاب ، هي تلك المعرفة التي يعتمد حفظها على الكتابة والتدوين • فقد جاء في كتاب الحيوان : قال بعضهم : كنت عند بعض العلماء ، فكنت أكتب عنه بعضاً وأدع بعضاً • فقال لي « اكتب كل ما تسمع فان مكان ما تسمع أسود خير من مكانه أبيض »[٢٤] ولم يستنكف المؤلفون المسلمون عن ذكر الجزازات التي كانوا يدونون عليها الملاحظات التي كانت تلقى عليهم في الدرس ، أو ينسخون فيها المقتبسات عن الكتب التي كانوا يقرؤونها ، وكانت تصبح فيما بعد المادة الاولية في تأليفهم[٢٥] •

---

(٢١) الاغاني ٣ انظر مقالي السابق (مصادر أخبار بشار) في العدد السابق من هذه المجلة •

(٢٢) العدد نفسه •

(٢٣) الاغاني (الثقافة) ٣

(٢٤) آدم متز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ١/٣٠١

(٢٥) يعني القرن الثالث الهجري •

لم تكن حركة التدوين فى القرن الثالث فى أول مراحلها اذن بل كانت فى مرحلة ثانية أرقى مما كانت عليه لأن المدونين نشطوا نشاطاً عظيماً فى القرن الثانى عندما اشتدت حركة حفظ التراث القديم وخاصة بعد شيوع استعمال الورق . فقد نقل الجاحظ عن عيسى بن ماهان « ان فى مكتبة يحيى (البرمكى) ثلاث نسخ من كل كتاب »(٢٦) .

ولاريب فى ان الجاحظ كان أبرز الادباء الذين أينعت فى انتاجهم ثمرات التدوين فاستفاد منها أعظم الفائدة ، حتى أصبح من أشد الناس شغفاً بكل ما هو مكتوب أو مدون . حدث الخطيب البغدادي باسناد الى محمد بن سليمان الجوهرى قال : كنا نصحب الجاحظ على سائر أحواله من جد وهزل ، قال : فخرجنا يوماً لنزهة ، فبينا نحن على باب جامع البصرة ، ننتظر شيئاً أردناه ، اذ عارضتنا امرأة معها أوراق مقطعة ، فعرضت ذلك علينا ، فلم نجد فيها طائلا ، فتركناها وانصرفنا ، وتخلف الجاحظ ، ونحن ننتظره ، فأطال ثم رأيناه قد وزن لها شيئاً وأخذ الاوراق ، وقال انتظرونى ، ومضى بها الى منزله ، فلما عاد أخذنا نهزأ به ونقول : فزت بقطعة من العلم وافرة ، وضحكنا ، فقال : أنتم حمقى ، والله ان فيها ما لايوجد الا فيها ، ولكنكم جهال لا تعرفون النفيس من الخسيس(٢٧) وواضح ان هذه الحماسة للتدوين ولكل ما هو مكتوب كانت ظاهرة بارزة فى القرن الثالث الهجرى ، والدليل على ذلك هذا الاهتمام الذى بان بجلاء ووضوح فيما كتبه الجاحظ عن الكتاب وتقريظه فى كتاب الحيوان(٢٨) . ولو أردنا أن ننقل أقواله لطال هذا البحث واتسع ولكنا نود أن نؤكد ان هذا التقدير للكتاب كان عاماً فى الوسط العلمى

---

(٢٦) الجاحظ : الحيوان ١/١٩ ـ ٤٨ وخاصة ص ٣٠

(٢٧) فرانتزروزنثال : مناهج العلماء المسلمين ٢٤

(٢٨) الحيوان ١/٣٠

والأدبي منذ أواسط القرن الثاني للهجرة • وما فتأ الحماس للكتب يزداد حتى بلغ الذروة في القرن الثالث • فكان أبو حاتم السجستاني يتمثل بقول ابن يسير لما ذكرت الكتب والدفاتر بين يديه :

فرداً تحدثني الموتى وتنطق لي
عن علم ما غاب عني منهم الكتبُ
هم مؤنسون وآلاف عنيت بهم
فليس لي في جليسٍ غيرهم اربُ
لله من جلساءٍ لا جليسهم
ولا عشيرهم للشر يرتقبُ(٢٩)

وكان الجاحظ يبيت في دواوين الوراقين للدراسة والنظر ، وكان شغفه هذا يزداد كلما تقدمت به السن ولم يخفف الشلل من حماسته حتى ان الروايات زعمت انه مات عندما انهالت الكتب عليه(٣٠) ولم يكن الجاحظ راوية بل كان أديباً ذواقه ، وقد عاصر أكثر الرواة المتعصبين للقديم ولكنه لم يتعصّب كما تعصّبوا بل كان يتذوّق أدب المحدثين • لهذا كانت اشاراته الى شعر بشار وأبي نواس والسيد الحميري وابي العتاهية كثيرة ، وكانت هذه الاشارات دقيقة في أغلب الأحيان لأن الجاحظ أديب يبحث عن الجمال الفني أينما كان سواء من ذلك الجاهليون أم الاسلاميون أم المولدون المجدثون ، أم الشعراء أم غيرهم • وعقلية الجاحظ هذه لم تكن نتيجة لمواهبه الفردية فقط بل كانت انعكاساً لعصر الازدهار والنفوذ والتدوين الذي كان الجاحظ من لسانه الفصيح • وقد ترك هو واضرابه أثراً في الوسط الأدبي عامة ، وعند المعنيين بالشعر وروايته خاصة ، فكان ابن قتيبة الذى ترك خطى

---

(٢٩) الخطيب البغدادي : تقييد العلم ١٣٨ انظر كتاب الحيوان ١/٣٠
(٣٠) المصدر السابق ١٢٣

الجاحظ ولم يبلغ مداه ، من جملة اولئك الذين يصرحون بأنهم لا يعجبون بالقديم لقدمه ولا بالحديث لحدوثه وانما يتأثرون ويعجبون بما هو جدير بالتكاثر والاعجاب(٣١) •

ونحن وان كنا نشارك الدكتور محمد مندور في آرائه عن ابن قتيبه ولا سيما وصف طريقته في نقد الشعر وتذوقه(٣٢)ولكنا مضطرون الى اتخاذ ما كتبه عن الشعراء المحدثين دليلا على قوة الحركة التدوينية التى اتجهت الى تقييد الأدب المحدث أو المولد ودراسته وفق مناهج منظمة نوعاًما • وكانت هذه الحركة قد نضجت ان صح هذا التعبير فى النصف الثانى من القرن الثالث وهى الفترة التى ألف فيها كتاب الشعر والشعراء • واذا كان ابن قتيبه لم يهتم الاهتمام اللازم بأدب المحدثين بالقياس الى اهتمامه بالقديم، فقد حفل عصره بعدد كبير من الادباء والكتاب الذين اولوا هذا الموضوع ما يستحقه من عناية واهتمام • واذا كانت أكثر مؤلفات هؤلاء قد ضاعت فقد وصل منها كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز وكتاب الورقه لابن الجراح فإذا أضفنا الى هذين الكتابين مؤلفات معاصريهما التى حفل الاغانى بالروايات المنقولة عنهم أو المقتبسة من كتبهم كيحى بن على والحسين بن على وهارون ابن علي آل المنجم والآخرين الذين سنبحث أمرهم بالتفصيل ••• أقول اذا تأملنا هذه الكتب والمقتطفات استطعنا أن نؤكد ان حركة تدوين ودراسة أدب القرن الثانى شعراً ونقداً قد انتظمت أو تمنهجت ان صح هذا التعبير • واستطعنا ان نؤكد أيضاً ان هذا النضج كان ثمرة حركة تدوين قامت على قدم وساق خلال النصف الأول من القرن الثانى الهجرى • فدواوين أكثر شعراء القرن الثانى البارزين كانت مدونة ومنتشرة بنسخ كثيرة • ولعل أكبر دليل على ذلك الاشارات الكثيرة الى دواوين الشعراء فى طبقات ابن المعتز • والقوائم الطويلة لدواوين الشعراء في كتاب الفهرست لابن النديم(٣٣)

---

(٣١) ياقوت : معجم الادباء •
(٣٢) ابن قتيبة ، مقدمة الشعر والشعراء تحقيق ديمومبين باريس١٩
(٣٣) مندور ، النقد المنهجي عند العرب •

أضف الى هذا ان كبار اللغويين والادباء الذين عاشوا خلال النصف الاول من القرن الثالث كانوا يقومون بشرح دواوين كبار الشعراء كما فعل ابن السكيت وأبو سعيد السكرى وأبو هفان وأبو العباس المبرد وعمر بن شبه وغيرهم وغيرهم . وكانت أخبار شعراء القرن الثانى الكبار مدونة أيضاً اذ قام الرواة بجمعها والتأليف فيها . والكتب الكبيرة التى تحمل اسم الشعر والشعراء وطبقات الشعراء التى أنفها رواة النصف الاول من القرن الثالث كثيرة يشير اليها ابن النديم وغير ابن النديم من كتاب التراجم والاخبار . واذا كان أكثرها قد ضاع مثل كتاب طبقات الشعراء أو الشعر والشعراء لدعبل الخزاعي ٢٤٦ والكتب الكثيرة الاخرى فى أخبار أبى نؤاس أو أخبار أبى العتاهية ... الخ .

فقد وصلت مقتطفات منها فى المصادر القديمة كما وصل الينا كتاب أخبار أبى نواس لأبى هفان المهزمي المتوفى سنة ٢٥٦ هـ وهو كتاب يساعدنا على تكوين فكرة عن الاسلوب الذى اتبعه المؤلفون الاوائل فى الشعر والشعراء .

هذه المؤلفات كلها سواء فى ذلك ما وصل منها وما لم يصل كانت حصيلة حركة رواية وجمع وتدوين اتجهت الى التراث الشعري والخبري الذى تركه المولدون وكان الحماس فى هذا المجال وخاصة فى أواخر القرن الثالث لا يقل عن الحماس الذى ابداه الرواة فى رواية الأدب القديم وجمعه وتدوينه . وقد دلت على سعة هذه الحركة الجديدة ظواهر ثلاث :

١ ـ كثرة المؤلفات أوالمدونات التى تركها رواة القرنين الثالث والرابع وتناولوا فيها شعراء وأدباء العصر العباسي الاول . وقد أشارت الى أسماء هذه المؤلفات كتب الفهارس والتراجم حتى أصبح بامكاننا تهيئة قوائم كبيرة لهذه المؤلفات .

٢ ـ تدوين دواوين شعراء القرنين الثانى والثالث وتبويبها وشرحها وتعدد أساليب هذا الشرح والتبويب • وقد ساعدت هذا التدوين عوامل شتى منها اهتمام الشعراء المحدثين بكتابة أشعارهم بأنفسهم أو بواسطة كتاب محترفين يستأجرونهم لهذا الغرض ومنها ظهور صنف جديد أو طبقة جديدة من رواة الشعر أخذت على عاتقها ملازمة كبار الشعراء المحدثين والاهتمام بتسجيل أشعارهم وأخبارهم أو روايتها • ومنها أيضاً انتشار حرفة الوراقة وتطورها نتيجة لتطور الحياة العلمية واتساع تجارتها وتكاثر أرباحها فكانت الدواوين والكتب الرائجة تكتب بمئات النسخ ثم تباع للناس بأسعار كبيرة ومنها ظهور الميل الى اقتناء الكتب واهتمام الاوساط الرسمية والافراد بتكوين خزانات الكتب كخزانة بيت الحكمة التى أمر المأمون بانشائها وخزانة البرامكة التى كونها الفضل بن عيسى البرمكي في القرن الثاني وخزانة علي بن عيسى المنجم وابنه يحيى بن علي في القرن الثالث وخزانة محمد بن يحيى النصولي في القرن الرابع وغير ذلك من الخزانات الخاصة التى جمعها كبار العلماء والادباء والأعيان حتى أصبح امتلاك خزانة كتب من علامات الظرف والعلم ومن دواعي المباهاة والفخر ومن الدلائل على ان أصحابها من ذوي المكانة البارزة في المجتمع •

٣ ـ ظهور مئات الرواة المختصين وغير المختصين الذين انصرفوا الى رواية الأخبار والنوادر والأشعار الخاصة بهذا الشاعر أو ذاك حتى أصبح ذكر هؤلاء الاشخاص فى أسانيد الروايات الشفهية والكتب المدونة من الادوات اللازمة لتقوية المنقولات الخبرية والشعرية ، ومن الشروط الواجب اتباعها لاسناد الخبر وطبعه بطابع الدقة والصحة ، ومن دلائل الامانة التاريخية • ومراجعة أسانيد كتاب الأغانى فى تراجم شعراء القرنين الثانى والثالث وكتب التراجم الاخرى التى اهتمت باسناد معطياتها تكشف لنا هذه الاعداد الكبيرة من رواة الاخبار حتى صار من العسير علينا معرفة الكثير

منهم • والحق ان الباحث لتأخذه الدهشة لكثرة الناس الذين اشتغلوا برواية الاخبار والاشعار • وقد شجعت هذه الظاهرة الفريدة في تاريخ الآداب عوامل شتى أيضاً كاتساع حركة التدوين والتأليف وكسب المال عن طريق الرواية وحب الظهور وطلب الشهرة باقتران أسماء الرواة ولاسيما المغمورين منهم بأسماء كبار الشعراء والكتاب ... الخ •

***

ان دراسة مصادر الأدب العباسي وتتبع حركة تقييده أو تدوينه تستوجب ذكر هذه العوامل الثلاثة في شيء من التفصيل ولاريب في أن هذا التفصيل وان كان محلاً يلقي أضواء كاشفة على هذه الحركة التدوينية الجديدة كما يرسم له صورة واسعة فيذهله للنشاط الذى أبداه أسلافنا في حفظ التراث الأدبى وتطوير المناهج والأساليب المتبعة في هذا المضمار • فالظاهرة الاولى أعني كثرة المدونات أو الكتب المؤلفة في الشعر والشعراء تدفعنا الى أعداد قائمة بهذه الكتب • والظاهرة الثانية أى تدوين الدواوين وشرحها وتبويبها يتطلب ذكر الدواوين التى دونت سواء في ذلك الضائعة أو الواصلة الينا وبيان أسماء الذين اشتغلوا في هذا المجال ومعرفة الاساليب والطرق المختلفة التي اتبعوها أو ساروا عليها •

أما الظاهرة الثالثة فقد تمثلت في كثرة الناس الذين اشتغلوا برواية أخبار الشعراء وتكشف أسرار هذه الظاهرة دراسة أسانيد شعراء للقرنين الثاني والثالث التى أوردها كتاب الاغانى خاصة والكتب الاخرى عامة • ولا ريب في أن هذه الطريقة وان كانت عسيرة منهكة يمكن أن تعرفنا على عشرات بل مئات الاخباريين والأدباء الذين طمس التاريخ معظمهم ولم يبق من آثارهم غير هذه المنقولات التي حفظتها لنا المصادر القديمة •

الدكتور علي الزبيدي

دراسة النظم الزراعية
في أودية
الرافدين والنيل والسند

الدكتور نوري خليل البرازي
استاذ مساعد في قسم الجغرافية

قبل التوغل فى دراسة النظم الزراعية فى هذه البيئات الثلاث ذات الحضارات الزراعيــة العريقــة ، نود أن نقف بالقارىء عند الحقائــق الاساسية التي تنعكس آثارها فى الحياة الزراعيــة . إن ابرز ما تتميز به هذه الاقاليم هو شكل السطح وتكوينه ، ونوع التربة والمناخ ، وطريقة انسياب الانهــار فى بطــون هــذه الأودية وتكوينها لهــذه الاراضي الزراعية . لقــد لعبت هــذه الانهــار دوراً عظيماً فى تاريخ الحضارات الزراعية التي ترعرعت على ظفافهــا . فنظام الري الاصطناعي كان عماد تلك الحضارات القديمــة كالحضارة السومرية والبابليــة والفرعونيــة والهندية . لا تزال تلك الانهار تعمل عملها الايجابي فى النشاط الزراعي الحــديث . لولا وجود هــذه الانهــار لاصبحت تلك الاودية النهرية وســهولها الفيضية صحــارى مقفره لا ينمــو فيها زرع ولا يسكنها انسان . تتميز هــذه السهول المترامية الاطراف بتربات رسوبية تتشابه مع بعضها فزيوغرافياً لأنها تكونت بواسطة رواسب هــذه الانهار . أما وجود الاملاح فى ترباتها فهو وجه آخر من اوجه الشبه الذي عنده تلتقى هــذه الاقطــار .

أما مايتعلق بالعامل البشري فهــو الجانب الثاني الذي تظهر آثاره فى الحياة الزراعية . فالسياسة الزراعية ، وطريقة استغلال الارض ، ونوع الناتج وكميته ودرجة تقدم هذه المظاهر ليست الا صورة صادقة لنشاط الانسان الذي يعيش فى هــذه الاقطــار .

فى ضوء هــذه العناصر يمكن أن نبحث الموضوع جملة وتفصيلاً على النحو الآتي : ــ

وجملة جديدة لتفهم الحياة الزراعية فى هــذه الاقطار تفهماً تاماً واعياً يجب ان ندرك مدى التفاعل بين الزراعة وبين عناصر انتاجهــا التي تتكون من شقين اساسيين هما البيئة الطبيعية والانسان .

العناصر الطبيعية :

تختلف تربات هذه الاودية من حيث التكوين الكيماوي والمواد العضوية التي تدخل فى تركيبها • فتربة وادي النيل مشتقة من الصخور البركانيةوالحديدية اللاتريتية المنقولة من هضبة الحبشة وهضبة البحيرات فى المنطقة الاستوائية ، ولهذا تميزت بكونها تربة طينية ثقيلة داكنة ، بينما تربة سهول العراق ووادي نهر السند قد اشتقت من الصخور الجيرية والرملية والطينية الموجودة فى اوديتها العليا • ففي العراق اصبحت التربة السائدة كلسية لأن هذا العنصر هو الغالب فى منطقة التغذية فى جبال تركيا والعراق الشمالي وايران وسوريا • نتيجة هذه التكوينات الجيولوجية سميت بالتربة « الرمادية السمراء الخفيفة » • أما تربة وادي السند فهي الاخرى انحدرت من منابع التغذية الكائنة فى المنحدرات الشمالية الغربيـة لجبال الهملايا التي تتكون جيولوجياً من الاحجار الرملية والجيرية لذلك كان لون التربة أسمراً ورمادياً •

أما الطريقة التي تكونت فيها هذه السهول النهرية فهي متناظره لأنها تخضع لعوامل متشابهة • تقوم الامطار والثلوج والرياح فى مناطق التغذية بعمليات التعرية من تكسير الصخور وتفتيتها ونقلها الى الاجزاء الدنيا من هذه الاودية ، حتى قامت اخيراً بعملية البناء التي ادت الى تكوين هذه السهول •

من عناصر البيئة الطبيعية المناخ الذي تتشابه مظاهره فى بعض هذه الاودية وتختلف فى البعض الآخر • تسقط الامطار الاعصارية شتاءً وربيعاً فى هذه الاقطار جميعاً وتنعدم صيفاً ماعدا حوض نهر السند الذي يستلم الامطار شتاءً من الاعاصير الغربية ، وصيفاً من الامطار الموسمية الوافدة اليه من الهند • يتراوح المعدل السنوي لسقوط الامطار الشتوية فى سهول هذه الأودية الثلاث ما بين (١٠٠ — ١٦٠) مليمتراً ، أما معدل الامطار الصيفية التي ينفرد بها حوض السند دون غيره من هذه البلاد فتصل فى المتوسط الى (٢٠٠) مليمتراً وتسقط فى العادة فى شهري تموز وآب

تتميز هذه الاودية ايضاً بحرارة مرتفعة صيفاً ومعتدلة شتاءً ، حيث تصل متوسطاتها فى الصيف (حزيران وتموز وآب) الى حوالي (٩٠° ف) ، بينما تنخفض فى الشتاء الى (٦٠° ف) (كانون الاول وكانون الثاني وشباط) •

لما كانت هذه الاودية تقع على عروض المنطقة المعتدلة الدفيئة من ناحية وعلى حافات الصحارى المدارية الحارة فى الحافاة الغربيَّة من القارات من ناحية اخرى ، فقد اصبح الجفاف طابعها المناخي • فالصحراء الغربية والشرقية تحفان بوادي النيل من الجانبين والصحراء العربية تجثم على الجانب الغربي لوادي الرافدين من اقصاه الى ادناه ، وما ينطبق على هذين الاقليمين ينطبق على وادي السند الذي تطل عليه من الشرق صحراء ثار • لقد تحكم الموقع الفلكي ، والوضع الجغرافى لهذه الاقطار فى خلق نظام الزراعة الاروانية حتى اصبح الارواء الاصطناعي القاعدة الاساسية فى نشأة الزراعة واستمرارها وتشابه الكثير من مظاهرها فى هذه البلاد ، والاعتماد عليها •

هناك وجه آخر للمقارنة بين هذه الأودية هو نظام جريان الانهار ومستوى مناسيب المياه فيها خلال العام • ترتفع المناسيب فى نهر النيل من حزيران حتى تصل الحد الاعلى فى ايلول بسبب سقوط الامطار الصيفية فى مناطق التغذية فى الحبشة وهضبة البحيرات الاستوائية ، وفى تشرين الثاني تبدأ بالهبوط حتى يصل المنسوب فى النهر الى الحد الادنى فى نيسان ومايس لقلة سقوط الامطار فى مناطق التغذية • أما فى دجلة والفرات فأن الصورة عكسية لما رأيناه فى حوض النيل حيث يصل اعلى منسوب فيهما فى شهري آذار ونيسان ، وأوطأ منسوب فى شهر آب • وفى العادة يبدأ منسوباهما بالارتفاع من الخريف ويستمر فى الشتاء بسبب سقوط الامطار فى مناطق التغذية حتى يصل الى قمته فى الربيع بسبب ذوبان الثلوج التي تسبب الفياضانات المرتفعة سنوياً •

وتتيجةً لاختلاف الظروف المناخية فى مناطق تغذية هذين الحوضين وجدنا ان نظام مناسيب الانهار من حيث الزمن قد اختلف فى الاقسام الدنيا منهما ، مما ترتب عليه اختلاف فى نظام زراعية الغلال فى القطرين • ففي

مصر امكن الاستفادة من مياه الفيضان فى الزراعات النيلية كالذرة والرز وغيرهما ، بينما فى العــراق اصبحت الزراعة مستحيلة بعد الفيضان لأن الفصل الذي يعقب الفيضان يمتاز بحرارة الصيف المرتفعة المصحوبة بعملية تبخر شديد تسبب جفاف الارض الأمر الذي لايساعد الارض على الاحتفاظ بالرطوبة اللازمة للنبات ، وهــذا بعكس مايحدث فى وادي النيل الذي ينتهي الفيضان فيه بانتهاء فصل الحرارة وبداية فصل الخريف ، وهــذه ظاهــرة تساعد الارض على الاحتفاظ بالرطــوبة الكافية لنمو الغــلات الزراعيــة المسماة « بالزراعات النيليــة » ٠

فى سهل نهر السند توجد قمتين لمناسيب النهر ، يبدأ اولها بالارتفاع اعتباراً من منتصف شــهر آذار عند ذوبان الثلوج فى منطقة التغذية فى جبال الهملايا ، وهذه الظاهرة المناخية تشبه مايحدث فى انهار العراق عند ارتفاع مناسيبها فى الربيع بسبب ذوبان الثلوج فى مناطق التغذية فى جبال تركيا وايران والعــراق الشمالي ، أما المنسوب الثاني لنهر السند فهــو يحــدث فى شهري آب وايلول ويكون فى العادة أعلى من الاول بسبب سقوط الامطــار الموسمية ٠ يكون نهــر السند فى هــذه الحال مشابهاً للظــروف المناخية فى اعالي نهــر النيــل وذلك لحصولهما على الامطار الصيفية ٠ أما أوطأ منسوب لنهر السند فهــو يحدث فى الفترة الواقعة مابين كانون الثاني وآذار ٠ إن لنظام المناسيب فى نهر السند أثر فعال فى حياته الزراعية لأنه يوفر للزراعة المياه الكافية فى فصل الشتاء والصيف ، بينما هبوط المناسيب صيفاً فى نهري دجلــة والفــرات يؤدي الى نقص المــوارد المــائية التي تحتاجها المزروعات الصيفية ، ولذلك باتت هــذه الظاهرة من امهات المشكلات التي ادت الى تخلف الزراعة فى العراق ٠

العناصــر الحضــارية :

أن من أهم مظاهر العناصر الحضارية التي يمكن ملاحظة آثارها فى نظام الزراعة فى هذه الأودية الثلاث هي : التقاليد الزراعية ، وامكانيات الانسان ، وحيازة الملكية ، ونظام استغلالها ، ونوع الغلات الزراعيــة ، والمشكلات التي تواجه زراعتها ، وكيفية علاجها ، واخــيراً السياسات الزراعيــة المتبعــة ٠

التقاليـد الزراعيـة :

تتشابه الزراعة فى هذه الاقاليم فى بعض التقاليد وتختلف فى البعض الآخـر ، فمثلاً تتفاوت فى درجـة استخدام الاساليب العلمية والفنية المتبعة ، كالدورة الزراعيـة واستعمال المخصبات الكمياوية ، وطـرق مكافحة الآفات الزراعية ، واستثمار التربات بالغلات الملائمـة لتركيبها الفزياوي والكمياوي والعضوي ، وكذلك استعمال الآلات الميكانيكية من محاريث وحاصدات ودارسات ومضخات وغيرها • ففي وادي النيل يمارس الفـلاح المصري الكثير من هـذه التقاليد الزراعية بطريقة فنية كالدورة الزراعية ، والاسمدة المعدنيـة ، وزراعة الغـلات فى التربات الأكثر ملاءمة لنموها ، فهو فى خبرته هذه لا يختلف عن الفلاح الأمريكي أو الأوربي ، بينما الفـلاح العراقي والباكستاني لم يصل بعد الى نفس المستوى الذي يتمتع به الفلاح فى الجمهورية العربيـة المتحـدة ، فهما يستعملان الدورة الزراعية البدائية (نظام البور) ، وهـذا نظام بدائي يؤدي الى قلة الحاصل فى الوحـدة الزراعية ، ويقتصر على نوع واحد من الغلال فى الموسم الواحد ، كما ان الاسمدة المعدنية لا تستعمل الا فى نطاق ضيق • لقد خطت مصر الى الامام خطـوات واسعة فى هذه النظم الزراعية الحديثة حتى باتت غلة القطن محور هذه الدورة الزراعية •

أما قابليات التربة فى العـراق والباكستان لا تزال مجهـولة لدى الفـلاح لأنه لا يمـيز مدى صلاحيتها للغـلات المختلفة بقـدر خبرة الفـلاح المصري لتربة بـلاده ، وما نجـاح زراعة الاقطـان المصرية المتنوعة الا نتيجة لهـذه الخبرة •

واخـيراً نقـول ان العـراق والباكستان مفتقرة الى الاخصائيين والخبراء والاداريين والمهندسين والعمال المهرة فى الزراعة اذا ما قورنتا بالجمهورية العربية المتحدة • أما الاعمال الحقلية فهي الاخرى تحتاج الى التوسع فى انشاء المختبرات لمعرفة التربة مثلا أو محطات زراعية وحيوانية تجريبية •

أما قلة استعمال الآلات الميكانيكية فهي ظاهرة تشترك فيها جميع هذه الاقطار الثلاث • فالآلات البدائية لا تزال تحتل المكان الاول فى الاعمال الحقلية ، ومن الامثلة على ذلك استخدام الحيوان فى الحراثة وفى رفع المياه من الترع والانهار ، ونقل المحاصيل ودواستها ... الخ •

الملكية الزراعية :

أن الملكية الزراعية من الامور الهامة فى مثل هذه البلاد لأنها مصدر المعيشة لمعظم السكان وتمثل القاعدة الاساسية للثروة الاقتصادية ، ولهذا كانت حكومة هذه الاقاليم تعيرها العناية التامة منذ قيام حكومات وطنية فيها لأنها تدرك جيداً أن الرخاء الزراعي والاستقرار الاجتماعي ورفع المستوى المعاشي للافراد وازدهار الاقتصاد القومي لا يتحقق الا بحفظ حقوق الطبقة العاملة فى الزراعة لأنها تمثل السواد الاعظم من شعوب هذه المناطق •

كان نظام الملكية وحيازتها متشابه الى حد كبير فى هذه الاقطار ، غير انه تعرض الى التغيير فى كل من العراق والجمهورية العربية المتحدة ، بينما فى وادي السند لا يزال النظام الاقطاعي معمولاً به • تشير الاحصائيات الى أن (٦٥٪) [1] من الملاكين فى وادي السند يملكون زهاء (٤ر٧) مليون فداناً من الارض الزراعية ، بينما (١ر٠٪) من المزارعين يمتلكون ارضاً تبلغ مساحتها (٧٥) مليون فداناً موزعة على شكل إقطاعيات كبيرة تزيد مساحة الملكية الواحدة على (٥٠٠) فداناً • أما نظام الحيازة فيشبه الى حدٍ بعيد ماكان قائماً فى العراق قبل صدور قانون الاصلاح الزراعي فى عام ١٩٥٨ ، وكذلك يماثل ماكان متبعاً فى مصر قبل عام ١٩٥٢ •

ففي العراق كانت الملكية الكبيرة هي السائدة ، وقد قدرت مساحتها ما بين (١٠٠٠ — ١٠٠ر٠٠٠) [2] دونماً • وتشتمل هذه الملكيات على مساحة قدرها (١٥ر٨٥٥ر٥٧٤) دونماً أو مايعادل (٦٨٪) من مجموع مساحة الملكيات الأخرى فى العراق • يمتلك هذه الاراضي عدد محدود

---

(1) "Pakistan News, No. 42." London, March, 23, 1959.

(٢) « الجغرافية الزراعية لحوض الفرات الاوسط » ١٩٦٠ • الدكتور نوري خليل البرازي ، ص: ١٩٥ •

من السكان يقدرون بحوالي (٢٪) من مجموع السكان • أما مساحة الملكيات الصغيرة فتقدر بحوالي (٢٫٥٠٠٫٠٠٠) دونماً أو مايعادل (١٠٫٥٪) من مجموع الملكيات ويمتلكها حوالي (٨٦٪) من السكان • هناك الملكيات المتوسطة التي تقدر بـ (٥٫٠٠٠٫٠٠٠) دونماً أو مايعادل (٢١٪) من المجموع العام لمساحة الملكيات وترجع ملكيتها الى (١٢٪) من السكان •

في مصر كان (٩٠٪) [٣] من الملاكين قبل عام ١٩٥٢ يمتلكون (٣٣٪) من الاراضي الزراعية • لقد تغير نظام حيازة الارض واستغلالها في كل من مصر والعراق بعد صدور قانون الاصلاح الزراعي وبدأ توزيع الملكيات الكبيرة على الفلاحين على شكل وحدات استثمارية يكون الحد الاعلى لهذه الملكيات الجديدة (٢٠٠) فداناً في مصر و (١٠٠٠) مشارة في العراق في الاراضي الاروائية و (٢٠٠٠) دونماً في الاراضي المطرية ، بينما في الباكستان بقي النظام الاقطاعي معمولاً به •

نظرة سريعة الى تاريخ هذه الاقطار ترينها أنها خضعت جميعاً للنفوذ البريطاني سنوات عديدة ولم تتحرر حتى وقت قريب • تأثرت بالحكم البريطاني في معظم مظاهرها ومنها النظم الاقتصادية وخاصة الحياة الزراعية وعلى الأخص المحافظة على النظام الاقطاعي وتشجيع السلطات الاستعمارية على بقائه وكذلك العمل على المحافظة على الاساليب الزراعية القديمة لذلك مرّت هذه الاقطار في فترة جمود للزراعة الا في بعض نواحي معينة منها املتها طبيعة التقدم العام في هذه الاقطار •

ومما تجدر الاشارة اليه هو نسبة كثافة السكان في الاراضي الزراعية لأنها ظاهرة تلفت النظر لشدة علاقتها في الانتاج الزراعي • تبلغ كثافة السكان في ارض العراق الزراعية حوالي (٣٥) نسمة في الكيلو متر المربع الواحد و (٢٨٧) نسمة في الباكستان و (٦٦٨) نسمة في وادي النيل • تدل هذه الارقام على ازدحام الاقليمين الاخيرين بالسكان

---

(3) "Land Reform and Development in the Middle East" 1957. pp. 31—6. D. Warriner.

لذلك تعتبر ظاهرة ضغط السكان فيهما من المشكلات التي تشغل بال المسؤلين وتسترعي العمل على حلها بالطرق العملية • ان ظاهرة الضغط الديموغرافى فى هذين القطرين قد نشأت عن عدم التوازن بين عدد السكان والموارد الزراعية الغذائية ولذلك انخفض المستوى المعاشي فى هذين القطرين ، بينما فى العراق يختلف الوضع من حيث هذه الظاهرة السكانية بسبب توفر موارد الارض الزراعية اذا ماقورنت بعدد سكانه • ومن هنا نجد ان مساحة الملكية الاستثمارية التي يحضى بها الفلاح العراقي اكبر منها فى مصر بعد تطبيق قانون الاصلاح الزراعي •

ونتيجة لضغط السكان فى هذين القطرين فقد وجد نظام الزراعة الكثيفة وذلك بغية انتاج اكبر كمية ممكنة من المواد الغذائية لمواجهة هذه الاعداد الكبيرة من السكان • أما النتائج الأخرى المترتبة على هذا العدد المتزايد من السكان هو انخفاض مستوى المعيشة بين طبقة الفلاحين بسبب صغر حجم الملكية وقلة دخلها • أما فى العراق فالاراضي الزراعية واسعة تقدر بحوالي (٤٩) مليون مشارة أو مايعادل (١٢١ر٠٠٠) كيلو متر مربع وهي تزيد عن حاجة سكانه البالغ عددهم (٧) ملايين أو مايعادل (٣٥) نسمة فى الكيلو متر المربع الواحد • من هذا العرض نستطيع أن نقول بأن قلة السكان فى العراق هي أحد عوامل تخلف الزراعة فى العراق ولذلك كان تدهور مستواهم المعاشي ناتج عن تخلف الانتاج الزراعي، بينما فى مصر كان عدد السكان عاملا مساعدا على التقدم الزراعي وخاصة فى زراعة بعض الغلات مثل القطن وقصب السكر ، ولكن الظاهرة التي تلفت النظر هي عدم توازن السكان مع موارد الارض المحدودة ، وقد ظهر أثر ذلك فى انخفاض مستوى المعيشة •

الــري :

كنا قد أشرنا فى بداية هذا البحث الى المناخ الجاف الذي تمتاز به هذه المناطق مما ترتب عليه اعتماد الزراعة على نظام الري الاصطناعي ، لذلك بات توفير الماء أمر ضروري لقيام الزراعة واستغلال الاراضي • إن هذه الظاهرة قديمة فى هذه الاقطار ، فقد كان الانسان ولا يزال يتدخل فى النظام الاروائي والسيطرة على مياه الانهار والاشراف عليها وبذل

الجهـود فى تنظيمها ، وهـذا ما حصل فى جميع الادوار التاريخية التي تواترت على تربة هـذه الاقاليم ، إن تدخـل الانسان فى أمور الزراعة والري كان لابد منه لأجـل التغلب على عقبات البيئة الطبيعية من المناخ الجاف والتربة المـالحة والفياضانات الطاغية وذلك برفع الموارد المـائية من الانهـار وايصالها الى الحقول الزراعية • بما أن معظم اراضي هذه الأودية تعتمد فى الزراعة على الطريقة الاروائية كما هي الحال فى وادي الرافدين والسند ، وكلياً على نظام الري مثل الجمهورية العربية المتحدة فقـد وجب على الانسان فى هـذه البلاد أن يسيطر على مياه الانهـار والعمل على تنظيمها بواسطة الري • ففي الاقسام الشمالية من العـراق والسند تستلم الارض الامطـار الشتوية لذلك كانت ظاهرة الزراعـة تعتمد على الامطار ، بينما فى مصر العليـا لا يسقط من الامطار الشتوية ما يكفي الزراعة لذلك كان الري طابع الزراعة فى جميع الاقليم • نستنتج من هـذا أن قيام الري فى هـذه الاقطار هو وليد المناخ الجاف فيها ، فالامطار قليلة لا يتجاوز معدلها السنوي عن (٥) [١] بوصات ، ومعدل حراري يصل فى الصيف الى حوالي (٩٠° ف) ، ورطوبة نسبية منخفضة لا تزيد فى المتوسط عن (٥٠ ــ ٦٠٪) • بالاضافة الى هذا المناخ هناك طوبغرافية ملائمة لانشاء شبكة من الجداول تأخـذ المياه من الخزانات وخلف السداد المقاومة فى مجاري الانهار فى المناطق التي تكون المناسيب فيهاأعلىوبذلك تجريهذه الشبكاتالىالأجزاء السفلى منهذه الادوية•

بعد معرفة هذه الحقائق يسهل على الباحث فهم اساليب الري المتبعة فى هذه الاقاليم والفروق ما بينكل نظـام وآخـر أو ما يتشابه منهـا وانعكاسها فى المحاصيل التقليدية ودرجة تطورها فى كل قطر •

تتكون شبكة الري فى وادي السند من خمس مشاريع رئيسية تقوم بوظيفة خزن المياه فى النهر والسيطرة علىالمياه الزائدة وذلك لرفع مناسيبه فى وقت الجفاف بغية اعادتها الى النهـر وتوزيعها فى النهاية الى المزارع

---

(١) يستثنى من ذلك الاقسام العليـا من وادي الرافدين والسند حيث تزيد من كمية الامطار السنوية الساقطة فيها عن خمس بوصات .

بواسطة الجداول والترع • من أشهر هذه المشاريع سد كورام (Kurram) وخزان (Waska) وسدة سكر وغيرها من المنظمات الأخرى •

أما مشاريع نهر النيل فهي مقامة لنفس الغرض ومشيدة بنفس الطريقة ولكن وجه الاختلاف يظهر فى نوع المشروع ومدى طاقته فى الخزن وقدرته على الارواء • ومشاريع النيل تمتاز بكثرتها ، وتنظيم توزيعها على مجرى النيل من الجنوب الى الشمال • ومن أهمها سد جبل الاولياء وسنار فى أعالي النيل فى ارض السودان ، أما السد العالي وسد اسوان فهما فى داخل الحدود المصرية يقعان فى الوجه القبلي • أما شبكة السداد (القناطر) فهي تنتشر فى مجرى النهر لتوزيع المياه الى الاراضي الزراعية اعتباراً من الصعيد فى الجنوب الى الوجه البحري فى الدلتا (الشمال) • يتم هذا التوزيع عن طريق ترع تنساب المياه فيها بصورة مستمرة طول العام واحياناً بواسطة المضخات وآلات رفع أخرى بدائية (الناعور) ترفع الماء من مجرى النهر •

فى العراق كان نظام الري قديماً وقد تطور بمرور الزمن منذ العهد البابلي حتى وصل اوجه فى العهد الساساني والعربي ، ثم أفل نجمه فى العصور المظلمة على يد المغول والترك وما أن حلَّ الحكم الوطني حتى أنتعش ثانية ليستعيد مجده الغابر • لقد كان أول المشاريع المحدثة سدة الهندية والترع التي تأخذ المياه من خلفها منذ عام ١٩١٣ ، وقد تلت هذا المشروع تنظيمات اروائية أخرى على الفرات ودجلة وروافدهما طيلة الفترة التي أعقبت بناء سدة الهندية حتى يومنا هذا • من أهم هذه الشبكات الاروائية هي الترع والجداول والنواظم المتفرعة أمام سدة الهندية على الضفة اليسرى واليمنى من نهر الفرات وخاصة شط الحلة وتنظيماته التي تغطي معظم منطقة السهل الرسوبي ما بين دجلة والفرات •

أما خزان الحبانية وسدة الرمادي على الفرات فهي حديثة ، وكذلك سدة سامراء وخزان الثرثار وقبلها اقيمت سدة الكوت على نهر دجلة وجداول الري المتفرعة منها فى منطقة الكوت ، والى جنوبها تقع مجموعة القنوات المتفرعة من النهر فى منطقة العمارة • أما شبكة الترع المتفرعة

من خلف السد الثابت على نهـر ديالى فهي شبكة قديمة تأتي فى المرحلة الثانية بعد مجموعة الهندية • هناك مشاريع احدث تتكون من سد دوكان على الزاب الصغير ودربندي خان على أعالي نهر ديالى وغرضها السيطرة والخزن لمد النهر الرئيسي بهذه المياه عند هبوط مناسيبه فى منطقة السهل الرسوبي فى فصل الصيف وهو الوقت الذي تكون الزراعـة فى حاجة ماسـة الى هـذه المـوارد المـائية •

الغلات الزراعية والأساليب المتبعة :

بالرغم مما احرزته هذه الاقطار من تقدم فى اساليب الري الا انها لا تزال تشكو نقصاً وخاصة فى حوض الرافدين والسند ، والدليل على ذلك ان الوسـائل القديمـة (كالناعور والكرد) لا تزال تستعمل •

أن هذه الاقطار بالرغم من تشابه ظروفها الجغرافية ووسائل الري نجـدها تختلف في اسـاليبها وفى التخصص الزراعـي وفى الطـاقة الانتاجية • ففي وادي الرافدين مثلاً نلاحظ ان غلة الشعير غلة رئيسية وتحتـل حـوالي (٥٠٪) من مجموع المحاصيل السنوية ، أما القمح والنخيل فلهما المركز الثاني ، بينما القطـن والرز والفواكه والخضروات تحتل المرتبة الثالثة من حيث الكمية والنوعية • وبمقارنة هذه بمحاصيل وادي النيـل نجـد اختـلافاً ملحوظاً ، فالقطـن والذرة والبرسيم هي الحاصلات التقليدية فى الدورة الزراعية ، ويشغل القطن حوالي (٢١٪) من مجموع المساحة المنزرعة سنوياً ، أما القمح والشعير والرز والذرة والتمور وقصب السكر فتحتل المكان الثاني بين الحاصلات الاخرى • فى العراق نلاحظ أن الشعير والنخيل هي الحاصلات النقدية وتشغل مساحة قدرها (٦٠٪) من مجموع مساحـة الحاصلات السنوية ، واذا أضفنا اليهـا مساحة القمح أرتفع هذا الرقم الى حوالي (٧٦٪) • أما فى وادي النيل فأن مساحة القطن والذرة والبرسيم فتبلغ (٦١٪) من مجموع مساحة الحاصلات السنوية • فى حوض السند نجـد الرز والقمح تحتلان اكثر مـن (٧٠٪) من مجمـوع المسـاحات المزروعـة سـنوياً بمختلف الغلات • أن هذا الاختلاف فى التخصص من حيث النوع والمساحة لكل غلة فى كل بلد يرجع الى طبيعة الظروف الجغرافية ، والى حاجة الفلاح الغذائية ، والى

التقاليد الزراعية الموروثة ، وكذلك الى سياسة الحكومة الزراعية ، ومن الامثلة على ذلك زراعة القطن فى الجمهورية العربية المتحدة • إن هـذا النبات يتحكم فى نظام الدورة الزراعية لأنه غلة نقدية مربحة وغير قابلة للاستهلاك من قبل الفلاح لذلك يلائم الملاكيين ، هذا بالاضافة الى ان أبواب المصارف والبيوت المالية الأخرى مفتوحة أمام مزارعى القطن لمنحهم القروض والمساعدات المالية ، والى جانب ذلك وجود السوق الاستهلاكية الخارجيةوالداخلية•لهذهالعوامل سادتزراعته واخذتتنتشرخلالالحكم البريطاني فهي المستهلك الاول لأن مصانع القطن فيها كانت تعتمد اعتماداً كبيراً علىالقطنالمصري الخام•ومن العوامل المحلية الاخرىتوفر الظروف الطبيعيةكالتربة الرسوبيةالخصبة ،والمناخالحار المشمسالخالي منالصقيع، وضياء الشمس المتوفر • أما العوامل البشرية المتمثلة باليد العاملة الكبيرة والرخيصة ذات الخبرة كانت أيضاً دافعاً مهما فى توسع زراعته ، وهناك نظام الري الذي يعتبر الركن الاساسي فى تقدم زراعة القطن وانتشاره فى جميع جهات الوادي ، ومما يؤكد هذه الظاهرة هو ملازمه تطور زراعة القطن لتقدم نظام الري فى مصر لأنه من النباتات الصيفية التي تحتاج الى كمية كبيرة من الماء لا يمكن توفرها فى مثل هذا المناخ الجاف الا تحت النظام الاروائي • لا تتوفر هذه الظروف فى العراق والباكستان بنفس الدرجةالتي تتمتعبها زراعة القطن فى مصر ، لذلكنجد ان زراعته محدودة فيهما ، وان كانت الباكستان تتمتع بقسط اوفر من زراعته وانتاجه •

فى وادي السند تسود زراعة الرز وهي تقابل القطن فى وادي النيل ، والشعير فى وادي الرافدين ، ويأتي القمح فى الدرجة الثانية ، ويغطى الرز حـوالي (٦٥٪) من مجموع مساحة الحاصلات الغذائيـة فى القسم الجنوبي من القطر ، بينما يحتل القمح (٢٦٪) ، غير ان هـذه النسب تختلف من منطقة لأخرى ، فالرز تقل المساحات المزروعة منه وتزداد فى حالة القمح كلما اتجهنا نحو الشمال • أما غلتي الذرة والشعير فيشغلان مركزاً ثانوياً • وفى حالة الحاصلات النقدية فأهمها القطن وقصب السكر والتبغ ولكنها تزرع فى مساحات محدودة • لقد أحتل الرز المكان الاول بين المحاصيل فى حـوض السند بسبب وفـرة الميـاه وطبيعة الاراضي

المنخفضة . توجد مشاريع الري على نهـــر السند وروافده وفى سهوله المنخفضة التي تتوفر فيها الاهوار وخاصة فى الاجزاء الدنيا ومنطقة دلتا السند بالذات ، وكذلك يعتبر الرز الغلة الغذائية التقليدية لمعظم السكان، مضافاً الى هذه العوامل ملائمة المناخ والتربة الدلتاوية المناسبة لزراعته .

إن لكل تربة درجة معينة من الخصوبة وتبعاً لذلك أختلفت طاقتها الانتاجية ودرجـــة ملائمتها لنوع الغلال ، فأذا ماحللنا الجـــدول الآتي وجدناه يعطينا صورة واضحة عن هـــذه الظاهرة وخاصة كمية الحاصل فى الوحـــدة الزراعيـــة :

يبين هـــذا الجـــدول نوع الغلة وكميتها فى الهكتار الواحـــد فى أوديـــة النيـــل والرافـــدين والســـند : 1, 2, 3

غلة الهكتار = العدد × ١٠٠ كيلو غرام

القطـــر	شـــعير	قمـــح	ذرة	رز	قطـــن
وادي الرافدين	٩ر١	٧ر٨	٨ر٦	١٠	٩ر١
وادي الســـند	٤ر٧	٣ر٩	٨ر٩	٨ر١٣	٢ر٢
وادي النيـــل	٥ر١٩	٧ر١٧	٤ر٢١	٢ر٤٢	٦ر٤

نلاحظ فى هذا الجدول ان غلة الهكتار الواحد من الشعير والقمح والذرة والرز والقطن متباينة ، ففي وادى الرافدين يصل معدل غلة الهكتار الى (٩١٠) كيلو غراما ، وفي وادى السند (٧٤٠) ولكن هذا الرقم يرتفع فى وادى النيل (١٩٥٠) . نستنتج من هذه الارقام أن كمية الناتج فى الاقليمين الاولبين أقل منها فى الاقليم الأخير . إن هذه الظاهرة تعلل تخلف وسائل الانتاج الزراعي فى وادي الرافدين والسند وتقدمها فى وادي النيل . إن من ابرز هـــذه الوسائل هي الامكانيات البشرية والجغرافية ، فالبشرية

(1) Year of Food and Agriculture, vol; 5, 1951.
(2) Economic and statistics, ''Section Government of Pakistan, 1955.
(3) Ministry of Agriculture of Iraq. Statistics Division, Baghdad, 1956—7.

تشتمل على ما يتمتع به الفــلاح المصري من اساليب علميــة وخبرة فنية تظهــر فى استعمال المخصبات المعدنية ، وفى نظام الدورة الزراعية ، وفى تقدم اساليب الري ، بينما الفلاح العراقي والباكستاني يجهل الكثير من هذه الاساليب الزراعية الحديثة كالدورة الزراعية والاسمدة الكمياوية ، فهو يستخدم المحراث الخشبي البدائي ، وكذلك الجرجر اللذين تجرهما الحيوانات ، ويستعمل المنجل القديم فى حصد الغــلال بدل الحاصدات الميكانيكية وغيرها من الاساليب القديمــة البالية • أما الطرق الاروائية فهي الاخرى قديمــة (كالشادوق والگرد والناعور) • كانت هذه النظم القديمة فى الزراعة مستخدمة عند اسلافه منذ آف السنيين • لقد انعكس استعمالها فى هبوط الناتج اولاً ، وفى عدم ادخال غلات جديدة تناسب التربة والعــوامل الطبيعية الأخــرى ثانيــاً •

وللتأكيد على هذه الظاهرة نجد أن الدورة الزراعية الحديثة فى وادي الرافــدين والسند محــدودة الاستعمال بينما فى مصر هي طابع الزراعة الحديثة • أما استخدام الآلات الزراعيــة فقد ذكر الاستاذ عيساوي [١] بقوله ان عدد الجرارات المستعملة فى الزراعة بوادي النيل قد ارتفع من (١٢٠٠) قبل الحرب العالمية الثانية حتى وصل الى (٧٫٠٠٠) جراراً فى عام ١٩٥٢ ، وهي فى زيادة ســنوية مستمرة ولكن الرقم الأخــير الذي وصلت اليه الآلات لم نذكره هنا لعــدم امكانية الحصول عليــه • أما استخدام الاسمدة فأن نفس المصدر يذكر بأن معدل ما استعمل منها قد ارتفع ايضاً من (٥٠٠٫٠٠٠) طناً فى الموسم الزراعي للفترة الكائنة ما قبل الحرب الثانية الى (٨٠٠٫٠٠٠) طناً فى عام ١٩٥٤ ، وإن هــذه الزيادة ايضاً مستمرة ، ومعنى هــذا إن الهكتار الواحــد من الارض الزراعية يســتهلك (٤٤) كيلــو غرامــاً من النتــرات فى الموســم الزراعــي الواحد • لا شك أن هذه الارقام تعطينا صورة واضحة عن مدى تقدم الانظمة الزراعية المستخدمة ودرجة تطورها فى هذه الاقاليم الثلاث •

---

(1) C. Issawi; "Egypt at Mid-Century; An Economic Survey. 1954. pp. 106-7.

نعود ثانية الى الجدول ونحلل انتاج القطن ، ففي العراق والباكستان نجد انتاج الهكتار يتراوح ما بين (١٩٠) الى (٢٢٠) كيلو غراماً ، أما في وادي النيل فأنه يعطي كمية اكبر تصل الى (٤٦٠) كيلو غراماً وهذا مايعادل اكثر من ضعف الهكتار العراقي أو الهكتار الباكستاني • يتضح من هذه المقارنة وجه الاختلاف الذي يظهر في طاقة الارض الانتاجية في هذه الاقطار وهذا يرجع الى العوامل البشرية التي تطرقنا اليها •

نجد أن التربة في هذه الاقطار تتشابه من حيث الصفات العامة ولكنها تختلف في بعض مميزاتها الكمياوية التي من اهمها وجود الاملاح • ففي وادي الرافدين وحوض السند ترتفع كمية الاملاح (كلوريدات الصوديوم والبوتاسيوم والكلسيوم) في التربة وتقل في وادي النيل • لقد كان لهذه الظاهرة أثر بليغ في تدهور الناتج الزراعي وخاصة القطن والقمح وبعض النباتات الحساسة الأخرى في العراق والباكستان • إن البحوث التي اجريت في مناطق مختلفة من سهول هذه الاقطار تؤكد على تدهور الانتاج في الاراضي الاروائية وذلك بسبب ارتفاع نسبة الاملاح ، ففي وادي الرافدين تقدر الاراضي المصابة بالاملاح بحوالي (٢٥٪) من مجموع اراضي العراق الاروائية ، ومثلها في حوض السند ، بينما لا يزيد هذا الرقم عن (١٠٪) من مجموع اراضي وادي النيل • لقد أكد الخبير في علم التربة « الدكتور بيورنك » بقوله أن نسبة هبوط الناتج الزراعي في العراق تتراوح ما بين (٢٠) الى (٥٠٪) [1] •

أن من أهم العوامل التي ادت الى ترسب الاملاح في وادي الرافدين وحوض السند هو عدم توفر مشاريع الصرف الصناعي (البزل) • إن وجود شبكة من المبازل في المناطق الاروائية بجانب ترع الري أمر ضروري لأجل صرف الفضلات المائية المحملة بمحاليل الاملاح القادمة من الحقول الزراعية بعد انتهائها من عملية الري • ولما كانت اراضي

---

(1) The "Economic Development of Iraq" Report of a nission organised by the International Bank, 1952 — p. 205.

العراق والسند الاروائيـة لا تملك شـبكات الصرف الكافية فقـد ادى ذلك الى ارتفاع رواسب الاملاح فى ترباتها الزراعية ، الأمر الذي نتج عنه تدهور فى طاقة الارض الانتاجية ، وهذا يعكس الحال فى تربة وادي النيل التي توجد عليها شبكة من المبازل التي تقوم بصرف الفضلات المـائية الملحة فى الاراضي الزراعيـة •

الموارد المـائيـة :

أما الموارد المـائية فأهميتها تنحصر فى مناسيب مياه الانهار ، ففي حوض دجلة والفرات وحوض السند تنخفض المناسيب فى فصل الصيف وهو الوقت الذي تشتد حاجة النبات اليه كالقطن والرز وقصب السكر، ومعنى هذا انخفاض فى مناسيب جداول الري مما يتسبب عنه عدم وصول المياه الى المزارع بكمية كافية مما يؤدي الى تدهور الحاصل، وهذه الظاهره لا تنطبـق على نهـر السند بنفس الدرجـة وذلك لوجـود الامطـار الموسـمية التي تغـذي هـذا النهـر •

أما نهـر النيـل فهـو يتغذى من الامطار الموسمية والاستوائية الساقطـة فى المنابع • عنـد ارتفـاع مناسيب النيـل نجـد أن الترع التي تقوم بارواء الاراضي المزروعة وخاصة القطن والرز وقصب السكر وهي الاخرى ترتفع مناسيبها •

وبخصوص أثر المناخ على الزراعة فهو واضح ، فالحرارة مرتفعة صيفاً ومعتدلة ممطرة شتاء ، ولكن هذه العناصر المناخية ليست بدرجة واحـدة فى كل هذه الاقطار وذلك بسبب أختـلاف الظروف المحلية ، فالعراق يتمتع بحرارة شديدة بالنسبة لخطوط العرض التي يقع عليها ، ولذلك يتمتع بفرق حراري كبير بين الليل والنهار والصيف والشتاء، وبرطوبة منخفضة • يقل هـذا التطرف المناخي فى وادي النيـل وخاصة الوجه البحري منه ، وكذلك فى وادي السند بحكم موقعهما الجغرافى ، فمصر تتأثر بالرياح الشمالية القادمة من البحـر الابيض المتوسـط لذلك قلت المتوسطات الحرارية وارتفعت الرطوبة النسبية ، وما ينطبق عليها ينطبق على السند الذي يتمتع برطـوبة نسبية أعلى فى الصيف والشتاء بسبب

تأثره بالامطار الموسمية صيفاً والاعاصير الغربية شتاءاً ، وتبعاً لذلك كان الجفاف فيهما أقل وطأةً مما هو فى العــراق • ولأهمية الرطوبة النسبية فى حياة النبات وجدنا أن الزراعة فى سهول العراق تعاني تأخراً من الجفاف الشديد اكثر مما هي الحال فى وادي النيل والسند •

المشاريع الزراعيــة المحــدثة :

لقد دأبت جميع الاقطار الآنفة الذكر فى الآونة الأخيرة على وضع سياسة زراعية لاعمار اراضيها واستثمار مواردها الطبيعية من ماء وارض وتربة • فقد باشرت وزارة الزراعة فى العراق هذه السياسة وذلك بوضع الخطط والتصاميم لتنفيذ المشاريع الزراعية منذ عام ١٩٥٠ • كان فى مقدمة هذه المشاريع «مشروع الدجلية» الواقع على نهر دجلة فى لواء الكوت ، ومشروع « الحويجة » فى ســهول كركوك فى القسم الادنى من ســهول الزاب الصغير ، ومشروع « اللطيفية » ، ومشروع « المسيب الكبير » فى الفرات الاوسط وغيرها من المشاريع الزراعية الأخرى • والى جانب ذلك خططت مشاريع المستقبل لاحيــاء الكثير من الاراضي القابلة للاستغلال مثــل مشروع « بابل » فى الفرات الاوسط ، ومشروع « الدجيل » فى منطقة بلد وسميكة ، ومشروع « أسكي موصل » فى منطقة الجزيرة ، واحياء مشروع « النهــروان » لاحيــاء الاراضي ما بين الكوت وبغــداد على الضفة اليسرى من نهــر دجلــة •

أما فى وادي النيل فأن هذه المشاريع آخذة طريقها الى الانجاز حيث بدأ العمل بها منذ عام ١٩٥٢ • فالاراضي المستصحلحة فى منطقة الدلتا وعلى جوانب نهر النيل وتحويل الري بطريقة الحياض الى نظام الري المستديم هي الدليل على هــذه النهضة العمرانية ، وخــير دليل على ذلك هو تنفيذ مشروع « مديرية التحرير » • يقع هــذا المشروع غربي مدينة الاسكندرية على الطرف الغربي لمنطقة الدلتا ، وهي تتشابه مع مشروع « المسيب الكبير » الذي يقع على نهر الفرات الاوسط • لقد بدأت الحكومة المصرية العمل فى هــذا المشروع بعــد ثمانية أشهر من ثورة ١٩٥٢ • وتقدر مساحته

بحوالي (١٫٢٠٠٫٠٠٠)[1] فداناً ، تضم (١٢) قرية قطاعاً ، يشغل كل قطاع على أحـد عشر قرية وسينتهي العمل منها فى غضون خمسة عشر عاماً ، أي عندما تتوفر المياه الاضافية فى « السد العالي » الذي اصبحت مياهه فى حيز العمل منذ هذا الصيف المنصرم (١٩٦٤) ، وتقدر الاراضي التي ستصلح وتسنغل بحوالي (٨٠٠٫٠٠٠) فداناً ، أما الاراضي التي اصبحت الآن تحت الفدان فهي اكثر من (١٠٫٠٠٠) فداناً بوشر بزراعتها فعليـاً ، وتزود بمياه المضخات المرفوعـة من ترعـة رشـيد المتفرعـة مـن نهـر النيـل .

إن من أهم الغلات التي تزرع فى هذا المشروع هي الباقلاء والبرسيم والفواكه والخضروات . لقد نظمت حركة تصدير هذه الحاصلات حتى اصبحت مركزية ومعنى هذا توجيه هذه الصادرات الزراعية الى افضل الاسواق . ان نجاح هذا المشروع وغيره من مشاريع المستقبل متوقف على وجود السوق الاستهلاكية ، فأذا استطاعت هذه الحاصلات الجديدة أن تجد لها سوقاً فأنها ستلاقي نجاحاً لا يقل عما لاقاه القطن .

أما اتمام هذا المشروع الكبير فيعتمد على توفر المياه الاضافية التي تخـزن فى مشروع « السد العالي » . أما القرى التي تم انشاؤها حتى عـام ١٩٦٠ فهي اربعـة وقد زودت بجميع الوسـائل الضرورية ، وأما الفلاحون فقد اعطيت لهم ملكية المسكن مع حديقة صغيرة ، وبقية ملكية الحقل تابعة الى الدولة أو يطبق عليها نظام إستثمار الوحدات الزراعية الواسعة التي تدار وفق نظام المزارع التعاونيـة .

فى حوض السند توجـد مشاريع متفرقة من أشهرها مشروع ثال (Thal) الذي يعتبر نموذجاً حياً للمشاريع الزراعية فى الاراضي التي استصلحت حديثـاً فى حوض نهر السند . بوشر فى هـذا المشروع عام ١٩٤٩ وهو الآن فى مرحلته الأخيرة ، ويشبه مشروع « المسيب الكبير » و « مديرية التحرير » ، ووجـه الشبه بينهـم يطهر فى تحويل المياه من

---

(1) High Committee ''Egyption National Association Report.'' 1955, pp. 20-3.

نهري الفرات والنيل والسند الى هذه الترع التي تأخذ المياه الى اراضي هذه المشاريع • ففي السند ينساب مشروع مياه ترعة « ثال » نحو الاقليم الواقع ما بين نهري السند وجهيلوم (Jhelum) لارواء هذه الاراضي واستثمارها بزراعة غلات جديدة • لقد باشرت الهيئة المشرفة على ادارة المشروع بشراء الجرارات والآلات الزراعية اللازمة لتحضير هذه المساحات الشاسعة وجعلها صالحة للعمليات الزراعية ، كما أقامت فيها شبكة من المبازل الاصطناعية الى جانب الترع والجداول الفرعية وذلك بغية المحافظة على طاقة التربة الانتاجية من الأملاح • بعد هذه العمليات قامت هذه الادارة بانشاء القرى العصرية فى مختلف انحاء المشروع • استمر العمل فى المشروع حتى عام ١٩٥٥ حيث تمّ توطين عدد كبير من العوائل التي لا تملك اراضي زراعية وخاصة اللاجئين القادمين من الهند •

استمرت ادارة المشروع فى تنفيذ الخطة الزراعية التي اقيم من اجلها وهي انتاج انواع متعددة من الغلات وفى مقدمتها القمح والقطن وقصب السكر • واستناداً الى تقرير هيئة المشروع التي تقدمت بتقريرها الذي ينص على ما لهذا المشروع من اهمية فى رفع مستوى الاقتصاد الزراعي للباكستان عندما يتم انجازه • يشغل هذا المشروع رقعة كبيرة من الارض تستوعب، قرى عصرية متناثرة هنا وهناك ويسكن فيها عدد ضخم من السكان الذين لا يملكون ملكيات زراعية •

أما من حيث طريقة الاستغلال وحيازة الملكية فهو كبير الشبه بمشروع « المسيب الكبير » لأن الفلاح المستوطن فيه يعطى له حق تملك الارض التي يستغلها وانتقال ملكيتها الى اولاده من بعده ، بينما فى مشروع « مديرية التحرير » بمصر لا يتمتع الفلاح المستوطن الا بملكية المسكن •

من هذه المقارنة العامة يمكن أن نقول بأن هذه البيئات ذات صفات طبيعية وحضارية متشابهة فى كثير من مظاهرها رغم التباين فى البعض منها • لها جميعاً طابع زراعي واحد وإن اختلف فى درجة التطور ، يظهر فيها نظام الري الاروائي ، وفيها اساليب زراعية تقليدية متبعة فى استثمار

الارض ، وهناك شبه فى حيازة الارض ، وفى خبرة الفـلاح وإن تفاوت فى درجة المهارة ، وفى طبيعة المشاريع الزراعيـة المحدثة وإن تفاوتت فى درجة نجاحها ، أما نوع الغـلال فهي متشابهة وإن اختلفت قليـلاً فى التخصص ولكنهـا فى الطـابع العـام متساوية • فمثـلاً مشـروع « مديرية التحرير » فى وادي النيـل تخصص بزراعة الفاكهـة ، أما فى مشـروع « المسيب الكبير » وغـيره من مشاريع المستقبل فيمكنها ان تتخصص بزراعة الفاكهـة أو قصب السكر أو القطـن على غرار ما هو موجـود فى وادي النيـل (زراعـة القطـن وقصب السـكر) أو فى وادي السـند (زراعـة الـرز) •

الامكانيـات المـاليـة :

أما الامكانيات المـالية فى هذه الاقطار فهي تتفاوت ، ففي العراق يوجد مورد مالي ثابت يأتي من عائدات البترول وبواسطته يمكن وضع الخطط لانعـاش الاقتصاد الزراعي ، ويتم ذلك بأنشاء مشاريع الري ، والبزل ، واستصلاح التربة ، وادخال الغلات الجديدة ، وخاصة التجارية منها ، وتحسين وسائط النقل ، وتخطيط القرى العصرية لاسكان الريفيين لرفع مستوى الانتاج ، وبذلك يتم رفع مستواهم المعاشي •

ينعدم هذا المورد المالي فى الجمهورية العربية المتحدة والباكستان، ولهذا فهما يعتمدان على مصادر مالية أخرى ، ومنها المساعدات المـالية التي تحصل عليها من دول أخرى نتيجة اتفاقيات تعقد بينهم علىمثل هذه المشاريع العمرانية ، كما هي الحـال فى المساعدات المـالية والفنية التي تحصل عليها الجمهورية العربيـة المتحـدة من الاتحاد السوفيتي لبناء « السد العالي » ، وما ينطبق عليها ينطبق على وادي السند الذي يتلقى المسـاعدات مـن بعض الـدول الغربيـة وفى مقدمتهـا الولايـات المتحـدة وبريطـانيـا •

تعطينا هـذه الدراسـة صورة واضحة عن الامكانيات الطبيعية والمصادر البشرية لهـذه الاقطار وكيف استطاعت بطريقة واخـرى أن تستفيد من هـذه الموارد • يجدر بنا أن نلفت نظر القائمين على سياسة

العراق الزراعية الاستفادة من الخبرات العلمية والفنية لهذه البلاد ، وادخال الغلات الزراعية ، وتربية الحيوان التي نجحت فيها بالقدر الذي يتفق وظروف العراق الجغرافية والبشرية ، فمثلاً يمكن تطبيق الخبرة المصرية فى زراعة نبات القطن لأن ظروف العراق الطبوغرافية ونوع التربة والمناخ والموارد المائية ملائمة ، وبهذا يستطيع العراق توسيع نطاق صناعة النسيج ، وتصدير الفائض منه الى الاسواق الخارجية ، وهذا ما تعمله الجمهورية العربية المتحدة .

أما الغلة الثانية التي يمكن زراعتها بنجاح هي قصب السكر وذلك لتوفر عوامل انتاجها ، ان لهذا الحاصل اهمية كبيرة لأنها تسد حاجة السوق الداخلية للعراق ، وبذلك تمنع تسرب النقد القومي الى خارج القطر . بهذه السياسة الاقتصادية يتمكن العراق من تطبيق نظام الاكتفاء الذاتي لهذه الغلة الغذائية وغيرها من الغلات الأخرى المهمة فى الاستهلاك المحلي .

أما زراعة الرز فحوض السند يعطينا خير مثال فى أن نحذو حذوة وتتبع سياسته الزراعية فى هذه الغلة . إن ظروف مناطق العراق الجنوبية مناظره الى هذا القطر وخاصة فى الاراضي المنخفضة من نهر السند . إن تطبيق اساليب السند توفر لنا انتاج مادة غذائية رئيسة تكفي الاستهلاك الداخلي وتصدير الفائض منه الى البلاد المجاورة للعراق .

إن ما ينطبق على ادخال الغلات الزراعية الغذائية وتوطينها فى العراق ينطبق على ادخال الطرق الحديثة فى تربية الحيوان والعناية به ، لأن المنتوجات الحيوانية لا تقل فى اهميتها الاقتصادية عن المحصولات الزراعية . إن تحسين هذا المورد يتطلب الأخذ بالتجارب التي نجحت فى الجمهورية العربية وخاصة سياسة تحسين المراعي وبذل الجهود للنهوض بها . إن تحسين المراعي معناه تطوير الانتاج الحيواني . لأن انتاج الحيوانات يتوقف على درجة غنى المراعي . كما يتوقف على ادخال الاساليب الحديثة فى تربيتها والاستفادة من منتجاتها المختلفة .

لا تقتصر الافادة على ادخال غلات جديدة وحسب إنما تتعدى ذلك الى ادخال النواحي الفنية فى الزراعة ، تلك الطرق التي تمكّن المزارع من إستثمار الأرض فى العــراق إستثماراً صحيحاً • إن من اهم هــذه الاساليب استخدام الاسمدة الكمياوية التي لعبت دوراً عظيماً فى زيادة الناتج فى الجمهورية العربية المتحــدة وفى جميع البلاد التي تتبع نظام الدورة الزراعية أو الزراعة الكثيفة • وقد ظهر ذلك فى كمية الناتج فى الوحــدة الزراعية (غلة الفدان) ، وقد أشرنا الى هــذا فى اول هــذا البحث • أما الجانب الفني الثاني الذي تحتاجه الزراعة فى العراق اتباع نظام الدورة الزراعية الحديثة وتطبيقها فى الحقل ، ويعتمد نجاح هــذا النظام على استخدام الاسمدة المعدنية • ان الدورة الزراعية فائدتها مزدوجة لانها تعطى ناتجاً مرتفعاً فى الوحدة الزراعية الى جانب انها تعطي انواعاً مختلفة من الغلال فى الحقل الواحد فى الموسم الزراعي الواحد ، وبذلك تمكن الفــلاح من زراعة الارض زراعة مستمرة طيلة ايام السنة•

الدكتور نوري خليل البرازي

حضارات العصر الحجري القديم الاسفل[1]

Lower Palaeolithic

الحضارة الاشولية

Acheullean Culture

الدكتور محمد رشيد الفيل
قسم الجغرافية ـ جامعة بغـداد

مقـــدمة

مضى على الانسان حين من الدهر وهو يستعمل الاسلحة المصنوعة من النـواة (اللب) Core Implements [2] فى الفترة الحضارية المعروفة باسم الحضارة الشيلية من العصر الحجرى القديم الاسفل ، ولا نعرف بالضبط المدة التى استمر فيها الانســان القديم يستعمل مثل تلك الآلات البدائية اذ قد تصل الى مئات الآلاف من السنين ولكنها من غير شك

---

(١) تقسم حضارات العصر الحجري الى ما يلي :ـ

١ ـ العصر الحجري الحديث Neolithic
٢ ـ العصر الحجري الاوسط Mesolithic
٣ ـ العصر الحجري القديم Palaeolithic

ويقسم العصر الحجري بدورة الى الاقسام التالية :

أ ـ العصر الحجري القديم الاعلى Upper Palacolithic
ب ـ العصر الحجري القديم الاوسط Middle Palaeolithic
حـ ـ العصر الحجري القديم الاسفل Lower Palaeolithic

ويضم العصر الحجري الاسفل حضارتي مستقلتين عن بعضهما هما :

١ ـ الحضارة الشيلية Chellean Culture
٢ ـ الحضارة الاشولية Acheullean Culture

(٢) كانت هنالك نوعان من الحضارة نعرفهما من اساليبهما الخاصة فى صناعة الادوات الحجرية احداهما حضارة اللب (النواة) Core Culture وحضارة الشظايا Flake Culture وقد عاش هذين النوعين من الحضارة حتى بداية العصـر الجليدى الرابع (اخر مرحلـة جليديـة بليستوسينية) أى ما يقرب من ٤٠٠٠٠٠ منه .

Linton, Ralph, "Tree of Culture." p. 226. (ترجمة احمد فخرى)

تختلف طولاً وقصراً من منطقة عنها في اخرى . وسار الزمن وسار الانسان معه يطور سبل عيشه والآلات التي يستعملها وحياته الاجتماعية . فظهرت الى الوجود حضارة جديدة تختلف في كثير من مظاهرها عن الحضارة السابقة وأعني بها الحضارة الشيلية Chellean Culture اطلقنا عليها الحضارة الاشونية (أو الاشيلية) Acheullean Culture تمييزاً لها عن الحضارة السابقة .

الحضارة الاشولية

Acheullean Culture

سميت بالحضارة الاشولية (أو الاشيلية) نسبة الى سنت اشيل St. Acheul بالقرب من أميان Amiens في شمال فرنسا[٣] ونسبت بقى الحضارات في ارجاء العالم والتي تشابه في مظاهرها ومميزاتها الحضرة الاشولية باسم هذه الحضارة .

يعتقد البعض انه لا يوجد فاصل تام بين الطريقة الشيلية والطريقة الاشولية في شظف الصوان مما يدل على ان الحضارة الاشولية عبارة عن تطور للحضارة الشيلية[٤] ولكننا لا نقر ذلك فهنالك فروقاً حادة بين الحضارتين أدى الى أن نضع كل منهما في حضارة مستقلة عن الاخرى . فتمتاز طريقة الصناعة الاشولية عن الشيلية بأشياء كثيرة فنجد مثلا ان الصانع الاشولي يأخذ النواة ويهذبها من جميع جهاتها حتى يجعل شكلها متناسقاً بعكس سلفه صاحب الحضارة الشيلية الذى اكتفى بتهذيب حافة الصوان لجعلها حادة كما ان الانسان الاشولي أخذ يهذب الحافات لكي يجعلها حادة منتظمة فهي بذلك تختلف عن الحافة المتعرجة الموجودة من الآلات الشيلية[٥] .

---

(٣) Burkitt, "Prehistory : p. 84.
Fleure, "Times and Places." p. 41.

(٤) رزفانة ، الدكتور ابراهيم . الحضارات المصرية في فجر التاريخ ص٣٦

(٥) رزفانة « نفس المصدر » ص ٣٦ ــ ٣٧ .

هـذه الحافات الحادة في الآلات الاشـولية لم تجعل من الضروري أن يكون حجم قطعة الصوان أو وزنها كبيراً كحالها في الصناعة الشيلية وهـذا يعني ان حجم الآلة الصوانية كان يقل كلما زاد اتقان صنعها وبذلك سـهل حمل عدد كبير منها[٦]. كما تمتاز هـذه الآلات بأنها أكثر دقة من الآلات الشيلية وانها أكثر انتظاماً ويميزها أيضـاً ان حوافها مستقيمة وان جوانبها محدبة أو مقعرة[٧] . هذا الاتقـان في العمل لا يلاحظ لأول وهـلة ويبدو انه قليل الاهمية ومع ذلك فهو يحتاج الى وقت أكثر وعمل مستمر متقن مما يدلنا على مدى سيطرته على الآلة التي يصنعها [٨]. الى جانب ذلك فان الآلات ولو ان بعضـها لم يزل يصـنع من النواة Core Implements كالحضـارة الشيلـيـة ولكن بدأت الآلات المصنوعـة من الشـظايا Flake Implements ومعنى هذا ان الانسان بدأ يصنع بعض آلاته من شظايا يفصلها عن الكتلة الاصلية للصخر[٩] ويضيف لنتون ان الانسان الاشولي حاول أن يحصل على شظايا بشكل وحجم خاصين وان يلقي باللب جانباً عندما لا يستطيع استخلاص شظايا صالحة منه[١٠] أما **Mongait** فيعتقد ان الآلات الاشولية أدق صنعاً وأحسن انتظاماً من الآلات الشيلية كما ان شظاياها فصلت بكل عناية بل وحتى الفأس اليدوية الآشولية كانت أدق صنعاً وأحسن انتظاماً وحافاتها حادة أكثر من الحضـارة الشيلية[١١] والى جانب الآلات المصنوعة من الحجارة فلقد وجد ضـمن مخلفات هذه الحضـارة آثار ضئيلة لآلات خشبية وعظمية [١٢].

---

(٦) Smith, Elliot; Human History : p. 97.

(٧) بيبي : « قصة البشرية » ص ٣٣

(٨) Mongait; ''Archaeology in the U.S.S. R. pp. 79 80.

(٩) رزفانة : نفس المصدر : ص ٣٧

(١٠) ص ٢٢٦

(١١) ''Op. cit.'' p. 80.

(١٢) رزفانة « نفس المصدر » ص٣٦

هذا من ناحية الصناعة الاشــولية أما من النواحى الاجتماعية فقد تعلم الانســان الاشــولى صناعة النار وعمــل المواقد وتطورت حياته الاجتماعيــة فأصبحت أرقى بكثير من نوع الحياة التى كان يعيشها الانســان الشيلي هــذه الفروق بين الحضارتين تجعلنا نضع كل منهما في نوع حضاري خاص مستقل عن الآخــــر •

فترة نشأة الحضارة الاشولية :

اختلف العلماء فى تحديد فترة نشأة هذه الحضارة فوضعت لها أوقات مختلفة في القارات المختلفة فيرى Burkitt [(١٣)] ورفقائه [(١٤)] وغيرهما انهذه الحضارة نشأت فيالفترةالدفيئة رسـفرم Riss — Würm وفترة فرم Würm الجليدية [(١٥)] أما فلير Fleure فيعتقــد ان

(١٣) "Op. cit." p. 59

(١٤) « انثربولوجيا » ص ٩١ •

(١٥) لم يكن مناخ هذا الكوكب مستقرا فى يوم من الايام واخر تطورات حادة مرت على الكرة الارضية هي الفترة البليستوسينة حيث انتشــر الجليد حتى اواسط اوروبا واواسط امريكا الشمالية وبعض اجــزاء اسيا ويقابل ذلك سقوط امطار غزيرة على صحراء افريقيا الكبــــرى وشبه جزيرة العرب ••• الخ ولقد درس كل من Brückner, Penk العصر الجليدى فى سويسرا وتوصلا الى النتيجة التالية : وجود اربعة ادوار جليدية بينها ادوات دفيئة اطلقا عليها اسماء بعض الوديــــان السويسرية وهذه الادوار الجليدية هي :

١ — جنز Gunz
٢ — مندل Mindel
٣ — رس Riss
٤ — فرم Würm

ويتخلل هذه الادوار الجليدية فترات دفيئة انسحب فيها الجليد تماما او كاد واعتدل المناخ كما قلتالامطار علىصحراء افريقيا الكبرى وشبه جزيرة العرب ••• الخ وهذه الادوار الدفيئة هي :

١ — جنز — مندل Gunz — Mindel
٢ — مندل — رس Mindel — Riss
٣ — رس — فرم Riss — Würm =

الحضارة الاشولية بدأت فى فترة رس Riss حيث عثر على آلات اشولية بين ركامات فترة رس Riss واستمرت فى الفترة الدفيئة رس – فرم Riss—Würm ويرى (١٦) H. Fair Field Osborn وزوينر Zeuner بأن الحضارة الاشولية ظهرت فى نهاية فترة مندل – رس Mindel — Riss غير الجليدية أى الفترة الدفيئة الثانية وانها استمرت بعد دورة رس Riss الى فترة رس – فرم Riss — Würm غير الجليدية فى بريطانيا وغرب اوربا(١٧) أما Piggot فيرى ان حضارة سوان Soan الاشولية فى الهند ترجع الى البليستوسين الاوسط أى فى الفترة الدفيئة الثانية ويقدر عمرها بين ٤٠٠،٠٠٠ – ٢٠٠،٠٠٠ سنة ويضيف انه فى نهاية هذه الفترة ظهر تطور فى صناعة استخراج الشظايا والتى تظهر فى حضارة سوان Soan المتأخرة التي تمتد في الفترة الدفيئة

= ولم يكن الانسحاب الاخير للجليد مرة واحدة بل كان تدريجيا على شكل ذبذبات كان الجليد ينسحب ثم يتقدم او يقف انسحابه الى ان تم انسحابه نهائيا ٠ اما ذبذبات تقهقر الجليد فكما يلي :ــ

١ – آخن	Achen
٢ – بهل	Bühl
٣ – شنتز	Gschnitz
٤ – دون	Daun

ولم يتفق العلماء على فترة انتهاء الجليد ٠ فلقد قدر (دى جير) ان الجليد الذى غمر القارة الاوربية فى العصر الجليدى بدأ تراجعه الاخير من سهل المانيا الشمالى منذ ٢٥،٠٠٠ سنة وانه ظل يتراجع مدة ١٦،٠٠٠ سنة ثم اختفى بعد ذلك ومعنى هذا ان الفترة التي انقضت منذ ان تم انسحاب الجليد فىالاراضى التى كان يغمرها فى اقليم اسكندنارة تبلغ ٩،٠٠٠ سنة ويقدر كرول (Croll) ان الجليد انتهى قبل ١٥،٠٠٠ سنة بينما اخرون يعتقدون ان الجليد اخذ يتقهقر مثل حوالى ١٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد اى منذ حوالى ١٧،٠٠٠ سنة والبعض يضعها قبل حوالى ١٣،٥٠٠ سنة اى منذ حوالى ١٥،٥٠٠ سنة ٠

(١٦) "Apes and Men." p. 96.

(١٧) Fleure, "Apes and Men." pp. 44 , 97.

البطراوي : الانسان فى معرض الاحياء : ص ٤٤ ، ٤٩ ٠

الثالثة رس – فرم Riss — Würm واستمرت بعد ذلك خلال الفترة الجليدية الرابعة فرم Würm [18] .

وهكذا نرى ان الاختلاف واضح فى تقدير فترة ظهور هذه الحضارة ولعل السبب الاساسى فى ذلك يرجع الى قلة البحث والتنقيب في كثير من مناطق العالم ولاشك بأن باطن الارض يحوى كنوزاً عظيمة من آثار الانسان القديم وحضارته والتى بمعرفتها سنتمكن من الاجابة على كثير من الاسئلة المحيرة المستعصية . كذلك ان الحضارات نشأت فى القارات المختلفة بأوقات مختلفة .

ويعتقد اليوث سمث Elliot Smith [19] وغيره بأنه عند بداية الصناعة الاشولية كان المناخ لم يزل رطباً ولكن بدأ بالجفاف التدريجي والبرودة وبدأت الرياح الشرقية القوية بالهبوب حاملة معها غيوماً من الاتربة التى تجمعت على شكل طبقات كثيفة على مساحة واسعة من اوربا وآسيا وامريكا الشمالية هذه الطبقات تسمى اللويس والتي يبلغ سمكها في بعض الاحيان بضعة آلاف من الاقدام[20] . وفي اللويس السفلى وجدنا بقايا آلات

---

(18) Piggot, "op. cit." p. 34

(19) "Human History." p. 98.

(20) ترتبط الفترات الدفيئة (بين العصور الجليدية) بظاهرة مهمة من الظاهرات الطبيعية الموجودة على سطح الارض وان هذه الظاهرة ترجع فى اصلها الى تلك الفترات واسبابها مناخى واعنى بتلك الظاهرة هي انتشار تربة اللويس فى جهات كثيرة من وسط اوروبا وجنوبها الشرقي ووسط اسيا حتى الصين . واللويس عبارة عن ذرات ناعمة من الاتربة مصفرة اللون كالطين متماسكة للغاية بسبب التراكم والتغيرات الجوية كنزول الامطار . هذه المواد ترجع الى الفترات بين العصور الجليدية وهي نتيجة لنوع من المناخ يشبه مناخ الاستيبس في الوقت الحالي حيث الامطار قليلة واعشاب تنمو في مواسم المطر وتختفى فى مواسم الجفاف وهذا النوع من المناخ كان سائدا فى اوربا فى تلك الفترات حيث يمتاز ببرودته فى الشتاء . اما سبب تكوين تربة اللويس فيعتقد انها متصلة بالعصور الجليدية والعصور الدفيئة ، فكانت الرياح الباردة التى تهب اثناء العصور الدفيئة من شمال القارة الى وسطها تحمل معها الذرات الدقيقة من الركام الجليدى الذي خلفته الكتل الجليدية بعد ان تقهقرت وتركته وراءها . ويعتقد البعض ان الحد الجنوبى للويس يمثل الحد الجنوبي لانتشار الجليد ، بينما يعتقد البعض الاخر ان الحد الجنوبي لتربة اللويس يمثل الجبال الوسطى من قارتي اوربا واسيا .

صـوانية اشولية ولا شك بأن اشـتداد البرد كان له أثره على الحياة النباتية والحيوانية ، مما أدى الى اختفاء الانواع التى كانت تعيش فى الاجواء الدافئة وظهر بدلاً عنها أنواع اخرى تسـتطيع مقاومة البرودة[٢١] • فلم يتمكن الماموث وفرس النهر من مقاومة هذا المنـاخ • ولهذا السبب انسـحبوا من القارة الاوربية • وربما كان المناخ يختلف فى الجهات المختلفة كما هو الحال فى الوقت الحاضر اذ فى حين ان بعض البقايا الاشولية وجدت مع بقايا تعيش فى الجو الدافىء وفى جهـــات اخرى توجد مع حيوانات ذات فراء والتى نزحت جنوباً الىأواسط القارة وجنوبها معتقدمالجليد الى أواسطالقارة[٢٢]

اسلحة الانسان الاشولى :

كانت أسـلحة الانسـان الآشـولى مصـنوعة أما من النواة (اللب) Core Implements أو من الشظايا Flake Implements[٢٣] والذي يبدو انالآلاتالمصنوعة من النواة كانت أكثر دقة فيالحضارة الآشولية منها في الحضـارة الشيلية حيث تتميز بحوافها المستقيمة وان جوانبها محدبة أو مقعرة وكانت الآلات مشغولة من جميع جهاتها • أما الآلات المصنوعة من الشظايا فكانت تزال شظايا مختلفة من كتلة الصخر بشكل خاص حتى تصبح الآلة المطلوبة بالشـكل المطلوب ويبدو أن هـذا النوع من الآلات قد انتشر استعماله في آخر فترة اشيل لانه يكثر في تكوينات تلك الفترة بدرجة تجعل له الغلبة على الفؤوس اليدوية[٢٤] •

ويبدو ان هنالك تنوعاً كبيراً فى الاسلحة التى استعملها الانسان أكثر مما كان حاله فى الحضارة السـابقة (الحضـارة الشيلية) مما يدل على رقى الانسان وتنوع حاجياته وتعقد حياته بحيث احتاج الى أدوات أكثر تنوعاً •

---

(٢١) بيبي : « قصة البشرية » • ص ٣٥ ترجمة محمد متولى •

(٢٢) Smith, Elliot, " op. cit." p. 98.

(٢٣) انظر شكل ١ ، ٢

(٢٤) بيبى : « نفس المصدر » : ص ٣٥
رزقانة « الانتريولوجيا » ص ٨

لقد استمر وجود الفأس اليدوية Hond axe ولكن هـــذه الفؤوس أصبحت ذات شكل بيضاوي بمعنى ان طرفها المدبب أصبح على هيئة الازميل، كما أصبحت الفأس أصغر حجماً وقلت القشرة فى أسفلها حتى اقتصرت على شريط بسيط يحيط بقاعدة الآلة(٢٥) • كما وجدت الآلات التى تشبه الازميل والمكشط بكثرة وبصورة خاصة حيث يتوفر الربوليت والكوارتز ولاسيما فى أفريقيا حيث ان هذا الصخر يشظى بسهولة حسب الشكل المطلوب كما وجدت ازاميل ومكاشط صخرية فى اوربا وبريطانية(٢٦) • كذلك استعمل الانسان الاشولى آلات تشبه السكاكين لتقطيع الحيوانات التى يصطادها كذلك وجدت فؤوس ذات شكل خاص يبدو انه استعملها فى الحصول على الدود الصغير والفراشات الموجودة تحت قشرة الاشجار كما تساعدهم على تساق الاشجار عند هجوم الاعداء وكذلك جمع الفواكه من الاشجار(٢٧) ومن الادوات التى استعملها الانسان الآشولى القذائف الحجرية Missile Stone والتى يقدر حجمها ضعف حجم كرة التنس، ربما استعملها كمطرقة يدوية Hammer Store لكسر الجوز والعظام وعند تطور الحضارة أصبحت أكثر كروية وأصبح حجمها بقدر حجم كرة التنس وتستعمل للرمى على الحيوانات أو ثلاثة منها لعمل البولا Bola(٢٨) لرميها على أرجل الحيوانات(٢٩) فتتشابك حولها وتسقط تلك الحيوانات فيهجم عليها الانسان الاشولى ويصطادها •

---

(٢٥) رزقانة : « نفس المصدر » ص ٣٧

(٢٦) ترجمة محمد السيد غلاب

Fleure, "Times and Places." p. 44

(٢٨) الفيل ، دكتور محمد رشيد « الحضارة الشيلية » العدد الاول من مجلة الجمعية الجغرافية العراقية لسنة ١٩٦٢ •

(٢٩) Desmond, "op. cit." p. 119.

وتتميز الحضارة الآشولية في جنوب افريقيا بظهور المطرقة الاسطوانية وكذلك باستعمال الاخشاب أو العظام كمطرقة وضرب النواة بشكل معين للحصول على شظايا أرق وأدق وانتاج أدوات دقيقة وحادة وهذا يرشدنا الى الطريقة التى سيطر بها الانسان الآشولى على الادوات التى بين يديه[٣٠]، ويختلف فى هذا عن الانسان الشيلى الذى كان فاقداً السيطرة أو لم يسيطر سيطرة تامة على الآلات التي يصنعها.

أما فى شمال افريقيا فيلاحظ ان الآلات الآشولية المتأخرة (الحديثة) ذات الوجهين قد شظيت فى شظايا كبيرة وهنالك حالات ظهرت فيها آلات الشظايا مشغولة من جانب واحد بينما ترك الجانب الآخر غفلا . ولقد سميت الآلات الاشولية المتأخرة (الحديثة) الصغيرة المدببة والتى ترجع الى الفترة الدافئة (بين العصور الجليدية) رس - فرم Riss — Würm أو الى أوائل فترة فرم Würm الجليدية بالآلات التياسية Tayacian واميكوكية ، وهو اسم استخدمه كثير من الكتاب بمعان مختلفة ، ومن المحتمل ان الشظايا الصغيرة كانت تركب أو تربط من أطراف القنا[٣١] . كذلك وجدت ضمن مخلفات الحضارة الآشولية آلات مشحوذة يتراوح طولها بين ٨ - ١٢ بوصة من المحتمل انها استعملت كمعاول ، كذلك عثر على حجارة صغيرة ذات حد شحذت من جانبها حتى بدت كرؤوس رماح كذلك وجدت حجارة أصغر دعاها علماء الآثار بصانعات الثقوب[٣٢].

أما فى لبنان فقد وجدت آلات صوانية خشنة شكلها يشبه الاجاصة ومشذبة تشذيباً بدائياً على طريقة التشظية ومرقعة من الجانبين ولذا يسميها علماء الآثار (ذات الوجهين) . وهذه الادوات الحجرية ذات الوجهين تنتهى عند رأسها بطرف حاد ، فهى من هذه الحالة تختلف عن الفؤوس اليدوية

---

(٣٠) Desmond, ''op. cit.'' p. 123.

(٣١) Fleure, ''op. cit.'' p. 47.

(٣٢) الحلو ، عيسى : عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل ص ٣٥ .

وقد وجدت هذه الادوات فى جميع أطراف البلاد الواقعة بين وادى الاردن فى الجنوب ورأس الشمرا (اوغاريت) فى الشمال • وبما انها حـادة الجوانب فلابد ان الانسان الآشولى كان يستخدمها لاغراض مختلفة كالقطع والسحق كقطع أغصان الاشجار وسحق الجماجم فضلاً عن انها تصلح للكشط • ولكونها حادة الرأس فانها كانت تستعمل أيضاً كعتلة للرفع(٣٣) أما فى سوريا فان الآلات الآشولية التى عثر عليها فكانت من قطع من الصوان نحتت بشكل خشن أو رققت بصورة غير منتظمة وكان يستخدمها كفؤوس يدوية أو مكاشط أو سواطير •

أما الفاس اليدوية فى هـذه المنطقة فتتألف من كتلة من لب الصـوان أزيلت منها بعض الشظايا ورققت بحيث يسهل مسكها واستعمالها للقطع أو الدق(٣٤) •

أما المواد التي صنعت منها الأدوات الآشولية فكانت من الصوان والخشب(٣٥) والعظام(٣٦) وكذلك من حجر الدوليرايث Delerite والبازلت والكوارتز والاخشاب المتحجرة(٣٧) وكذلك من حجر الربوليت ، الذى يتوفر لا سيما فى افريقيا اذ يشظى هـذا الصخر بسهولة حسب الشكل المطلوب(٣٨) •

---

(٣٣) حتى الدكتور فيليب : «لبنان فى التاريخ» ص ٥٢-٥٣

(٣٤) حتى الدكتور فيليب : «تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » ص٨

(٣٥) بيبى : « قصة البشرية » ص ٣٨

(٣٦) Desmond, ''op. cit.'' p.l 23

(٣٧) Desmond, ''op. cit.'' p. 123

Fleure, ''op. cit.'' p. 44.

(٣٨) Fleure, ''cp. cit.'' p. 44.

الانسان صاحب الحضارة الاشولية :

اختلف العلماء فى تقرير النوع البشرى صاحب الحضارة الآشولية • ولعل السبب فى ذلك يرجع الى سعة انتشار هذه الحضارة فى القارات القديمة ، كما ان الآثار التي عثر عليها وجدت مع بقايا عظمية بشرية مختلفة وأخيراً فان البحث والتنقيب لم يكمل بعد فهنالك كنوز اركيولوجية وانثربولوجيه مدفونة ستمتد اليها يد العلم السحرية وعند ذلك ستنجاب السحب عن كثير من المشاكل المستعصية ومنها مشكلة الانسان صاحب هذه الحضارة •

قيل ان انسان هيدلبرج هو صاحب الحضارة الآشولية ولكن معلوماتنا عن انسان هيدلبرج محدودة جداً وهي مستمدة من فك بشري واحد وهذا طبعاً لا يكفى لتكوين فكرة عن هذا الانسان(٣٩) •

---

(٣٩) رزفانة : الانثربولوجيا ص ٩١-٩٢ •
غلاب الدكتور محمد السيد «نفس المصدر» ص ١٢٢ •

عثر فى ماور بالقرب من هيدلبرج سنة ١٩٠٧ على فك غليظ مطمور وسط رواسب نهرية تحتوى على عظام حصان واسنانه وعظام خرتيت اثروسكى وفيل قديم وغيرها من ثدييات البليستوسين الاسفل من الانواع المحبة للدفء مما يرجح انتماءها الى الفترة غير الجليدية الاولى جنز - مندل Gunz — Mindel ومما يعطيها عمرا لا يقل عن نصف مليون سنة • ويمتاز هذا الفك بأنه غليظ وليس به اى بروز من ناحية الذقن وهذا يعطيه شكلا قرديا ، هذا الى استعراض عظمة الصدغ Ramus وعدم تقعر أعلاه مما يدل على قوة عضلات الوجه المتصلة بالمضغ اما عن الاسنان فهى ذات صفات انسانية هامة بالرغم من انها اكبر من اسنان الانسان الحالى الا انها فى الوقت نفسه اصغر من اسنان القرد ، كما انها صغيرة ايضا بالنسبة لعظمة الفك نفسها • هذا الى ان الناب ليس كبيرا او بارزا اما عن بقية صفات الجمجمة التى ينتمي اليها هذا الفك فلا نعرف عنها شيئا الا ما يمكن ان نستنتجه من الفك مثل غلظ الفك الاعلى او غلظ عظام الجمجمة •

ويعتقد البعض الآخر ان انسان نياندرتال يمثل السلالة التى قامت بصناعة آلات اشيل سواء من نوع نوى الصوان أو شظاياه[٤٠] .

---

(٤٠) بيبى : نفس المصدر « نفس المصدر » ص ٣٣

(٤٠) Fleure, ''op. cit.'' p. 33

وجدت بقايا انسان نياندرتال موزعة فى جهات عديدة من العالم القديم وقد عثر على اولى بقايا هذا النوع فى احد كهوف وادى نياندر بالمانيا ومن ثم كانت تسميته بأنسان نياندرتال . عثر فى كهف وادى نياندر على عظام جمجمه وبعض عظام القفص وعظام الاطراف كما عثر على اجزاء من جمجمه مشابهة فى كهف بجبل طارق سنة ١٨٤٨ وتوالت الكشوف بعد ذلك لبقايا هذا النوع الانسانى فى جهات مختلفة فى بلجيكا وجزر المانش وايطاليا وكرواتيا ، جنوب روسيا ، سيبريا ، شمال افريقيا ، فلسطين كما عثر فى العراق كذلك على انسان نياندرتال فى كهف شانيدر . ولم يعثر على جماجم او اجزاء جماجم فحسب بل على هياكل عظمية كاملة لرجال ونساء واطفال تنتمى الى نوع بشرى واحد . وكانت هذه الهياكل مقترنة بعظام ثدييات مثل الماموث والخرتيت الصوفي مما كان يعيش فى الفترة الجليدية الرابعة (فرم) ولابد انه كان يعيش حينذاك فى الكهوف ولقد عثر على غزال رنه وخرتيت صونى مدفونة وهى مكسوة باللحم مع رفات انسان مما يدل على برودة الجو . ويتلخص الفرق بين جمجمة انسان نياندرتال وبين جمجمة الانسان العاقل من انها كانت كبيرة الحجم بشكل عام وعظامها غليظة ولا سيما عظام حواجبها الضخمة كانها المظلة تشرف على فجوات العين الواسعة العميقة اما الجبهة فكانت متقهقرة الجمجمة مسطحة من اعلا وعظام مؤخرة الرأس قوية حتى تستطيع ان تمسك بعضلات الرقبة الغليظة ، وكانت الرأس منكفئة قليلا الى الامام وكان الفك الاعلى كبيرا ضخما بارزا وسقف الفك عريضا مما يدل على اتساع الفم اما فقاريات الرقبة فكانت متصلة بقاعدة الجمجمة منحرفة الى الخلف قليلا عن موضعها بالنسبة للعمود الفقرى عنها عند الانسان العاقل مما يدل على بروز فى موضع الرأس بالنسبة للعمود الفقرى واخيرا فان جمجمة انسان نياندرتال كانت ذات ذقن متقهقرة اسنانها كبيرة نسبيا واضراسها ضخمة ذات تجاويف خاصة . اما بقية الهيكل العظمى فيمتاز بان فقرات الرقبة طويلة مما يساعد على مسك الرقبة الغليظة . اما عظام الاطراف فذات مظهر ضخم وهى منحنية قليلا وهذا كله يعطى مظهراً وحشياً لانسان نياندرتال فقد كان ضخما ممتلئا غير متناسق الاطراف ، هذا الانسان بصفاته العامة لم يكن كامل انتصاب القامة بل منكفئاً الى الامام مثل القردة واخيراً فان حجم مخ انسان نياندرتال كان كبيراً اذ يبلغ حوالى ١٤٥٠ سنتمترا مكعب اى اكبر من متوسط مخ الانسان العاقل (١٣٥٠ سنتمتر مكعب) .

وقد عثر ليكى Leakey فى كانم وكانجيز بكينيا على فك وجمجمة قيل انها كانت تقترن بآلات حجرية آشولية وانها أقرب الى الانسان العاقل Homo Sapiens [٤١] وعثر فى وقت أحدث على أجزاء جمجمتين فى فونتيشفاد Fontéchevade فى غرب فرنســا مقترنتين بصوان يرجع الى العصر الآشولي المتأخر (التياسى) Tayacian [٤٢] ولقد عثر اوكلى أخـــيراً على جـــزء من جمجمـــة بســـوانسكومب في كنت • ولم يبـــق من جمجمة سوانسكومب عندما وضعت تحت الفحص العلمى سوى جزئها الخلفي وهي على أى حال تشير الى طراز الانسان العاقل Homo Sapiens بل ان بعض العلماء يرجعها الى هذا النوع البشرى وقد وجدت هذه الجمجمة فى حفرة تحتوى على فؤوس يدوية آشولية • ويرى بعض العلماء ان هـــذه الجمجمـــة تقترن بآلات حجـــرية آشـــولية مما يدل على ان صانعهـــا هو انسان سوانسكومب [٤٣] •

---

(٤١) Fleure, "op. cit." p. 31

(٤٢) Ibid. p. 34.

(٤٣) عثر فى عـــام ١٩٣٥–١٩٣٦ بحفرة من الحصـــى والحصبـــاء فى سوانسكومب بمقاطعة كنت فى انجلترة على اكتشاف هـــام جدا هو عبـــارة عن قطعتي عظم من جمجمة بشرية احداهما لغطاء الجمجمة والاخرى لمؤخرتها وكان معها عظام فيل قديم ونوعين من الخرتيت والوعل الاحمر كما عثر معها ايضا على ادوات صوانية ترجع الى اواسط العصر الاشولى اى يمكن وضعهـــا فى الفترة الدفيئة الثانية •

هذه البقايا كانت لشاب وهى قريبة الشبه بالانسان الحديث العاقل فيما عدا سمكها الكبير ، امـــا المخ فيقدر بحوالى ١٣٠٠ سم٣ وهو قريب من متوسط حجم مخ الانسان الحالى بل وان تعرجـــات المخ كمـــا تظهر من عظام الجمجمة من الداخل تدل على ان المخ كان ايضا كبير التجاعيد مثل مخ الانسان العاقل ومؤخرة الجمجمة عريض ولكنه لا يزال داخل نطاق الجماجم الحديثة •

ان بقايا هذه الجمجمة قليلة لا يمكن ان نعتمد عليها كثيرا ونبنى عليها النظريات وهى تدل على ان سلالة من ســـلالات الانســـان صاحب الحضارة الحجرية الاشولية فى اوروبا لم تكن تختلف فى تشريحها عن الانسان العاقل •

وهكذا لاحظنا تنوع الانسان صاحب هذه الحضارة ولعل السبب فى ذلك يرجع الى طول الفترة التي عاشتها هذه الحضارة وتطورت وتطور معها الانسان من طور الى طور حتي وصل الى هيئة الانسان العاقل •

وعلى كل يمكن القول انه ظهر على سطح الارض نوع من الكائنات الصانعة من البشر كان يشبه الانسان الحديث من قريب ولو من بعض الصفات التى تسمح البقايا بالحكم عليها فبينما يدل بعضها كما رأينا على ارتفاع البروز فوق الحاجب الى درجة ملحوظة وبعضها يدل على كبر الفك وضخامة الاسنان وانعدام الذقن وبعضها يدل من ناحيــة اخرى على ان مؤخر الرأس أخـذ بالامتداد والاستدارة وعلى أن حجم الدماغ عندها لايقل عن متوسـط حجم الدماغ عندنا • وتدل الدقة التي تمت بها صناعة الآلات الآشولية الجيدة على أن انساناً عاقلاً هو الذي قام بصناعتها وربما يؤيد هذا ما وجد من آلات آشولية مع جماجم سوانسكومب وكانجيزا •

ويشير توزيع الشظايا غير المتقنة فى كثير من أنحاء اوراسيا حيث توجد مختلطة بأدوات النواة على أن بعض أنواع انسانية اخرى غير الانسان العاقل قد قامت بصنعها • ومن الممكن أن نتصور هجرات الجماعات البشرية صاحبة الحضارة الآشولية من الارض المكشوفة فى افريقيـا شمال خط عرض ١٠° شمالاً فى اتجاهات عديدة على النحو الآتى :

١ ـ جنوباً الى الاطراف الجنوبية الافريقية ولا سيما فى الفترات الجافة Inter Pluvial Periods وكانت تحمل عناصر حضارية من الشمال وقد سلكت أما الساحل الشرقي أو الغربي أو الهضاب الوسطى والسهول •

٢ ـ شمالاً الى اوربا ولا سيما في فترات الدفء عن طريق المعابر التي تربط بين اوربا وافريقيا (جبل طارق) تونس ـ مالطة ـ صقلية ـ ايطالية[٤٤]

٣ ـ شرقاً الى الهند وربما الى جزر الهند الشرقية القريبة التى ربما كانت أجزاء من القارة الآسيوية فى الفترات التى انخفض فيها مستوى الماء[٤٥]

والذى يبدو أن الانسان الآشولى عندما دخل القارة الاوربية كان الجو دفيئاً ورطباً ولهذا عاش فى العراء اذ وجدنا فى طبقات اللويس السفلى بقايا الآلات الصوانية كما وجدناها على المدرجات النهرية ولكن أخذ الجو بالبرودة والجفاف التدريجى وكانت الرياح العليا الشرقية تهب على أوربا حاملة سحباً من الأتربة وقد تراكمت هذه الأتربة فى طبقات سميكة وفى مساحات واسعة من القارة وكذلك فى آسيا وامريكا الشمالية ٠

ولابد أن المناخ كان يتنوع من مكان الى آخر كما هو الحال في الوقت الحاضر لانه بينما كانت توجد الآثار الآشولية مختلطة ببقايا حيوانية دفيئة كانت توجد في أماكن أخرى مختلطة ببقايا حيوانات من ذوات الفراء السميكة التي

---

(٤٤) يعتقد بعض العلماء بوجود قناة تصل بين المحيط الاطلسى والبحر المتوسط فى بداية البليستوسين ولكن لدينا أدلة وهى ظهور حضارة فى اسبانيا اتية من شمال افريقيا وهذا يعنى قدوم حملة فاتحة من افريقيا ٠ حيث كان خط ساحل البحر المتوسط اوطأ بـ ٦٠٠ قدم خلال فترة قرم Würm مما هو فى الوقت الحاضر ٠ ويمكن ان نقول بانه خلال ذبذبة آخن Achen تقدم البحر على حساب اليابس وربما خرج من مضيق طارق ولكن بتقدم بهل Buhl ارتفعت الارض مرة ثانية ولو لم يكن بصورة عظيمة ولكنها كانت كافية لتساعد الانسان ان يعبر من افريقيا الى اسبانيا حتى ولو لم يكن المضيق جافا تماما ثم هبطت الارض ربما الى اوطأ من مستوى سطح البر الحالى ٠

Fleure, "Hunters and Artists." pp. 20-22.

كما ويعتقد بوجود صلة برية بين البر الافريقي والاوروبى عن طريق تونس ـ مالطه ـ صقليه ـ ايطاليا وبهذا يكون البحر المتوسط منقسما الى قسمين شرقى وغربى ٠

(٤٥) Fleure, "op. cit." p. 43.

يظن انها هاجرت من الشمال الى حيث يقيم الانسان الآشولي فارة أمام زحف جليد فرم Würm وأمام الزحف الجليدي لم تتمكن بعض الحيوانات من مقاومة هذا المناخ فاضطرت الى الهجرة كالماموث وفرس النهر[٤٦] وكان لازدياد البرودة أثر قاس على الانسان الآشولى مما اضطره الى اللجوء الى تعلم عمل النار واستعمالها كما صنع المواقد ففى الرماد الآشولى نجد أولى بقايا المواقد ، وهى مواقد قليلة اذا قيست بمواقد الفترة التالية (فترة الحضارة الموستيرية) • ولم تكن قسوة المناخ من الشدة بحيث تلجئه الى سكنى الكهوف بل الذى يبدو ان الانسان الآشولى كان يعسكر فى العراء وينتقل بحرية باحثاً عن رزقه ومن الجائز انه كان يحتمى من الرياح الباردة باقامة ستار من المواد الطبيعية التى فى متناول يديه كأغصان الاشجار[٤٧] ولقد كان الانسان الآشولى صياداً ماهراً يعرف احداث النار ويحب سكنى شواطىء الأنهار حيث توجد الآن معظم مخلفاته لانه عند هذه الشواطىء يتوفر الماء والاسماك كما كان يصطاد الحيوانات التى تفد الى هذه الشواطىء للارتواء • ولقد وجدت على شواطىء بحيرة فكتوريا آثار آشولية كثيرة كما انها وجدت بكميات كبيرة فى موقع واحد على هذا الشكل يدل على ان صناعها كانوا يعيشون فى مجتمعات[٤٨] •

ولقد عثر ليكى وزوجته على محلة آشولية بالاخدود الافريقى على شواطىء بحيرة ترجع الى أواسط البليستوسينى ولقد عثر مع هذه الآلات الحجرية الآشولية على بقايا ثدييات منقرضة مثل الفيل القديم واخرى من نوع فرس النهر والخنزير البرى الضخم والخرتيت واخرى من عائلة الزراف

---

(٤٦) رزقانه ، « نفس المصدر » • ص ٣٨ـ٣٩
Smith, Elliot, "op. cit." p. 98.

(٤٧) رزقانة • « نفس المصدر » • ص ٣٩
Smith Elliot, "op. cit." p. 98.

(٤٨) البطراوى • « نفس المصدر » • ص • ٥٠

والوعل وكان الانسان الآشولى يصطادها ويتغذى بلحومها وربما استعمل البـولا Bola فى صيدهـا حيث كان يلقى البولا Bola على أرجلهـا فلا تتمكن من الحـركة ويفتكون بهـا بأسلحتهم المصنوعة من الشظايا والسواطير والسكاكين وغيرها(٤٩) • ويعتقد Desmond بأن الانسان الآشولى فى افريقيا بنى أو أقام مصاطب فوق الاشجار لنومه(٥٠) •

وبعكس ما كان فى الحضـارة السابقة ـ الشيلية ـ نجد تنوع الحجارة والصخور والآلات التي امتلكها الانسـان الآشولي ونشير كذلك الى أنهم سيطروا تمام السيطرة على الآلات التى صنعوها وهى كذلك تشير بأنه لم تكن هنالك حاجة للاختبار الدقيق للمواد المختلفة لغايات خاصة ولكن هذه أصبحت ضرورية عندما وصلوا الى الفترة التخصيصية وفى هذه الفترة تشير كذلك لاول مرة الى اتجاهات فنية عند الانسان الآشولي عندما وجهت عناية فائقة الى صناعة الفؤوس اليدوية والسكاكين لم تكن أدوات ضرورية وفعالة لحياته اليومية(٥١)

وتدل الدقة التى تمت بها صناعة الآلات الآشولية الجيدة على ان انساناً عاقلاً هو الذى قام بصنعها وربما أيد ما وجد من آلات آشولية مع جماجم سوانسكومب وكانجيرا(٥٢) •

مناطق انتشار الحضارة الاشولية •

أما عن مناطق انتشار هذه الحضارة فالذى يبدو مما اكتشف حتى الآن من بقايا حضارية تعود الى هذه الفترة انها منتشرة انتشاراً واسعاً فى قارات العـالم القديم (آسـيا ، أوربا ، افريقيا) بحكم الاتصـال البرى بين هـذه القارات(٥٣)، كذلك تدلنا على كثرة عدد الانسان صاحب الحضارة الآشولية

---

(٤٩) غلاب ، الدكتور محمد السيد • « نفس المصدر » • ص ١٣١

(٥٠) « نفس المصدر » ص ١١٨

(٥١) Desmond, "op. cit." p. 123.

(٥٢) Fleure, "op. cit." p. 41.

(٥٣) يعتقد كثير من العلماء بوجود ثلاثة معابر بريـة او ضحلـة يسهل الانتقال عن طريقها بين افريقيا واوروبا •

الذى حمل هذه الحضارة الى هذه القارات وعمّرها • ويعتقد ليكى Leakey وفلير Fleure وغيرها بأن افريقيا هى الموطن الاصلى للحضارة الآشولية ومنها انتشرت الى قارتى آسيا واوربا ، فلقد وجدت بقايا الحضارة الآشولية فى معظم جهات افريقيا فلقد عثر عليها فى شمال انجولا وكتانجا وكذلك فى الجزء الهضبى من روديسيا الشمالية (آشولية متأخرة) مثل ذلك على ضفاف جدول كاموا Kamoa بالقرب من كولويزى Kolwezi عند منطقة توزيع المياه بين الكنغو والزمبيزى وجدت أدوات غير كاملة الصنع بالقرب من بقايا مصنع وآلات آشولية دقيقة الصنع • هذا الوادى كان مسكوناً من قبل الانسان الآشولى عندما كان منسوبه هابطاً[٥٤] • كما عثر على البقايا الآشولية كذلك فى مدرجات نهر فال Vaal حيث وجدت خمس مدرجات كان المدرج الاول (الاعلى) يحوى على بقايا حضارة شيلية فى حين أن المدرج الثانى يحوى على بقايا حضارية آشولية[٥٥] كذلك عثر على الحضارة الآشولية فى موزمبيق وناتال وتنتشر فى الجنوب (منطقة الكاب) حيث المطر الشتوي (تتبع اقليم البحر المتوسط) كما وجدت بقايا هذه الحضارة فى المدرجات العليا لنهر الزمبيزى فوق سد كاريبا Cariba هذه المناطق جميعها ضمن أقاليم أعشاب السفانا مما يدلنا على ان منطقة السافانا كانت مناسبة لسكناهم[٥٦] ، حيث الارض مستوية والحيوانات متوفرة بكثرة كما تتوفر الاشجار حيث المجارى المائية • أما فى شمال افريقيا فيختلف المناخ بكونه

---

(٥٤) Desmond, "op cit." p. 120.

(٥٥) Desmond, "op. cit." p. 123.

لقد وجدت فى نهر فال Vaal فى اعلا مدرج (اقدم) بقايا شيليه اشولية وفى المدرج الذى يليه وجدت بقايا اشولية مندثره تحت طبقات تكونت فى العصر المطير الثالث فى افريقيا وهو كانجيران Kanjeran
Desmond, "op. cit." p. 44.

(٥٦) Desmond, "op. cit." p. 123.

حار رطب وعلى هذا تنظر ان نجد فى هذه المنطقة بقايا الحيوانات التى كانت تعيش فى جو دفىء وسط الغابات الكثيفة وعلى شواطىء المجارى المائية العظيمة الموجودة فى ذلك الوقت ومعظم هذه الحيوانات انقرض فى الوقت الحاضر وبعضها هاجر الى المناطق الحارة فى الجنوب لما شعر ذلك الحيوان باقتراب موجة البرد التى عمت هذه الاقطار فى الفترة التالية •

ففيما يختص بوادي النيل يظهر انه كان يتمتع بنفس المناخ الحار وتعيش فيه نفس الحيوانات والنباتات الكثيفة ، والبقايا الحيوانية المستخرجة من الخليج القديم عند سهل العباسية تعطينا بعض المعلومات عن ذلك ، فالرواسب فى هذه المنطقة تحتوى على بقايا تماسيح وفرس الماء(٥٧)• أما الآثار الآشولية فلقد عثر عليها على السطح شمال الاهرامات بالجيزة • ولقد وجدت كذلك فى المدرج ذى الارتفاع (١٥م) ، الذي لا يظهر متصلا فى اندلتا ، الا انه هنالك أدلة كثيرة تبين ان هذا المدرج كان موجوداً فى الماضى ثم تحول الى بقايا مبعثرة لا يمكن تمييزها ويمكن مشاهدة تلك البقايا فى المنطقة الممتدة من حلوان الى وادى طميلات وتوجد بعض تلك البقايا جنوبى حلوان فى القاهرة وهليوبوليس كذلك عثر عليها فى منطقة العباسية (٥٨) •

---

(٥٧) رزقانه • « نفس المصدر » • ص ١٠٣

(٥٨) كان لاستخراج الحصى اللازم لاعمال البناء فى القاهرة من خليج العباسية الواقع شمال شرق القاهرة الى قطع الطبقات فى هذه المنطقة الى عمق يزيد ٣٠ م وبدراسة هذه الطبقات وجد فى القاع الرمال التى كانت تكون قاع الخليج فى زمن البليوسين ، يلى ذلك طبقة الرواسب النيلية سمكها حوالى ١٠م • وبدراسة الحصى المستدير الموجود فى هذه الرواسب امكن الاستدلال على تتابع الحضارات فى مصر ، فوجدت الحضارة الشيلية تليها الاشولية وتختلط كل منهما ببقايا الحيوانات المعاصرة •

وتدل أبحاث ليكي Leakey وزوجته سنة ١٩٤٢ على وجود محلة آشولية في Oslorgesailie في الاخدود الافريقي على شواطىء بحيرة ترجع الى أواسط البليستوسين • ولقد عثر مع هذه الآلات الحجرية الآشولية على بقايا ثدييات منقرضة مثل الفيل القديم واخرى من فرس النهر والخنزير البري الضخم والخرتيت واخرى من عائلة الزراف والوعل وكان الانسان الآشولى يصطادها ويتغذى من لحومها ولكن لم نعثر على بقايا نيران مما يدل على ان الانسان هنا لم يكن قد اهتدى الى النار بعد[٥٩] ، ولعل السبب يرجع الى عدم حاجته للنار لدفء الجو هنا بعكس الحال في اوربا حيث الجو أخذ بالبرودة بالنظر لتقدم الجليد •

أما في قارة اوربا فقد وجدت الحضارة الآشولية في مناطق متعددة من القارة فلقد وجدت في المدرج الاول (الاسفل) الذى يبلغ ارتفاعه ١٨-١٦م لنهر السوم في فرنسا بقايا آشولية [٦٠] • كذلك عثر على بقايا حضارية آشولية في المانيا وانجلترة وأنحاء اخرى من فرنسا وفي النمسا وايطاليا وروسيا[٦١] • ولقد وجدت في روسيا أسلحة آشولية متقدمة

مدرجات نهر السوم	الارتفاع	نوع الحضارة	الفترة
١ - المدرج الاول	١٨-١٦ م	حضارة موستيرية اشولية شيلية	فترة رس - فرم الدفيئة وفترة رس الجليدية
٢ - المدرج الثانى	٣٢ م	شيلية	فترة مندل - رس للدفيئة ومندل الجليدية
٣ - المدرج الثالث	٥٩-٥٦ م	سابقة للشيلية	فترة جنز - مندل الدفيئة وفترة جنز الجليدية
٤ - المدرج الرابع	١٠٣ م	لا تجد ادوات	

(٥٩) غلاب ، الدكتور محمد السيد • « نفس المصدر » • ص ١٣١ •

(٦٠) Fleure, "Apes and Men." p. 98.

(٦١) Fleure, "op. cit." p. 48.

Smith, Elliot, "Human History." p. 97.

Early Acheullean في ساتاني دار Satani Dar وفي عـــام ١٩٣٤ - ١٩٣٦ كشفت محطة Yashtukh حوالى ٣٥٠ كم شمال غرب تفليس كذلك وجدت في اوكرانيا وتركمانيا Turkmenia على بحر قزوين كذلك وجدت في كريميا Crimea في كهف Kük - Koba والتي تقع على بعـــد ٢٥ كم الى الشرق من Simferopocl والتي تم كشفها عام ١٩٣٤ (٦٢) ٠

والذي يبدو لنا بأن الانسان الآشولي دخل القارة الاوربية من الشرق حيث اجتاز المنطقة السهلية المنبسطة الواقعة بين بحر قزوين وجبـال اورال تلك المنطقــة التي كانت ولم تزل الجسر الذي عبرت عن طريقه الموجــات البشرية من آسيا الى اوربا وبالعكس ٠ والسبب الذي يدعونا الى هذا الاعتقاد هو كثرة المحطـات الآشـولية في شرق اوربا والتي تقل كلما اتجهنـا غرباً وجنوباً فتقل في ايطاليا وتكاد تنعدم في أسبانيا ، ولكن هذا لا يمنع من دخول بعض الجماعات الآشـولية عن الطريق البري الذي كان يربط افريقيا بأوربا فدخل الانسان الآشولي من الشرق متتبعاً الحيوانات المحبة للدفء كالحصـان والغزال ويظهر انه تتبع نهر الدانوب في مسيرته نحو الغرب لانه كان يحب سكنى شواطىء الانهار حيث توجد الآن معظم مخلفاته اذ يجد على الشواطىء الماء والاسماك كما يصطاد الحيوانات التي ترد الماء ويقتات عليها ٠ وعندما دخل الانسان الآشولي قارة اوربا كان الجو لا يزال دفيئـاً ورطباً ولكن الجو أخذ بالبرودة والجفاف بالتدريج وكانت الرياح العليا الشرقية تهب على أوربا حاملة سحباً من الاتربة التي تراكمت على شكل طبقات سميكة وفي مساحات واسعة من قارة اوربا وهي الطبقات التي نطلق عليها اسـم اللويس ٠ ولقد وجدت الآلات الآشـولية في الاجزاء السفلى من طبقات اللويس وهـذا يدلنا على ان الانسان الآشولي في اوربا كان يعيش في العراء حتى عندما كانت تهب الرياح

---

(٦٢)
Mongait, "Archaeology in the U.S.S.R." pp. 78, 79, 80.

الشرقية الشديدة ويبدو ان المناخ كان يتنوع من مكان الى آخر كما هو الحال الآن لانه بينما كانت توجد الآثار الآشولية فى بعض الاماكن مختلطة ببقايا حيوانات تحب الدفء كانت توجد فى أماكن اخرى مختلطة ببقايا حيوانات من ذوات الفراء السميكة ويظهر ان هذه الحيوانات قدمت من شمال القارة الى حيث استوطنت نتيجة لتقدم جليد فرم Würm آخر عصري جليدى بليستوسينى وكان الانسان الآشولى فى اوربا يعرف احداث النار وربما حفزه اقتراب جليد فرم Würm الى اختراع النار واستعمالها ففى الرماد الآشولى نجد أولى بقايا المواقد وهى على العموم قليلة اذا قيست مع الفترة التالية وهى فترة الحضارة الموستيرية •

أما فى قارة آسيا فلقد وجدت بقايا الحضارة الآشولية فى الاقليم الموسمى جنوب وشرق آسيا حيث وجد الحصى المشظى الذى يشبه المكشط •

أما فى شبه جزيرة العرب فلقد وجدت الحضارة الآشولية فى كهف عدلون (فى منتصف الطريق بين صور وصيدا) وجبل الكرمل وأم قطفه (تقع شمال غرب البحر الميت) وكذلك فى الزطيه (وتقع شمال غرب بحيرة طبريه) وكذلك فى كفريا وفى مدوخا من أعمال البقاع عند سفح لبنان الشرقي [٦٣] •

كذلك وجدت فى وادى الاردن فى الجنوب ورأس الشمرا (اوغاريت) فى الشمال [٦٤] ، حيث وجدت الأدوات والاسلحة المعمولة من قطع الصوان التى نحتت بشكل خشن أو رققت بصورة غير منتظمة وكان يستخدمها كفؤوس يدوية أو مكاشط أو سواطير ، وكانت الفأس اليدوية فى هذه

---

(٦٣) حتى ، الدكتور فيليب • « لبنان فى التاريخ » • ص ٥٢ـ٥٣
حتى • « تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » • ص ٧ـ٩
(٦٣) انظر شكل رقم (٣)
(٦٤) انظر شكل (٤)

المنطقة أقدم الآلات الاكيدة التى صنعها الانسان القديم وتتألف من كتلة من لب الصوان أزيلت عنها بعض الشظايا ورققت بحيث يسهل مسكها واستعمالها للقطع والدق • كذلك وجدت أدوات تشبه الاجاصة فى شكلها ومشذبة تشذيباً بدائياً على طريقة التشظية ومرققة من الجانبين ولذا يسميها علماء الآثار بذات الوجهين • وهى تنتهى عند رأسها بطرف حاد فهى من هذه الناحية تختلف عن الفؤوس اليدوية ويبدو أنه كان يستعملها لقطع أغصان الشجر وسحق الجماجم كما تصلح للكشط • ولكونها حادة الرأس فكانت تستعمل كعتلة للرفع • وكذلك وجودها فى هذه المنطقة من غرب آسيا يؤيد ما قلنا من أن الانسان الآشولى انتقل من أفريقيا الى اوربا عن طريق سيناء ومنها الى سوريا ثم تركيا فأوربا حيث توجد صلة برية اذ ان البسفور حديث الانكسار •

وأخيراً وجدت الآثار الآشولية فى العراق فى منطقة برده بلكه •

بردة بلكه Barda Balka

تقع برده بلكه على بعد ثلاثة كيلومترات شمال شرق جمجمال فى لواء كركوك وعلى أقل من ٢٠٠ متر جنوب شرقى طريق كركوك ـ سليمانية ويقوم مستوطن بردة بلكه على منحدر فرع قصير من فروع چم شيراسو Cham Shirasu الذى ينبع بالقرب من جمجمال وينحدر جنوباً بشرق محاذياً محور سهل جمجمال الى چم باسرا Cham Basira. ثم ينعطف الى الجنوب الشرقى متجهاً نحو طاووق چاى Tauq Chai (٦٥) وتقوم برده بلكه فى العراء على رابية منبسطة تتكون من طبقات ترسبات كلسية بليستوسينيه مترسبة فوق صخور ميوسينيه يقدر سمكها بين ١٠ – ١٥ متر تنتشر على منحدراتها أدوات صوانية وحجرية مختلفة ولب الاحجار وشظاياها وكذلك كسرات من فخار سمج تعود لفترة أحدث عهداً من الآلات

(٦٥) Wright, H.E., and Bruce, "Howe," Preliminary Reports on

الحجرية[٦٦] • ولموقع برده بلكه مكانة كبيرة في دراسات الآثار ليس لكونه غني بالآلات الحجرية وبقايا الحيوانات فحسب بل لكونه أقدم موقع في العراق تتوفر فيه الادوات من الحصى والصوان • كما توجد المعامل أو الاماكن الخاصة لصناعة الآلات الحجرية Work Shop كما تقوم فيها مناطق معينة لذبح الحيوانات [٦٧] •

ولا يمكن أن نؤرخ هذا الموقع على درجة الدقة فيمكن القول بأن تاريخه ينحصر بين ١٠٠،٠٠٠ ـ ١٠،٠٠٠ سنة ق • م أي الفترة الدفيئة ـ رس ـ فرم Riss — Würm وفترة فرم Würm الجليدية وكذلك الذبذبات التي تلت ذلك[٦٨] •

---

(٦٦) انظر شكل (٥) Soundings at Barda Balka, p. 107.

(٦٧) انظر شكل (٦)

(٦٨) مر العام في عصر البليستوسين بفترة جليدية كانت على (٤) ادوار هي : جنز ، مندل ، رس ، فرم

Gunz , Mindel , Riss , Würm.

١ ـ جنز Gunz قبل ٧٠٠،٠٠٠ ق • م •

٢ ـ مندل Mindel بين ٤٣٠،٠٠٠ـ٣٧٠،٠٠٠ ق•م•

٣ ـ رس Riss بين ١٣٠،٠٠٠ـ١٠٠،٠٠٠ ق•م•

٤ ـ فرم Würm بين ٤٠،٠٠٠ـ١٨،٠٠٠ سنة ق•م•

وبين هذه الادوار الجلدية هنالك (٣) ادوار دفيئة تقع بين الادوار الجليدية •

١ ـ جنز ـ مندل Gunz — Mindel

٢ ـ لندل ـ رس Mindel — Riss

٣ ـ رس ـ فرم Riss — Würm

ولم يكن انسحاب مرة واحدة بل على شكل ذبذبات هي : آمن ، بهل ، شنتز ، داون Achen, Bühl, Gschnitz, Dawn.

هذا حصل في اوروبا وامريكا الشمالية وبعض اجزاء اسيا ويقابل ذلك انتشار عصور مطيرة Pluvial Periods في صحراء افريقيا الكبرى وصحراء شبه جزيرة العرب وايران حيث زادت كمية الامطار عما هي عليه في الوقت الحاضر ومرت فترات بين هذه العصور المطيرة قلت الامطار ونسميها فترات جافة •

. Inter Pluvial Periods

هذا الموقع يعود الى العصر الحجرى القديم وعلى وجه التخصيص العصر الحجرى القديم الاسفل (الحضارة الآشولية) ولكن اعتقد ان التدرج الحضارى قد حصل فى هذه المنطقة فانتقل الانسان من الحضارة الشيلية الى الآشولية اذ هنالك بعض الفؤوس اليدوية خشنة بدائية تدل على أن انسانا أقل سيطرته على أدواته قد صنعها عنه فى الانسان الآشولى الذى سيطر تمام السيطرة على أدواته ثم تطورت هذه الاسلحة وأصبحت دقيقة الصنع وانتشر الى جانب الادوات المصنوعة من النواة صناعة الآلات المصنوعة من الشظايا ٠

تعنى برده بلكه باللغة المحلية (اللغة الكردية) حجرة المتكأ ، اذ هنالك حجراً قائماً كالعمود اسطوانى الشكل ارتفاعه (٤) أمتار ومحيطه فى أعرض نقطة منها أيضاً (٤) أمتار الا ان محيط جزءها السفلى ٢٫٢٠ متر وهذه الصخرة هى من حجر البرشيا Breccia المتكونة من كسرات من الصوان والحجارة الصغيرة غير مستديرة الزوايا ومن الرمال والعظام وقد تماسك بعضها مع بعض بترسبات ثانى اوكسيد السيليكون هذا النصب أو هذا المتكأ طبيعى من نوع المجمعات التى تحتوى على عظام واسنان وصوان مشغول ووجود هذا المتكأ بهذا الشكل دليل على مقاومته لعوامل التعرية المختلفة[٦٩]٠

ان البقايا التى وجدت فى هذا الموقع تدل على انها من نوع البقايا الآشولية التى تكلمنا عنها فى الصفحات السابقة وتقع هذه المواد التى عثر عليها فى (٣) أصناف هى :

١ ـ فؤوس يدوية
٢ ـ أدوات حصوية
٣ ـ أدوات صوانية[٧٠]

---

(٦٩) انظر شكل (٧) الذى يمثل صخرة المتكأ ٠

(٧٠) انظر (١) شكل (٨) الذى يمثل فؤوس يدوية اشولية من بروده بلكه ٠ انظر (٢) شكل (٩)، شكل (١) صخور حصوية من ٣ـ٧ ادوات مصنوعة من الشظايا ٠

وأول ما يبدو للباحث ان الفؤوس اليدوية والآلات الحصوية قد اصابتها عوامل التعرية والتآكل ، ولكن الاختبار أظهر ان الادوات الطباشيرية هي الوحيدة التي اصابتها عوامل التعرة والتآكل بينما الادوات الصوانية فقد حافظت على هيئتها وداومت عوامل التعرية والتآكل المختلفة .

أما الآلات التي استعملها الانسان الآشولي في العراق واوصافها فكما يلي :

١ - الفؤوس اليدوية :
وتعتبر من أشهر الآلات الحجرية السائدة في برده بلكه وهي كمثرية الشكل أو على هيئة القلب ذات رأس منبل مهيأ لتحطيم الحيوانات وصرعها وتقطيع لحومها . طول هذه الآلة نحو ١٠ سنتمترات وبين الفؤوس اليدوية المصنوع بعضها من شظايا كبيرة ، شيء قليل من فؤوس رقيقة حسنة الصنع وكثير من الفؤوس الغليظة الساذجة الصنع وكانت في بدايتها على هيئة قلب أو لوزة وبينها عدد قليل من نوع Micoquian الطويلة ، وبعضها لم يزل محتفظاً في طرف رأسه أو أحد وجهيه بالقشرة الحصوية الاصلية [٧١] . كما وجدت بعض الفؤوس وقد هندمت نهايتها المنبلة وجانباها وتركت نهايتها الثانية وهي محل القبض على هيئتها الطبيعية وكانت هذه الآلة تستعمل في أغراض شتى منها للدفاع عن النفس ولصيد الحيوانات وقطع لحومها ولاحتطاب الاخشاب [٧٢] .

٢ - الادوات الحصوية .
أما صنف الادوات الحصوية فيتألف من أدوات صنعت من حصى النهر الكروية الشكل أو البيضوية . وتتدرج طريقة صنعها من قشر حافات أو

---

(٧١) رايت وبروس هاو . تقرير تمهيدي عن التنقيبات الاستكشافية في برودة بلكه . ص ٢٠٩

(٧٢) الاصيل ، الدكتور ناجي « المراسلات والانباء » ص ٣١٤

أوجه الحصوة بقشط شظيتين أو أكثر من وسطها أو بتشظية وجهين مزدوجين فى الحافة[٧٣] .

٣ ـ الادوات الصوانية

من بين الادوات الصوانية الدقيقة التى تؤلف معظم صناعة بردة بلكه أنواع مختلفة من مقاشط ساذجة مصنوعة من قطع صوانية لا شكل لها البته يظهر انها كانت تستعمل لتنظيف الجلود من المواد العالقة بها . كذلك هنالك شظايا وكسر لا توجد على أى من حافاتها علامة ما تدل على الاستعمال أو الصقل أما النواة فعلى أنواع فمنها القرصية الشكل والمتعددة الوجوه .

ولقد وجدت مقادير هائلة من كسر الشظايا غير المصنوعة والعدد الكبير من قطع النواة وكسر النواة الموجودة فى مكان معين هذا يدل بأن الانسان صاحب هذه الحضارة كان يصنع أدواته فى مكان معين Work shop أى كان هنالك مصنعاً لعمل الادوات التى يستعملها فكان يأتى بالصخور التى يستخدمها فى صناعة آلاته أو الحصو الى هذا المكان ويقوم بصنع آلاته فيه . الى جانب هذا المصنع وجدت كميات كبيرة من أسنان وبعض أجزاء من العظام لحيوانات مختلفة مما يدل على ان هذا المكان كان معداً لذبح الحيوانات وسلخها وتقطيعها . أو كان يقوم بالقرب من المصنع مخيماً صغيراً أو مكاناً للذبح يتصل بصناعة الادوات الحجرية .

ولقد وجدت اسنان وكسر أسنان وقليل من كسر العظام وتخص حيوانات الحصان أو الحمار الوحشى كما وجدت كسر عظمية لجنس الثور الوحشى وعظام جنس المعز الوحشى وجنس الغنم الوحشى وعظم طويل لغزال أو الوعل أو الايل الوحشى وعظم آخر طويل جداً وناب واحد لجنس الفيل الوحشى وكسراً قليلة من قشرة درع سلحفاة واصداف قواقع[٧٤] .

---

(٧٣) رايت ، وبروس هاو . « نفس المصدر » . ص ٢٠٩

(٧٤) رايت ، « نفس المصدر » . ص ٢٠٩

أما الانسان صاحب هذه الحضارة فعلى الرغم من اننا لم نجد أى بقايا بشرية فى هذه المنطقة الا انى أعتقد ان من نوع الانسان العاقل Homo Sapiens الذى انتشر فى هذه الفترة ولا شك بأن التنقيب فى المستقبل سيكشف عن بقايا بشرية تميط اللثام عن الغموض الذى يحيط معرفة نوع الانسان صاحب الحضارة الآشولية •

لقد اعتقد بعض من كتب فى موضوع برده بلكه ان هذه الحضارة نشأت فى الفترة الجليدية الرابعة (فرم Würm) حيث كان العراق آنشذ غزير الامطار ولكن هنالك كثير من الشواهد لا تؤيد ذلك ، فلقد وجدت بعض البقايا الآشولية فى أماكنها فى العراء أو فى حفر وهذا دليل على أن انسان هذا الدور كان يعيش فى العراء ولم يحتج لسكنى الكهوف ، فلو كان الجو بارداً والامطار غزيرة لألتجأ الانسان صاحب الحضارة الآشولية الى الكهوف كما ان بقايا الحيوانات التى عثر عليها فى هذه المنطقة والتى هى من نوع الحمار الوحشى والغزال ••• الخ هى من نوع الحيوانات التى تحب الدفء وكذلك فان البرده بلكا (او صخرة المتكأ) والتى هى عبارة عن برشيا Breccia فهى قد تكونت فى نوع من المناخ يمتاز بجفافه وهذا يؤيد ما قلناه من ان هذه الحضارة لم تقم فى العراق فى الفترة الجليدية الرابعة ولكن حسبما اعتقد ويؤيد ذلك ما ذكرناه انها قامت فى العراق فى الفترة الجافة الثالثة (Inter Pluvial Period) كانجيران ـ كامليان

وهكذا عاش الانسان فى هذه الفترة فى العراق مدة طويلة من الزمن وترك أسلحته فى العراء حيث كان يعيش ولكن أخذت الامطار تزداد بالتدريج وأخذت درجات الحرارة بالهبوط لانتشار الجليد فى وسط أوربا وامريكا الشمالية وبعض أجزاء آسيا فى الفترة الجليدية الرابعة فرم Würm فاضطر الانسان صاحب الحضارة الآشولية فى برده بلكه من الالتجاء الى الكهوف المجاورة الموجودة بالمنطقة •

الدكتور محمد رشيد الفيل
قسم الجغرافية جامعة بغداد

مصادر البحث

المصادر العربيــة

١ ـ البطراوى ، الدكتور أحمد : « الجنس البشرى فى معرض الاحياء »
القــاهرة ١٩٥٨

٢ ـ الأصيل ، الدكتور ناجى : « المراسلات والانباء » سومر الجزء الثانى
لسنة ١٩٤٩

٣ ـ الحلو ، عيسى : « عصور ماقبل التاريخ وتاريخ بابل القديم » بيروت

٤ ـ الفيل ، الدكتور محمد رشيد : « حضــارات العصر الحجرى القــديم
الاسفل ـ الحضارة الشيلية »
مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ـ بغداد • آب ١٩٦٢

٥ ـ باقر ، طه : « مقدمة فى تاريخ الحضارات القديمة » بغداد ١٩٥٥

٦ ـ بريدوود ، روبرت : « التنقيبات الأثرية فى المنطقة الكردية » :
مجلة سومر المجلد السابع الجزء الثانى ١٩٥١

٧ ـ بصمهجى ، الدكتور فرج : « العصــور الحجرية فى العراق » سومر
الجزء الثانى المجلد الحادى عشر ١٩٥٥

٨ ـ بيبى ، هـ • ك : « قصة البشرية » القاهرة • ترجمة محمد متولى

٩ ـ حتى ، الدكتور فيليب : « لبنــان فى التاريخ » بيروت ١٩٥٩ ترجمة
دكتور أنيس فريحه

١٠ـ حتى ، الدكتور فيليب : « تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين » دار الثقافة
بيروت ١٩٥٨ ترجمة الدكتور جورج حداد

١١ـ رزقانه ، دكتور ابراهيم أحمد : « الانثريولوجيا » القاهرة ١٩٥٧

١٢ـ رزقانه : الدكتور ابراهيم أحمد « الحضارات المصرية فيفجر التاريخ »
القاهرة ١٩٤٨

١٣ـ رزقانه : « حضارة مصر والشرق القديم » القاهرة

١٤ـ غلاب ، الدكتور محمد السيد : « تطور الجنس البشرى » اسكندرية
١٩٥٨

الشعر العراقي في القرن التاسع عشر
ومنزلته من الشعر في مصر والشام

بقلم : ابراهيم الوائلي

مدرس في قسم اللغة العربية

تمهيـــــــــد :

كانت الدولة العثمانية فى القرن التاسع عشر ذات سياسة استمرارية لم يحدث فيها تغيير هام وكانت الجامعة الاسـلامية ذات النفوذ القوي الذي يسيطر على شـعور المسلمين الى جانب الجامعـة العثمانية التي يشترك فيهـا المسلم وغـيره • وكان السلطان العثماني حاميا للشعوب الاسـلامية على اختلاف عناصرها ولغاتها لذلك لم تكن الفكرة التركية معروفة لدى رجال الدولة حتى منتصف القـرن التاسع عشر ولم يكن الادباء والشعراء الاتراك يتحدثون عن غير الوطن العثماني وغير الامـة الاسلامية [1] على الرغم من اتصال بعضهم بالاداب الاوربية والثقافات الحديثة • وحتى فى مرحلة التطور التي حدثت فى اواخر القـرن التاسع عشر وظهـور ملامح الفكرة الطورانية بين الاتراك كانت ارادة السلطان عبدالحميد الثاني وتمسكه بالجامعـة الاسـلامية لحمايتـه من الدول الاوربيـة فـوق كل تطـور أو فكـرة •

أما البلدان العربية التابعة للدولة العثمانية فأنها لم تكن فى مظاهرها السياسية والثقافية ذات مستوى واحد ، فقد كانت مصر اول بلد عربي نشط نشاطا ملحوظا فى متابعـة التطـور العلمـي فى اوربا والاستفادة منه • وفى النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت اليقظة العربية فى سوريا ولبنان تنمو وتزداد وكانت الصحافة والمدارس ــ ولا سيما فى مصر ــ قد شقت طريقها فوق انقاض الماضي المعتم فأفادت واثمرت غير ان العـراق بقي ــ بحكم موقعه الجغرافى ــ بعيدا عن التيارات الحديثة وكان تأثره بالغرب أقل من تأثر البلدان العربيـة الاخرى [2] ، فقد حال

---

١ ــ نشوء الفكرة القومية ــ لساطع الحصري ــ ص ١٠ ط ٢ .

٢ ــ الزهاوي الشاعر ــ للدكتور اسماعيل احمد ادهم ــ ص ١٦ .

النفوذ التركي فيه دون كل شيء يسمى ثقافة حديثة فلا صحافة ترشد وتكتب سوى (الزوراء) وهي جريدة حكومية ذات أسلوب منحط اصدرها مدحت باشا عندما كان واليا فى بغداد • ولا مدارس تثقف وتبني سوى المدارس الضعيفة التي كان التعليم فيها يؤدى باللغة التركية وحدها • لذلك ظل العراق يتزود مادته العلمية والثقافية مما بقي له من التراث القديم ويحافظ على لغته العربية وانتاجها بشيء من الصراع المستمر مع اللغة الحاكمة وغيرها وبذلك التزود وهذه المحافظة استطاع ان ينشيء أجيالا متعاقبة من المؤلفين والشعراء العرب وأن يضيف الى المكتبة العربية كثيرا من دواوين الشعراء التي انشدت قصائدها على ضفاف الفرات ودجلة فى خضم الحكم العثماني المتعصب •

قديم وجديد :

الشعر تجارب وانفعالات تمدها البيئة التي يحيا فيها الشاعر والثقافة التي يتزود منها والحوادث التي يرافقها من سياسية واجتماعية الى جانب الخيال والعاطفة والحرية وبتطور الحياة العقلية والاجتماعية يتطور الشعر ويجدد ويضيف الى المعاني القديمة ما يستحدثه من معانٍ جديدة ، وقد لمسنا فى كثير من صور الشعر العباسي أثر الثقافة والبيئة ومراحل التطور والجمود ، كما فى شعر أبي نواس وشعر المعرّي فى سقط الزند واللزوميات وشعر المتنبي فى مرحلة الصبا وحين نضج فكره [٣] • أما فى العصر الحديث فأن ماقلناه عن اولئك يمكن ان يقال عن البارودي واسماعيل صبري فى مصر فأن الاول منهما بدأ شعره متأثرا بكبار الشعراء العموديين وغيرهم من شعراء التقليد ثم استطاع ان يجدد وان يضيف الى الصور المكتسبة بعض الصور الطبيعية من ذاته ونفسه ولعل الفرق واضح بين قوله :

ألا حى من أسماء رسم النازل   وأن هي لم ترجع بيانا لسائل [٤]

---

٣ ـ الشعر السياسي العراقي ، للمؤلف ص ٢٧١ بغداد ١٩٦١ مطبعة العاني .

٤ ـ ديوان البارودي ـ ١ : ٤٤٦ مطبعة الجريدة ـ القاهرة .

وبـين قـوله :

شفت زجاجة فكري فأرتسمت بها علياك من منطقي فى لوح تصوير (٥)

فالبيت الاول واضح التقليد والمحاكاة فى حين يبدو فى البيت الثاني أثر العلم والثقافة والاطـلاع على بعض المخترعات الحديثة • ولقد مرّ اسماعيل صبري بطـورين من اطـوار الشعر اولهما تقليدي ضعيف فى صوره ومعانيـه ، وثانيها يدل على استعداد كان فى انتظار المرحلة التي ترفع الشاعر من السفح الى القمة فمن الاول قوله :

سفرت فلاح لنا هـلال سعود ونمـى الغـرام بقلبي المعمود

ومنها يخاطب حبيبته الموهومة :

واستأنفي موصول عائـد انسنا فالقرب عيدي والبعاد وعيدى (٦)

ومن الثـاني قـوله :

يا آسي الحي هل فتشت فى كبدي وهـل تبينت داء فى زوايـاهـا

اواه من حـرق اودت بمعظمهـا ولـم تـزل تتمشـى فى بقاياها

ياشوق رفقا بأضلاع عصفت بهـا فالقلب يخفق ذعرا فى حناياها (٧)

أن الصورة الاولى من الشعر التقليدي الركيك الذي تغلب عليـه الصنعة البديعية المهزوزة بينما تماسكت الصورة الثانية بأدائهـا وفنهـا وبمـا تخللهـا من عاطفـة وحس •

ذلك أن الشاعر كان فى الصورة الاولى شابا مقلدا لم يؤت حظـا من الخيـال والأداء الفني ، وفى الصورة الثانيـة قد استوت له الملكة التعبيرية المناسبة لوعيه وادراكه بعد ان تقدمت به السن •

---

٥ ـ المصـدر نفسه ـ ٢ : ٣٦ المطبعة الاميرية ـ القاهـرة .

٦ ـ ديوان ـ اسماعيل صبري ـ ص ١ •

٧ ـ المصـدر نفسـه ص ١١٧ •

ومثل هذين الشاعرين الشيخ ناصيف اليازجي وابنه الشيخ ابراهيم من الشام ، فأن الاول منهما كان مقلدا في شعره اذا تغزل أو مدح أو رثى ولم يخرج عن حدود الشعر القديم الا بركة الفاظه ومن ذلك قوله :

لعينك يا غزال الرقمتين غليل صبابتي وسهاد عيني [8]

وقوله يمدح نابليون الثالث :

ملك اذل المال وهو جواهر وأعز نصل السيف وهو حديد [9]

وقوله :

سلام على وادي الاراك وحاجر وما ثم من ظبي أنيس ونافر [10]

بينما استطاع ابنه ابراهيم ان يقفز في بعض الموضوعات ومنها السياسية وليس ادل على ذلك من قصيدته التي يقول فيها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب

فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب [11]

أما من العراق فان بعض الشعراء ظهرت لهم صور يمكن ان تعد شيئا جديدا يضاف الى ما ظهر في سوريا ومصر من الشعر الذي يلمح فيه التأثر بالتطور العلمي والسياسي وان كان يجري في مسارب ضيقة ولعل شيئا من التطور حدث في اخريات القرن التاسع عشر ولا سيما في الموضوعات السياسية التي تناولها الزهاوي والكاظمي . أما التقليد فانه كان مثلا يحتذى في الشعر العراقي حتى عند الزهاوي نفسه ومن ذلك قوله :

وغادة قلبي يهواها باعث محياي محياها

تدير بالكأس الحميا وقد حكى محياها حماياها [12]

---

٨ ـ ثالث القمرين ـ ص ٢٤ بيروت ١٨٨٣ م .

٩ ـ المصدر نفسه ـ ص ١٢ .

١٠ـ المصدر نفسه ـ ص ٨١ .

١١ـ العقد ـ ديوان الشيخ ابراهيم اليازجي ـ ص ٥٦ـ٥٩ طبع البرازيل .

١٢ـ الكلم المنظوم ـ ص ١ المطبعة الاهلية ـ بيروت ١٣٢٧ هـ .

ومثله الشيخ محمد جواد الشبيبي في قولـه :

هـذى حميـاك أم هـذا محياكا   وذا الحبـاب طفـا أم ذي ثناياكا
ياغازي القلـب في خطـار معطفه   عطفا علّي فبي قد جار عطفاكا (١٣)

غير ان التماسك اللفظي عند الشبيبي أقوى منه عند الزهاوي .

صـور ومـوازنـات :

١ ـ الاناشـيد الوطنيـة :

ان ما اسلفناه في موضوع القديم والجـديد لا يكفي في توضيح الجانب الذي نريد دراسته من مكانة الشعر العراقي بين مسارب الشعر في مصر والشام فلابد من استعراض بعض الصور من الفريقين والموازنة بين هذه الصور لا من حيث القـدم والجدة حسب بل من حيث المعاني والاخيلة والاساليب والالفاظ ايضا سواء أكان الموضوع تقليديا موروثا أم كان ذا طرافة وجـدة ، ولمـا كان الشعراء الذين تتكون منهـم مادة البحث قد نظموا في مختلف الاغراض والموضوعات فأن استقصاء ما لديهم من شعر عمل غير سهل لذلك سأكتفي ببعض الصور التي تصلح للكشف عن ناحية تحتاجها الدراسات الحديثة في ادبنا العربي وان استعراض هذه الصور لا يعني انها تتشابه في كل شيء مما تطلبه الموازنات ، ففي الشعر السوري والمصري صور لـم يستطع الشاعر العـراقي ان يرسم مثلهـا لا لنقص في الاداء والتعبـير ولكـن لنقص في الاطـلاع والحـرية في التعبير . ومن ذلك موضوع الاناشيد الوطنية فأن هذا اللون من الشعر لم يكن معروفا في الشعر العـربي اذا استثنينا الاراجـيز الحماسية التي كانت تنشد في الحروب لأن الجيوش العربية لم تكن بها حاجة الى وضع نشيد يرتل ويردد ويحث ويشجع ولأن المدارس القديمـة لم تكن ذات ذات صفوف وفرق منظمة يراد لطلابها ان يكونوا مدربين على العمـل الحربي حتى جاء العصر الحديث وطور الجندية في أنظمتها والمدرسة في اهدافهـا واحتاج ـ فيما احتاج اليه ـ ان تربى النفوس وتغذى وكان

١٣ـ العراقيات ـ ١ : ١٣٢ صيدا ـ لبنان ـ ١٣٣١ هـ .

من وسائل هذه التربية وضع اناشيد تهـدف الى تقوية الروح القـومي والوطني وقد ظهر هذا الاثر فى المدارس المصرية ولمـا كان الشيخ رفاعة الطهطاوي من السابقـين الى الاحتكاك العقلـي بالغـرب فأنه كان من السابقين ايضا الى وضع الاناشيد القومية والوطنية فى مصر ومن اناشيده التي يشيد فيها بمصر وجيشها قـوله :

يا أيهـا الجنـود والقـادة الاسـود
إن أمـكم حسـود يعـودهـا مى الادمـع

• • • • • •

فـكم لـكم حـروب بنصـركـم تـؤوب
لـم تثنكـم خطـوب ولا اقتحام معمـع (١٤)

ان مثل هذا النشيد ــ على ضعف نسجه ــ من الموضوعات الحديثة التي لم يتح لشعراء العراق ان يمارسوها لأن عواملها لم تكن مهيأة لهم •

٢ ــ **الموضوعـات السياسـية :**

ومن هذه الصور ما حدث من التجديد فى موضوع الشعر السياسي المناوىء للدولة العثمانية نتيجة لنمو الوعي القـومي ، وقد كان الشيخ ابراهيم اليازجي من اسبق الشعراء فى الشام الى تناوله بفكر واع وادراك ومن ذلك قصيدته التي يقول فى اولها :

تنبهوا واستفيقوا ايهـا العـرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

ومنهـــا :

خلوا التعصب عنكم واستووا عصبا على الوئام ودفع الظلـم تعتصب

١٤ــ فى الادب الحديث ــ للاستاذ عمـر الدسوقي ــ ١ : ٢٩ ط ٢ مطبعة لجنة البيان العربي القاهـرة ١٩٥١ م •

وفيهـا يقـول :

باتت سـمان نعـاج بين اذرعكم   وبات غـيركـم للـدر يحتلب
فصاحب الارض منكم ضمن ضيعته   مستخدم وربيب الـدار مغتـرب

• • • • • •

أقداركم فى عيـون التـرك نازلة   وحقكم بين ايدي التـرك مغتصب
فليس يدرى لكم شأن ولا شـرف   ولا وجود ولا اسم ولا لقب [١٥]

لا شك ان اليازجي يستثير العـرب وينبههم الى اخطـار الحكم العثماني ويصور الاوضـاع تصويرا ينم عن ادراك للامـور وان كانت الاساليب القديمة مثله الذي يجتذيه ، ويشبهه فى سعة الافق والتأمل الواعي الياس صالح الشاعر اللبناني المتوفى عام ١٨٩٥ م فأن هذا الشاعر قد ادرك معنى الحرية وتغنى بها وحث عليها وان لم يكن طلب الحـرية من المعاني الجديدة فى الشعر العربي الا ان العرض الذي تناوله الشاعر يتسم بطابع الثقافة الحديثة والاتصال بالفكر الغربي فهو يقول فى قصيدة القاها فى الكلية الامريكية فى بيروت امام الوالي التركي :

وخبطنا العشـواء لو كنت تدري   فى ليالي تلك الشـعور الدجيـة
واتخـذنا سلاسل الشعر قيـدا   فنسينا المسـكينة الحـرية

انت حـر فأعلـم بهـذا وعلـّم   انـت حـر وهـذه اوليـه

• • • • • •

يتمنى الانسـان لو كان عبـدا   ويقيـم الادلـة العلميـه
ولـكم قـد رأيت من حيـوان   يقضم الحبـل بغية الحـريه [١٦]

١٥ـ انظر القصيدة فى (العقد) ـ ص ٥٦ ـ ٥٩ طبع البرازيل .

١٦ـ تراجم مشاهير الشرق فى القـرن التاسع عشر ـ جرجي زيـدان ـ ٢ : ٢٨٧ ط ٢ . ورواد النهضة الحديثة ـ مارون عبود ـ ص١٠٦ دار العـلم للمـلايين بـيروت ١٩٥٢ م .

لقد كان الشاعر موفقا فى استدلاله المنطقي حين لمح الى من يوجبون طاعـة السلطان والخضوع له وان كان ظالمـا فى حـين تأبى الحيوانات ان تقيـدها الحبـال •

وللبارودي فى مصر قصائد سياسية كثيرة فيهـا اساليب الشـعر القديم وملامح العصر الحديث وفيها التسلسل المنطقي لتصوير الموضوع ورسم التجربة ومن ذلك ما جاء له فى تصوير الحالة العـامة فى مصر :

تنكرت مصر بعد العرف واضطربت   قواعـد الملك حتى ريـع طـائره
فأهمل الارض جرا" الظلـم حارثها   واسترجع المال خوف العدم تاجره
واستحكم الهول حتى ما يبيت فتى   فى جوشن الليـل الا وهو ساهره
ويلمه سـكنا لـولا الدفـين به   مـن المـآثر ما كنـا نجـاوره

وبمثل هذا الانسجام العذب والترابط الوثيق بين الفكرة والتصوير يمضي الشاعر فى التعبير عن استيائه ثم يهـدد بحمـل السـلاح ان لم تصلـح الامـور :

اني ارى انفسا ضاقت بمـا حملت   وسوف يشهر حـد السيف شاهره
شهران او بعض شهر إن هي احتدمت   وفى الجديدين ماتغنى فواقره [17]

وقوله فى الدفـاع عن وطنـه ودينـه :

ومن عجائب ما لاقيت من زمنى   انـي منيت بخطب امـره عجب
لم اقترف زله تقضي علّي بمـا   اصبحت فيه فماذا الويل والحرب؟
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني   ذنب أد ان به ظلمـا واغترب [18]

١٧ــ فى الادب الحـديث ــ ١ : ١٨٠ ط ٢ .
١٨ــ ديوان البارودي ــ ١ : ٥٠ المطبعة الاميرية ــ القاهـرة ١٩٥٣ م .

ويرسم اديب اسحق الشاعر السوري اساليب الاستعمار ببراعة فيقول :

قتل امرىء فى غابة جريمة لا تغتفر
وقتل شعب آمن مسألة فيها نظر
والحق للقوة لا يعطاه الا من ظفر [١٩]

ان هذه فكرة جديدة من شاعر عربي ولد فى المشرق عام ١٨٥٦ م ومات قبل انتهاء العقد الثالث من عمره ولو لم يكن هذا الشاعر قد ادرك هذه المعاني عن طريق الثقافة الحديثة واستوعب الكثير من مفاهيم السياسة وشؤونها لما استطاع ان يرسم هذه الصورة الجديدة .

أما فى العراق فأن للشعر السياسي صورا غير قليلة فيها تذمر من الحكم العثماني ومن الولاة المستبدين ولكن هذه الصور ليس فيها ذلك الادراك الذي لمسناه فى شعر اليازجي والبارودي ما عدا القليل من الابيات والمقاطع ، فالحرية التي تناولها الياس صالح بشعره تناولها شعراء العراق ايضا ولكنهم لم يعبروا عنها بأسلوب حديث ولم يتناولو معانيها الجديدة فقد قال فيها الشيخ صالح الكواز المتوفى عام ١٢٩٠ هـ .

وما لبني الاحرار الا ابن حرة يغار عليهم ان يضاموا ويأنف [٢٠]

وقال فيها الشيخ حسن قفطان المتوفى عام ١٢٧٩ هـ وهو يصور ظلم العثمانيين :

اعزاء فينا نرتضيهم واننا اذلاء فيهم تلك قسمة اجبار
دعوا حرنا رقا لهم فمتى نرى عليهم سمات الذل رقا لاحرار [٢١]

١٩ـ فى الادب الحديث ـ ١ : ٨٢ .

٢٠ـ الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر ـ لكاتب البحث ـ ص ١٨٧ .

٢١ـ المصدر نفسه ـ ص ١٩٠ .

وقال فيها عبدالغني الجميل المتوفى عام ١٢٧٩ هـ ١٨٦٣ م :

وكيف ارى بغداد للحر منزلا　اذ كان مفرى الاديم نزيلها
ويسطو على آسادها ابن عرسها　ويرقى على هام السماك ضئيلها
فما منزل فيه الهوان بمنزل　وفى الارض للحر الكريم بديلها [٢٢]

إن اسلوب هؤلاء فى التعبير عن الحرية والاحرار يذكرنا بأساليب الشعراء العباسيين مع الفارق بين قوة اولئك وضعف هؤلاء فى اختيار الكلمات المناسبة بينما عبر عنها الياس صالح بأسلوب خطابي مؤثر فيه هبة من هبات الريح الجديدة التي عبرت امواج البحر من الغرب لتهز جبال لبنان وتمسح عنها بقايا الثلوج المتراكمة • حقا ان شعراء العراق قد اسهموا اسهاما غير قليل فى تصوير السياسة العثمانية وقارعوا الحكم العثماني كعبدالغني الجميل والسيد حيدر الحلي وامثالهما ، غير ان هؤلاء الشعراء لم يكونوا قد ادركوا ما ادركه البارودي واليازجي واديب اسحق من تفهم حديث للاستعمار والتسلط والاستئثار بالحكم اذا استثنينا بعض الخطرات المتأخرة كقول احمد الشاوي المتوفى عام ١٣١٩ هـ ١٩٠٢ م •

الا ليت شعري والاماني ضلة
وعمر الفتى ــ ان عاش ما عاش ــ للهلك

أمخترمي ريب المنون ولم اكن
لأدرك للاسلام ثأرا من الشرك ؟

وابرد من صهب العثانين غلتي
واشفي واستشفي بسيفي من الترك [٢٣]

٢٢ــ مجموعة عبدالغفار الاخرس ــ ص ٤،٥ ــ ٥٥ شركة التجارة والطباعة ــ بغداد .

٢٣ــ الشعر السياسي العراقي ــ ص ١٧٨ .

وقول جميل صدقي الزهاوي فى قصيدة نظمها عام ١٨٩٨ م عن الدولة العثمانية :

وكم وعدوا ان يصلحوا قبل هذه فما بالهم زادوا فسادا واوغلوا ؟
لهم اثر للجور فى كل بلدة يمثل من افعالهم ما يمثل
اذا نزلوا ارضا تفاقم خطبها كأنهم فيها البلاء الموكل
فمدت الى سورية يد عسفهم تحملها من ظلمهم ما تحمل
وبغداد دار العلم قد اصبحت بهم يهددها داء من الجهل معضل
وسل عنهم القطر اليماني انه يبث بما يجري عليه وينزل (٢٤)

لا شك ان احمد الشاوي يستطيع ان يحلق مع البارودي فى هذه الابيات الثلاثة من حيث الاداء وجرأة الفكرة ، وان الزهاوي ايضا يستطيع ان يجاري المفكرين من شعراء السياسة المعاصرين له فقد دلت قصيدته هذه على وعي وادراك •

٣ ـ وصف المخترعات :

تطور العلم فى اوربا وظهرت معجزاته فى المخترعات الحديثة فشوهدت الباخرة تجري فى اليم من غير شراع وامتدت اسلاك البرق بين الاقطار والمدن وسار (الترامواي) ومثله القطار على قضبان الحديد وعرفت آلة التصوير واستخدمت الكهرباء • وقد ظهر اثر هذه المخترعات فى الشعر العربي الحديث ولكن الصور التي سجلها الشعراء لا تتناسب فى قلتها واداثها مع هذه الاعمال المدهشة ومن تلك الصور قول الياس صالح اللبناني يصف الباخرة :

تلك السفينة باسم الله مجراها على دموعي مسراها ومرساها
تجري وفى قلبها النيران موقدة مثلي كأن هوى الاوطان اشجاها
سكرى تميد بمن فيها فتسكرهم وهما فكيف اذا ذاقوا حمياها
وليس بدع اذا سارت بنا مرحا فتلك جارية يهتز عطفاها

٢٤ـ الكلم المنظوم ـ ص ٦ ـ ٩ •

هيفـــاء لكنها بالقـــار قد خضبت كالخـــود يخضب بالحناء كفّاها
سلطانة البحـــر اذ ترسو يحيط بها من القـــوارب جنـــد من رعاياها
وان سرت نشرت اعلامهـــا وشدا صوت البخار لهـــا والمـــوج غناها
طـــورا ترى فى قـــرار اليم غائصة وتارة فـــوق هام السحب تلقـــاها
لم انس ليلـــة بتنـــا والرفاق بهـــا نرى النجـــوم ولو شئنا مسسناها
وحولنا المـــاء من كل الجهات ولا شيء سوى الماء يغشاناويغشاها [٢٥]

٢٥ــ الاداب العربيـــة ــ للاب لويس شـــيخو ــ ٢ : ١٢٠ مطبعـــة الابـــاء اليســـوعيين ــ بـــيروت ١٩١٠ م .

وقول الشيخ علي الليثي المصري المتـــوفى عام ١٣١٣ هـ ١٨٩٦ م وكان عائـــدا من برلـــين :

اصبح الوقت باسما بالســـرور كابتسام الربيع وقت الزهـــور
اين القى ظـــريف طبـــع لطيفـــا كي ندير الحـــديث مثل الخمور
فوق ظهـــر السفين نحسن وصفا حيث يجـــري على صفاء البحور
وتراه يختـــال وهـــو معنّـــى ويحـــه كم يجـــر ذيـــل الفخور
ذيلـــه يرســـم المجـــرة عجبـــا بين موج يضيء مثل البدور [٢٦]

أما فى العـــراق فقد قال فيها الاخرس البغـــدادي :

قد ركبنـــا بمـــركب الدخـــان فبلغنـــا بـــه اقاصي الامـــاني
حـــين دارت افلاكه واستدارت فهي مثـــل الافلاك فى الدوران
ثم سرنا والطـــير يحسدنا بالامس لا ســـرا عنا على الطـــيران (كـــذا)
يخفق البحـــر رهبة حين يجري والذي فيـــه كائـــن فى امـــان
كلمـــا ابعـــد البخـــار بمسرى قـــرب السير بعـــد كل مـــكان
اتقنـــت صنعـــه فطـــانة قـــوم وصفـــوهم بـــدقـــة الاذهـــان

٢٦ــ المنتخب ــ طـــه حســـين ورفاقـــه ــ ٢ : ٤٩٤ ــ ٤٩٥ مطبعـــة دار الـــكتب ــ القاهـــرة ١٩٣١ م .

ما اراهـا بالفكر الا اناسا بقيت من بقية اليونان
ابرزوا بالعقول كل عجيب ما وجدناه فى قديم الزمان
وبنوا للعلى مباني علاء عاجز عنه صاحب الايوان
فلهم فى الزمان علم وفخر ومقام يعلو على كيوان (٢٧)

وحين نقف عند هذه الصور الثلاث نجد الياس صالح اقرب من صاحبيه الى وصف السفينة فى حركتها وسيرها ولونها وما فيها من قوارب تحتاجها عندما تلقى مراسيها أو عندما تضطر الى استعمالها . وكانت عاطفة الشاعر وهو يفارق وطنه عاطفة رقيقة وموسيقاه عذبة الايقاع وان لم تخل من اثر الصنعة . وقد كان موقفه فى تلك اللحظة موقف الباكي الحزين فالدموع والنيران وهوى الوطن كل اولئك قد امتزج بالصورة ولونها تلوينا مؤثرا . أما الشيخ علي الليثي فمن حقه ان يفرح ويبتسم مع الوقت لأنه عائد الى وطنه ولكنه لم يأت بجديد فى وصف الباخرة ولم يقف عندها موقف المتعجب المتأمل سوى الخيال الذي استعان به فى تشبيه الخطوط البيضاء التي تتركها السفينة وراءها بخطوط المجرة فى الافق البعيد . غير ان الاخرس البغدادي يستطيع ان يواكب الياس صالح أو ان يقرب منه فى تناول بعض الاجزاء بالرسم لو لا الدهش والاستغراب ممن صنعوا السفينة فقد كان اعجابه بالصانع من أهم الاجزاء التي ظهرت فى الصورة حتى ليكاد ينسى الباخرة التي كانت تحمله من البصرة الى بغداد .

وقال الشاعر اللبناني نجيب الحداد المتوفى عام ١٨٩٩ م فى وصف القطار :

تخل عن التشبيب بالبيض والسمر ودع عنك تشبيه المحاسن بالبدر
وعج بي الى طرق الحديد ووصفها الـ جديد ودع مامر من قدم الدهر
ففيها يروق الوصف وهو حقائق وفيها يحق النعت لا مذهب الشعر

٢٧ــ الاداب العربية ــ ٢ : ٩ والطراز الانفس ــ ص ٤٢٧ وبين المصدرين بعض الاختلاف .

وعنها يصح القول ان قيل بارق ... يشق الفلا لا عن جواد ولا مهر
فطير بلا جنح وطود بلا بقا ... وبرق بلا جو وهاد بلا فكر
بلى هي طير والبخار جناحه ... وطود اذا شبهت بالطود ما يسرى
وبرق ولكن الدخان سحابه ... وهاد له لب توقد عن جمر
يسير فما يدرى لسرعة سيره ... اتجري لديه الارض أم فوقها يجري
وللريح حوليه حفيف كأنه ... حفيف جناح الصقر حن الى الوكر
اذا سار ثارت فوقه راية من الـ ... ـدخان لتنبي انه ملك القفر
تمزقها الارياح حنقا كأنها ... تحاول فى تمزيقها الاخذ بالثأر (٢٨)

وقال فيه السيد عبدالله نديم من مصر :

نظر الحكيم صفاته فتحيرا ... شكلا كطود بالبخار مسيرا
دوما يحن الى ديار اصوله ... بحديد قلب باللهيب تسعرا
ويظل يبكي والدموع تزيده ... وجدا فيجري فى الفضاء تسترا
تلقاه حال السير افعى تلتوي ... أو فارس الهيجا اثار العثيرا
أو سبع غاب قد احس بصائد ... فى غابه فعدا عليه وزمجرا
او انها شهب هوت من افقها ... او قبة المنطاد تنبذ بالعرا (٢٩)

ومن العراق قال الشيخ جعفر الشرقي يصف (الترامواي) الذي انشأه الوالي مدحت باشا بين الكرخ والكاظمية عندما كان فى بغداد (١٨٦٩ ــ ١٨٧٢ م) :

وسارية تحن بغير قلب ... وتعلن بالعويل بلا لسان
تحن لمعهد منها قريب ... ويسكت واجد نائي المكان
ترانا قبض كف الجو فيها ... وقد ولت بها فرسا رهان (٣٠)

٢٨ــ الاداب العربية ــ ٢ : ١٤٣ .

٢٩ــ المصدر نفسه ــ ٢ : ٩٠ .

٣٠ــ نهضة العراق الادبية فى القرن التاسع عشر ــ الدكتور محمد مهدي البصير ــ ص ٢٨٢ .

ولئن كان في هذه الصورة الثلاث ما يدني احداها من الاخرى في الموضوع فأنها تشترك ايضا في الاعتماد على الصنعة والبديع الموروث غير ان الصورة الاولى تفـوق اختيها بسعة الافق واستيعاب الكثير من مقومات الوصف • وقد تحس بشيء من الخيال عند النديم وبالتأمل وعدم السطحية ولا سيما في التشبيهات التي استخدمها في وصف القطار الا ان موسيقاه والفاظه ليست من تلك التي اعتمد عليها صاحباه ، أما الشرقي فله العذر في ان يكون ضعيف الخيال محدود الفكرة ففي القطار مما يثير الخيال ويدفع الشعور الى العمل الفني اكثر مما في (الترامواي) على ان صياغة الشرقي وخياله في البيت الثالث ليس مما يستهان به وان كان في البيت الثاني قد استعان بقـول ابي فراس الحمداني :

ايضحك مأسـور وتبكي طليقـة   ويسكت محزون ويندب سالي [٣١]

ولعل الحنين عنده هنا قريب من الحنين عند النديم في البيت الثاني فكلا الموصوفين عند الشاعرين يحن الى اهله ودياره •

وفي القرن التاسع عشر شهد العـراق مد اسلاك البرق بين بغـداد والاستانة فكان لهذا الحدث الجديد اثر في شعر عبدالباقي العمري وكان هذا الاثر يبدو في ارجوزة ليس فيها اهتزاز يتناسب مع هـذا المخترع سوى الصناعة اللفظية والاستعانة بارجوزة ابن مالك في النحو ــ ومنها :

للتلغـراف لمـع بـرق خـاطف   في لمحـة يفعـل فعـل آصف
ذو احـرف مـن ابجـد وهـوز   (تقـرب الاقصى بلفظ موجـز)
انمـل مـن يغـدو لهـن راقمـا   (ثلاثهـن تقض حكمـا لازمـا)
فنصبه علـى عمـود قـد ظهـر   (ورفعـه ينوى كذا ايضا يجـر)
وكـم وكـم بسرعة قـد اخبـرا   (عن الذي خبره قد اضمرا) [٣٢]

٣١ــ ديـوان ابي فراس الحمـداني ــ ص ٤٥ ط ٣ ــ بيروت ــ المطبعـة الادبيـة ١٩١٠ م •

٣٢ــ الترياق الفـاروقي ــ ص ٣٥٣ ــ ٣٥٦ •

ومهما يكن من نقص فى الصورة من حيث الفن والاداء فأنهـا من حسنات الشاعر ازاء هذا المخترع الذي لم يكد يستوقف غيره من شعراء العراق • وفى مصر كان للمخترعات الحديثة شأن يفوق ظهورها فى بقية البلدان العربيـة وكنا ننتظر من البارودي ــ مثلا ــ وهو اشهر شعراء مصر آنذاك ان يخلد هـذه المخترعات فى شعره ولكنه اكتفى منهـا بأن استخدمها فى التشبيه [٣٣] والتمثيل فى لحظـات خاطفـة ولم ينظم فيها لذاتها ومن ذلك قوله مستخدما الكهرباء :

طبعتـه فى لـوح الفـؤاد مخيلتي   بزجاجـة العينـين فهـو مصـور
وسـرت بجسمي كهرباءة حسـنه   فمـن العروق به سلوك تخبر [٣٤]

وقوله يشبه القصائد السائرة :

تجري مع الشمس فى تيـار كهربهً   على اطار من الاضواء مسعور [٣٥]

وقوله مستخدما آلـة التصوير :

شفت زجاجة فكري فارتسمت بها   علياك من منطقي فى لوح تصوير [٣٦]

وقـوله كـذلك :

تعـرض لي يوما فصورت حسـنه   ببلورتي عيني فى صفحة القلب [٣٧]

وقـوله مستخدما المنظـار :

فالعقـل كالمنظـار يبصر ما نـأى   عنه بعيـدا دون لمس باليـد [٣٨]

٣٣ــ فى الادب الحـديث ــ ١ : ١٩٣ ط ٢ .
٣٤ــ ديوان البارودي ــ ١ : ١٤٧ مطبعـة الجـريدة .
٣٥ــ المصـدر نفسه ــ ٢ : ١٣٥ ــ ١٣٦ مطبعـة دار الـكتب ١٩٤٢ م و ١ : ١٧٧ مطبعـة الجـريدة .
٣٦ــ المصدر السابق ــ ٢ : ٤٠ المطبعـة الاميرية .
٣٧ــ المصـدر نفسه ــ ١ : ٣٨ مطبعـة الجـريدة .
٣٨ــ المصـدر نفسه ــ ١ : ٣٨ مطبعة الجـريدة .

٤ ـ مظاهر الحياة الجديدة :

وشاع في القرن التاسع عشر استعمال التبغ للتسلية وكانت (النار جيلة) من افضل الوسائل عند الموسرين • وفي وصفها يقول الشاعر اللبناني عمر الانسي متحدثاً على لسانها :

قالوا تحملت نيرانا فقلت لهم ... النار في حب من اهوى ولا العار
شهرت حتى غدت تعشو السراة الى ... ناري ولي بمزيد الفضل آثار
فها انا مثل (صخر) حين قيل به ... (كأنه علم في رأسه نار) [٣٩]

وفيها يقول السيد محمد سعيد الحبوبي من العراق :

و (نار جيلة) [٤٠] تهدى بكف رشا ... حلو الدلال رشيق القد مياس
ظلت تعربد في كفيه شاربة ... من ريقه العذب لا من نهلة الكاس
حتى اذا جاد لي فيها بثثت بها ... وجدى عيانا تراه اعين الناس
حيث الدخان اذا ما جاس في كبدي ... موهت في نفخه تصعيد انفاسي
جاءت تزر فويق الماء مئزرها ... وفوق مفرقها لألاء مقباس
اعديتها داء برحائي معاكسة ... فالدمع في قلبها والنار في الراس [٤١]

ان كلا الشاعرين يغترف من الماضي في الاخيلة والمعاني والتشبيهات في وصف هذه الظاهرة الجديدة ولكن الحبوبي ادق من صاحبه في الوصف وابعد خيالا واسمى عاطفة وان اتخذ من النار جيلة مادة للتعبير عن شعوره الذاتي في الغزل والحب وتصعيد الانفاس الحارة !!

٥ ـ الشكوى من الحياة :

الشعر في هذه الفترة غزير المادة في موضوع الشكوى من الحياة ومن حق الشعراء ان يتألموا ويصوروا الحياة في كثير من الاحيان تصويرا

٣٩ـ رواد النهضة الحديثة ـ ص ٨٠ .

٤٠ـ هكذا وردت الكلمة وبها يختل الوزن ويحتمل ان تكون الكلمة هكذا : (ورب نرجيلة) ...

قاتما ولا سيما فى عصر الفقـر والظلم • وحسبنا من هـذا كله ان نلم بشاعرين احدهما مصري والثاني عـراقي لنوازن بين صورتين من صور الشكوى ، أما الاول فهو البارودي ومما جاء له فى الشكوى قوله :

ابى الدهـر الا ان يسـود وضيعه ويملك اعنـاق المطـالب وغـده
تداعت لدرك الـثأر فيـه ثعالـة ونامت على طول الوتـيرة اسـده
فحتام نسـري فى دياجـير محنـة يضيق بها عن صحبة السيف غمده
ومن ذل خوف المـوت كانت حياته اضر عليـه من حمـام يـؤده [42]

وأما الثاني فهو الاخرس البغدادي وكان كثير التشكي من الحياة ومن ذلك قوله وهو يمـزج الشكوى بالفخـر :

وحسبك منـي صبر اروع ماجـد بمستوطن ضاقت بمثلي رحـابه
تـذاد عن المـاء النمـير اسـوده وقد تلـغ العـذب الفـرات كلابه
واعظـم بهـا دهياء وهـي عظيمة اذا اكتنف الضرغام بالـذل غـابه
متى ينجلي هذا الظـلام الذي ارى ويكشف عن وجه الصباح نقابه [43]

ان هاتين الصورتين من الاجنحة القـوية التي تحمل الشاعرين الى القمم فى القـرن التاسع عشر ويبدو من الاولى ان البارودي كان مفكرا شامل النظرة فى حين كان الاخرس ذاتي النظرة ولكن كلا الشاعرين يائس فى مطاوى الظلام المطبق ، وكلا الشاعرين استعار الاسود للكبار النائمين فى موطن الذل ، غير ان البارودي قابلهـم بالثعالب والاخـرس قابلهـم بالكلاب ، ولعـل الاخرس اشـد انفعالا واقـوى عرضا من البارودي وان كان يعبر عن نفسه وينظر الى الحيـاة نظرة ذاتيـة ليس فيها شمول كما فعـل البارودي •

٤١ـ العراقيات ـ ١ : ٣٠ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٣١ هـ •
٤٢ـ ديوان البارودي ـ ٢ : ١٣٩ المطبعة الاميرية •
٤٣ـ الطراز الانفس ـ ص ٥٢ ـ ٥٤ •

٦ ـ مقاييس الشعر :

فى الشعر العربي صور كثيرة فى وصف الشعر نفسه وما ينبغي ان يكون عليه فى اداء وظيفته فى الحياة الادبية ، وللشعراء اراء كثيرة فى معنى الشعر وادائه وفى لغته وموسيقاه ، وليس من السهل استقصاء هذه الصور التي لا يخلو منها ديوان شاعر ، ومن هذه الصور ما جاء فى القرن التاسع عشر من تعريف فى الشعر واهدافه ، وممن شاركوا فى هذا التعريف البارودي فى مصر والشيخ صالح التميمي المتوفى عام ١٨٤٥ م فى العراق وقد جاء للبارودي قوله :

للشعر فى الدهر حكم لا يغيره ... ما بالحوادث من نقص وتغيير
يسمو بقوم ويهوى اخرون به ... كالدهر يجري بميسور ومعسور
له اوابد لا تنفك سائرة ... فى الارض ما بين ادلاج وتهجير
من كل عابرة تستن فى طلق ... يغتال بالبهر أنفاس المحاضير
تجري مع الشمس فى تيار كهربة ... على اطار من الاضواء مسعور (٤٤)

وقوله :

الشعر زين المرء ما لم يكن ... وسيلة للمدح والذام
قد طالما عزبه معشر ... وربما ألوى بأقوام
فاجعله ما قد شئت من حكمة ... او عظة او حسب نامي (٤٥)

٤٤ـ ديوان البارودي ـ ٢ : ١٢٤ المطبعة الاميرية . و ٢ : ١٣٥ ـ ١٣٦ دار الكتب .

٤٥ـ فى الادب الحديث ـ ١ : ١٤٧ ط ٢ .

وجاء للتميمي قوله فى قصيدة يعتذر بها لداود باشا [٤٦] عن مجاراة القصيدة (الخاليــة) التي نظمها الشاعر اللبناني بطرس كرامة [٤٧] :

ولســت ارى المصنوع الا مؤمَّرا ولســت ارى المطبوع الا مؤمِّرا
وما الشــعر الا ما أبانت صدوره قوافيــه لا ما السمع فيــه تحــيرا
وغنى به الساقي على الكأس اخذا عليك وان لم تشرب الكأس اسكرا
وما يطرب الناقوس فى لحن ضربه كما يطرب الخلخال فى ســاق اعفرا
ورب فتى يروي بنجــد جــآذرا وما قدرأى نجداولا شام جؤذرا [٤٨]

لقد كان البارودي موفقا فى الصورة الاولى الى حد بعيد وقد لاءم بين الفكرة والاطار الفني وابدع فى وصف الشعر من حيث اثره العام فى تخليد الشعراء واندثارهم • وكان خياله فى البيت الأخير يواكب التطور العلمي اذ يشبه القصائد الخالدة وسرعة انتشارها بسرعة التيار الكهربائي وما فيه من اضواء شديدة الوهج واللمعان • أما الصورة الثانية فأنهــا دون الاولى بكثير فلا فى الخيال ولا المعاني ولا فى الاداء اللفظي ما يثير النفس ويهزها على ان هذه الابيات انما تعرض للشعر من حيث رسالته فى الحياة والمجتمع كما يراها البارودي وكما يراها الاخلاقيون ولم يشر فيها الى فنية الشعر وادائه والى تأثيره فى النفوس • وهــذا التحديد فى أهداف الشعر معناه تجريده من الموضوعات الاخرى التي مارس الشاعر

٤٦ــ هو آخــر ولاة المماليك فى العــراق وقد اخــرج من بغــداد عــام ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ م •

٤٧ــ نظم هذا الشاعر قصيدة تنتهي كل ابياتها بقافية (الخال) وارسلها الى داود باشا فى الاستانة وقــد جاراها بعض شعراء العــراق على الوزن والروى ومنهم عبدالباقي العمري وعبدالجليل البصري ينظر ديوان العمري (الترياق الفاروقي) ص ٢٤٢ ــ ٢٤٤ مطبعة محمــد مصطفى ــ القاهرة • و (روض الخل والخليل) لعبدالجليل البصري ص ١٦٧ ــ ١٧٢ طبــع القاهــرة •

٤٨ــ ديوان التميمي ــ ٣٨ ــ ٣٩ ــ من نسخه مخطوطة فى مكتبتي وقــد وردت هــذه الابيات فى ديوان السيد عبدالجليل البصري بغير هــذا الترتيب انظر روض (الخل والخليل) ص ١٦٧ ــ ١٧٢ القاهرة •

نفسه كثيرا منها حتى المدح والغزل • أما الشيخ صالح التميمي فقد نظر الى الشعر من حيث هو شعر ، نظر اليه من حيث تأثيره في النفوس واستجابته للعواطف ايا كان موضوعه وغرضه وميز بين الاصالة والتقليد وبين الطبع والتطبع ونقد الشعراء الذين يصفون ما لم يروا من صور الطبيعة والحياة واذا كان التميمي قد يقصر عن مستوى البارودي في الصورة الاولى فانه يفوقه في الصورة الثانية فكرة واداء •

٧ ـ الغزل بين القصيدة والموشح :

ليس من الضروري ان نقدم لموضوع الغزل وان نعرفه في تاريخه وتطوره وفي صدقه وكذبه ، فهو موضوع يكاد يكون الاول في الشعر العربي ولكن الذي يهمنا منه هو ان نستعرضه في شعر القرن التاسع عشر الى جانب تلك الصور التي قدمناها لنوازن بين حصيلة الشعر العراقي منه وبين ما نظمه شعراء البلدان الاخرى وحسبنا من صوره ما ننقله عن خمسة من الشعراء وهم : الشيخ حسن العطار المتوفى عام ١٨٣٥ م والشيخ حسن قويدر المتوفى عام ١٨٤٦ م والبارودي من مصر والسيد جعفر الحلي المتوفى عام ١٨٩٨ م والسيد محمد سعيد الحبوبي المتوفى عام ١٩١٥ م من العراق • فمن غزل الشيخ حسن العطار قوله :

وبليت منك بكل لاح لو تبد ... ى نحو طود اثقلته كروبه
افلا رثيت لعاشق لعبت به ... ايدي المنون ونازعته خطوبه
انت النعيم له ومن عجب تعذ ... به وتمرضه وانت طبيبه (٤٩)

ومن غزل البارودي قوله :

هنيئا لريا ما تظم الجوانح ... وان طوحت بي في هواها الطوائح
فتاة لها في منصب الحسن سورة ... تقصر عنها الغيد وهي رواجح
احاط على مثل الكثيب ازارها ... ودارت على مثل القناة الوشائح
ففي الغصن منها ان تثنت مشابه ... وفي البدر منها ان تجلت ملامح
محاسن ربات الجمال كثيرة ... ولكنها ان وازنتها مقابح (٥٠)

٤٩ـ في الادب الحديث ـ ١ : ٤٠ ط ٢ .
٥٠ـ ديوان البارودي ـ ١ : ٨٩ المطبعة الاميرية ١٩٥٣ م القاهرة .

ويقـول السيد جعفـر الحلـي :

خليون ما غصت ببـين لهـا تهـم ... ولا حجبت عنهم سعاد ولا جمـل

ولو عرفوا ما فى الثغور لأيقنـوا ... بأن ليس عل فى سواها ولا نهـل

ولو رفرفت تلك الجعـود عليهـم ... لهيَّمهم ذيالـك الشـعر الجثـل

فمـن منصفي من طفلة عامـرية ... تعلقت فى اشـراكهـا وانا طفـل

كـأن شـقيق الورد فى وجناتها ... فما خجلت الا ووشعه الطل (٥١)

واذا تأملنا هـذه الصور لا نرى حاجة للوقوف عند الشيخ حسن العطار بأكثر من قراءة الابيات قراءة سريعة لانها ليست من الشعر الجيد ولأنهـا لا تستطيع ان تضع صاحبها مع البارودي والحلي غير ان الذي نقوله عن هذين الاخرين انهما من سمت واحد فى غزلهما وان كان غزلا تقليديا موروثا ، وان الحلي يستطيع ان يفاخـر البارودي بلفتاته الفنية وبخياله وادائه السـمح الطيـع . أما الشيخ حسن قويدر فقـد قال متغـزلا فى موشـح له :

رأيت بـدرا فـوق غصن مائـس ... يخطـر فى خضـر من المـلابس

ويسـحر العقـل بطـرف ناعس ... وهو بشـوش الوجـه غير عابس

كأن ماء الحسن منه يجري (٥٢)

ويقـول السيد محمـد سعيد الحبوبي فى موشح له وهـو مكثر من الموشـحات :

همت فى حبـك والحـب هيـام ... فلـي اللـوم ولا لـوم عليـك

وتعاصيت علـى داعـي الغـرام ... فوقعـت الان طـوعا فى يديـك

كلمـا رمت اعاصيـك الـزمـام ... جـذبتني سـورة الحـب اليـك

. . . . . .

واذا جـال فـؤادي وقفـا ... حـول مغنـاك فلـم ينطلـق

وعلـى نـادي هـواك اعتكفـا ... فغـدا مأمنـه مـن فـرق (٥٣)

٥١- سحر بابـل ـ ص ٣٦٦ مطبعـة العـرفان ـ صيدا ١٣٣١ هـ .

٥٢- فى الادب الحـديث ـ ١ : ٤١ ط م .

٥٣- العراقيـات ـ ١ : ٤٤ ـ ٤٥ .

الفرق بعيد جدا بين الشاعرين وبين الموشحين فلا اداء ولا رصانة عند الاول بل ركة وضحالة واهتزاز فى البنـــاء ، فى حين قد استحكمت الصورة عند الثاني وتناسبت مقوماتها الفنية ايما تناسب •

خـــاتمــــــة البحـــث :

نكتفي بتلك الصور التي اسلفناها فى دراسة الشعر العـــراقي فى القـــرن التاسع عشـــر وتوضيح مكاتتـــه من الشـــعر فى مصر والشام آنذاك ، وقد دلت تلك الصور على شيء من التخلف الموضوعي عنـــد شعراء العراق وعلى ضعف فى الالمام بما جد من شؤون الحياة ومظاهرها وبما انتجه العقـــل والعلم من مخترعات وجاءت به النهضة الحديثة من افكار سياسية واجتماعية ، وقد اوضحنا اسباب هـــذا التخلف فى بداية البحث ، غير ان الذي نستشفه من الدراسة ان الشعراء العراقيـــين اذا كانوا قد تخلفوا عن مسايرة الركب فى التطـــور الفكري فأن فى ثنـــايا خطراتهم ما يدل على استعداد فى الذهن وعلى تطلع كان ينتظر انقشاع الغيوم والضباب ليستشف ما فى الآفاق من فجـــر جديد • وان الشعر العراقي فى القرن التاسع عشر كان فى مقدمة الركب من حيث قوة الاداء وسلامة التعبير فلا الشيخ رفاعة الطهطاوي ولا اليازجيان ولا الياس صالح وغيرهم ممن استعرضنا شعرهم يمكن ان يقفوا الى جانب المشاهير من شعراء العراق فى القرن التاسع عشر حين تكون الموازنة فى مجال الصياغة الفنية والاداء اللفظي بل فى الكثير من الموضوعات التي تناولها البحث اذا استثنينا البارودي فأن هذا الشاعر يكاد يحتل القمة بدون منافس •

مـــراجــــــع البحـــث :

١ ــ الآداب العربيـــة ــ لويس شيخو ــ مطبعة الأباء اليسوعيين ــ بـــيروت ١٩١٠ م •

٢ ــ تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر ــ جرجى زيدان ــ الطبعة الثانية دار الهـــلال ــ القاهـــرة •

٣ ــ الترياق الفـــاروقي ــ عبدالباقي العمـــري ــ مطبعـــة محمـــد مصطفى ــ القاهـــرة •

٤ ــ ثالث القمرين ــ الشيخ ناصيف اليازجي ــ بيروت ١٨٨٣ م •
٥ ــ ديـوان اسماعيـل صبري ــ القاهـرة •
٦ ــ ديـوان أبي فـراس الحمـداني ــ ط ٣ المطبعـة الأدبيـة ــ بـيروت ١٩١٠ م •
٧ ــ ديوان البارودي ــ مطبعة الجريدة ــ والأميرية ــ ودار الكتب •
٨ ــ ديوان الشيخ صالح التميمي ــ مخطوطة فى مكتبتي •
٩ ــ رواد النهضة الحديثـة ــ مارون عبود ــ دار العلم للملايين ــ بـيروت ١٩٥٢ م •
١٠ــ روض الخل والخليل ــ عبدالجليل البصري ــ القاهـرة •
١١ــ الزهاوي الشاعر ــ الدكتور اسماعيل أحمد أدهم ــ القاهرة •
١٢ــ سحر بابل ــ ديوان السيد جعفر الحلي ــ مطبعـة العـرفان ــ صيـدا ١٣٣١ هـ •
١٣ــ الشعر السياسي العراقي فى القرن التاسع عشر ــ لكاتب البحث ــ بغـداد مطبعة العـاني ١٩٦١ م •
١٤ــ الطراز الانفس ــ الأخرس البغدادي ــ استانبول ١٣٠٤ هـ •
١٥ــ العراقيات ــ صيدا ــ لبنان ــ مطبعة العرفان ١٣٣١ هـ •
١٦ــ العقـد ــ الشيخ ابراهيم اليازجي ــ طبع البرازيل •
١٧ــ فى الأدب الحديث ــ عمر الدسوقي ــ ط ٢ مطبعة لجنـة البيان العـربي ــ القاهـرة ١٩٥١ م •
١٨ــ الكلم المنظوم ــ جميـل صدقي الزهاوي ــ بيروت ــ المطبعـة الاهليـة ١٣٢٧ هـ •
١٩ــ مجموعة عبدالغفار الأخرس ــ شركة التجارة والطباعة ــ بغداد •
٢٠ــ المنتخب ــ الدكتور طه حسين ورفاقه ــ مطبعـة دار الكتب ــ القاهـرة ١٩٣١ م •
٢١ــ نشـوء الفـكرة القوميـة ــ سـاطع الحصـري ــ الطبعـة الثانيـة ــ القاهـرة •
٢٢ــ نهضة العـراق الأدبيـة فى القرن التاسع عشر ــ للدكتور محمد مهـدي البصير ــ مطبعة المعـارف ــ بغـداد •

الشيرازي ومشكلة النفس الانسانية

بقلم : الدكتور جعفر آل ياسين

مدرس في قسم الفلسفة

دراسة النفس الانسانية ومعرفتها موضوع اثاره الاغريق منذ عهد فيثاغورس وشذراته التي رواها لنا تاريخ الفكر الاغريقي [١] ، ثم ظهر بشكله المنهجي الكامل لدى افلاطون وارسطو ، وكان للاخير [٢] يد الفضل فى تقديمه بشكل موسع اعتبر فيه دراسة النفس حلقة ترتبط بالعلم الطبيعي Physica كل الارتباط ، فهي جزء العلم واصله جزء من الفلسفة ذاتها . وبقي التقليد القديم هذا يحتذى حتى عصور الفلسفة المتأخرةفى الاسلام التي مثّلها خير تمثيلالشيرازي صدر الدين [٣] . وقد

---

(١) يراجع :
G. Kirk, The Presocratic Philosophers, Cambridge, 1957, pp. 217—231.

(٢) تراجع ترجمة : D. Ross الى الانكليزية تحت عنوان "De Anima" من نشرة جامعة اكسفورد .

(٣) هو محمد بن ابراهيم الملقب بالمولى صدرا ، ولد فى مطلع الربع الاخير من القرن العاشر للهجرة من اب شيرازي كان يقطن فارس ومن اسرة عريقة تدعى (القوامي) تحدرت عن جدها الاعلى الذي كان يلقب « بالرئيس » .. اتجه صدر الدين نحو دراسة الفلسفة منذ الصبا الباكر واشتهر بها وعدّ من اقطابها المبرزين ، والف فيها كتباً كثيرة اهمها واشهرها (الاسفار الاربعة) طبع فى طهران . ويعنى الشيرازي بالاسفار معنى السفر ـ بفتح الفاء ـ حيث تصور الفلسفة على مراحل ومراتب يرتفع اليها عرفانياً وعقلياً حتى يصل الى الحق الاول ، وهي تنقلات ذهنية بحت لا تمت الى الحركة العضوية بصلة كما تصور ذلك المستشرق كوبنيو Gobineau حيث ظن انها = رحلات Voyages . وكذلك يخطأ من يظن انها « اسفار » بمعنى كتب ـ كما ذهب الى ذلك الدكتور جواد علي مثلاً ـ بل هي كما ذكر الشيرازي نفسه تتحدد بما يلي :
السَفر من الخلق الى الحق ، والسفَر بالحق فى الحق ، والسفر الثالث يقابل الاول لانه من الحق الى الخلق بالحق ، والرابع يقابل الثاني من وجه لانه السفر بالحق فى الخلق . راجع : كتاب صدر الدين الشيرازي ـ مجدد الفلسفة الاسلامية ـ لكاتب المقال ، بغداد سنة ١٩٥٦ .

عرض لها فى عدة مؤلفات له ، اخص بالـذكر منهـا مؤلفـه الجليل « الاسفار الاربعة » حيث يقسم المعرفة ــ بادىء ذى بدء ــ الى مواطن فسيولوجيه من الدماغ فيرجع لكل جزء منه نوعاً منها • وكأنه هنا يعيد لنا ذلك الفرض القـديم فى علـم النفس القائل بالملكات وانهـا حقائق ملازمـة للانســان •

فالادراكات لديه تتفرع الى اقسام ثلاثة :

مدرك ، وحافظ ، ومتصرف • والقسم الاول امّا مدرك للصورة واما مدرك للمعاني ، وكذلك الثاني اما حافظ لها او للمعاني •• فالذي يدرك الصورة يسمى بالحس المشترك Common sense او ما يعبر عنه (فنطاسيا) Fantasia [٤] وهو قوة مترتبة بمقدم التجويف الاول من الدماغ ولولاها لما تمكنا من الحكم على شيء بالمحسوسات المختلفة دفعة واحدة : كقولنا مثلاً هذا السكر ابيض لونه ، عذب طعمه ، ولما تمكنا ايضاً من رؤية النقطة المتحركة بسرعة مستديرة ، او قطـرة الماء النازلة كخـطٍ مستقيم لان المشاهـدة بالبصر ليست إلاّ للمقابل وما قابـل منهما • وحافظها قوة تسمى (بالخيال) [٥] • والمصورة تكون بآخـر التجويف المقدم ، تجتمع عندها (مثل) المحسوسات وتمكث فيها وان غابت موادها عن الحواس غيبة طويله فهي مخزونة هناك •• ولقد قيـل فى تغاير قوة (القبول) وقوة (الحفظ) انهما مختلفتان ، فرب قابل غير حافظ لان القبول انفعال والحفظ فعل وهما مقولتان متباينتان •

---

(٤) قارن ابن سـينا مبحث النفس De Anima من الشفاء ، نشـرة رحمان ، اكسفورد ١٩٥٩ ، ص ٤٤ .

(٥) قارن ارسطو : De Anima, 68.31 ff.

والذي يدرك المعاني والاحكام الجزئية هو (الوهم) [٦] ، واخص مواضعه آخر التجويف الاوسط من الدماغ ومنه تكون القوة الذاكرة والمسترجعة وهي قوى فى آخر تجاويف المخ تحفظ لنا ما يدركه الوهم ، نسبتها إليه نسبه (المصورة) الى الحسّ المشترك .. اما (المتصرف) فله وظيفة تركيب الصورة بعضها ببعض ، وتركيب المعاني ايضاً او تركيب الصورة والمعاني معاً . والادراك عند استعماله فى المعنى الحسي يسمى (متخيلة) Sensitive ، وعند استعماله فى المعنى العقلي يسمى (مفكرة) Rational imagination [٧] . يضاف الى هذا ان وحدة الذاكرة امر اعتباري لان العملية بحدّ ذاتها تتركب بفعل قوتين : ادراك لاحق ، وحفظ سابق . وكذلك الامر فى المسترجعة لتركب الارجاع من ادراك وحفظ .

ويؤيد الشيرازي فى هذه المرحلة رأى الشيخ الرئيس فى كتابه الشفاء حين يقول [٨] : « ان القوة الوهمية تشبه ان تكون هي بعينها المفكرة والمتخيلة والمتذكرة وهي بعينها الحاكمة ، فتكون على هذا الاعتبار : بذاتها حاكمة ، بحركاتها وافعالها متخيلة ومتذكرة ، فتصبح (مفكرة) بما تعمل فى الصور والمعاني . وتصبح (متخيلة) بما ينتهي اليه عملها » .



ثم يحاول صدر الدين ان يعرض لقوى النفس العاقلة عرضاً يحتذى به حذو القدماء . فاول مرتبة من هذه القوى هي « العقل النظري »

---

(٦) قارن ارسطو : De Anima, 428b 3 ، يستعمل الشيرازي ــ وابن سينا من قبل ــ لفظة الوهم Extimatio بما يساوق لفظة (الظن) . مع العلم ان الكلمة (وهم) لا مساوق لها فى الاغريقية ، وقد تعود اصلاً لمصطلح ارسطو (الفنطاسيا) الذي استعمل من قبل الرواقيين الاغريق . اما من الناحية اللغوية فلسان العرب مثلاً يعطي مرادفاً لها لفظة (التخيل) ، بينما تاج العروس يعطي لفظة (الظن) .

(٧) قارن ارسطو : De Anima, 433b 29

(٨) راجع مبحث النفس من كتاب الشفاء ــ نشرة فضل الرحمان . ط . اكسفورد سنة ١٩٥٩ .

وهو ما يكون بحسب استعداد الفطرة قابلاً Theoretical intellect لجميع المعقولات لخلوه عن كل صورة سابقة ، ولهـذا يقـال له ايضاً (العقل الهيولاني) اذ له فى هذه المرتبة وجود عقلي بالقوة • فان عسر عليه تقبل شيء من الاشياء فاما لانه فى نفسه ممتنع الوجود ، او ضعيف الكون شبيهاً بالعدم كالهيولى والحركة والزمان والعدد واللانهاية • واما لانه شديد الوجود فيغلب على المدرك ويفعل به ما يفعل الضوء الشديد بعين الاعشى!•• ومثال‌هذا الوجود هو (الله)••لان التعلق بالمادةيسبب للقـوى العقلية ضعفاً فى ادراكها النور القاهر • فاذا خرجت المعقولات من القوة الى الفعل بوساطة نور « الحق » فاول ما يحدث فيها من رسوم المحسوسات اوائل المعقولات التي يشترك فيها جميع الناس مثل الاوليات والبديهيات كمثال الكل اعظـم من الجـزء ، والمـادة ثقيلة ، والكذب قبيح •• فاذا حصلت هـذه الصور يحدث للانسان بالطبع تأمل وروية وميل الى الاستنباط وهو ما نسميه « العقـل بالملكة » لانه كمال اول للقـوى العاقلة من حيث هي بالقـوة ، فتتولد لديه الافعـال الارادية فيستعمل القياسات والتعاريف والبراهين والحدود ويكون فعله الارادي فيضاً من نور العقل الاعلى ويسمى عند ذلك « العقل بالفعل » فمراتب الانسـان ــ بحسب هـذا الاستكمال ــ منحصرة فى نفـس الكمال واسـتعداده فالاول عقـل بالفعـل ، والثـاني بالملكـة ، والثـالث الهيولاني •• ثم يأتي العقل المستفاد [٩] intellectus acquisitus وهو بعينه العقل بالفعل اذا اعتبرنا فيه مشاهدة تلك المعقولات عند الاتصال بالمبـدأ الفعال ، وسمى المستفاد لاستفادة النفس بوساطته مما فوقها ، فالانسان من هذه الجهة غايته ان يتصل عن سبيل هذا العقـل بالعقـل الفعال خالق العقـول ومدبرها !••

---

(٩) اول من استعمل هذا التركيب بمعنى المستفاد هو الفارابي فى رسالته عن العقل معتمداً بذلك على شرح الاسكندر على كتاب النفس لارسطو .
راجع : Alexander, De Anima, 82.1

يضاف الى ذلك انه كلما كانت القـوة العاقلة اشد فعـلاً كانت معقولاتها اشدّ تحصلاً واقوى وجـوداً ، وكلما كانت اضعف تجوهراً كانت اضعف فعلية ـ كما ان النفس ما دامت مرتبطـة بالحسّ تكون مدركاتها امـوراً محسوسة ، وما دامت متخيلـة او متوهمـة تكون مدركاتها متخيلات أو اوهام . وما دامت قوتهـا العاقلة متعلقة بالبدن منفعلة عن احواله كانت معقولاتها معقولات بالقوة كالصورة الخيالية المخزونة فى الانسان والحيوان والفلك مما لا تنفك فى وجودها الخارجي عن الاعراض المـادية فى آلة الخيال مع امكان تجـردها بأعتبار الذهن ومثلها فى ذلك مثل الصور الافلاطونية المفارقة .. وكذلك القوة العاقلة قبل تصيرها عقلاً بالفعـل تكون مختلطة بمادة البدن بل هي صورتها الحسية ومبـدأ قواها ، ولها استعداد عقلي بالاتصال بالعقـول الفعالة والانفصال عن القـوى المنفعلة ، فحال العاقل والمعقول فى جميع مراتبه واحد فالنفس الانسانية ما دامت عقلاً بالقـوة كانت معقولاً بالقـوة وكذلـك معقولاتهـا . واذا صارت بالفعـل صارت هـي بالفعـل ايضاً .. فمعرفة النفس وادراكها لذاتها فى بدء الفطرة يكون عن طريق القوة والاستعداد ثم عن طريق التخيل والتوهم . اما الانتهاء الى العقل الفعـال عن سبيل المعرفة فلا يقع إلاّ لزمرةٍ خلصوا من ادران المـادة فارتفعت بهم عقولهم الى مرتبة السعادة القصوى (١٠) . على ان طريق الاتصال هـذا ينحصر فى مراتب اولها تهذيب الظاهر باتبـاع الشرائع الالهيـة ، وثانيهما تهذيب الباطن وتطهير القلب ، وثالثهما تنوير النفس بالصور الطيبة ، ورابعهما فناؤها عن ذاتهـا والاكتفاء بملاحظة الرب ، وهي غاية الشوط فى الايمان الخالص السليم (١١) .

---

(١٠) قارن كتاب الشفاء طبعة طهران ـ جـ ١ ص ٣٥٦ .

(١١) يلاحـظ هنا ان الشيرازي فى بحثه هـذا يحذو حـذو علم النفس السينوي وان تبريره فكرة الاتصال بالعقل الفعال تستقى من اصول اغريقيـة واسـلامية .

فموقف الشيرازي هنا يقــرب ان يكون نظرية اشراقية خالص
تنحصر عندها السعادة الانسانية فى بلوغها العقــل الفعال ، وهي المه
الحقة ولا شيء سواها ، لانهــا الغاية من الحياة فى بدئها ومنتهاها .



ويميل الشيرازي الى اعتبار ان النفس « جوهر » قائم بذاته (١٢)
ولكنها ذات وجهين : فهي من جهة ذاتها جوهر عقلي ثابت بالقوة ، و
جهة تعلقهــا وقيامها وتدبيرها جوهر متجدد غير ثابت . والجهة الثان
تسقط عنها حين ترتفع الى العقــل الفعال . والمهم هنا ان نذكر الد
التي تشير على انها جوهر قائم بنفسه له وحدته (١٣) .

الواقع ان ادراك الشيء عبارة عن حصول صورته المدركة ، ف
من ادرك ذاته يجب ان يكون مفارقاً عن المحل اذ لو كان في محل لكا
صورة ذاته غير حاصلة لذاته بل لمحله وهذا خلف . فنحن ندرك ذ

---

(١٢) قارن ابن سينا De Anima ص ٢٩ . وقد سبق المتكلمين
الاسلام ولشيوخ المعتزلة ــ عدا النظــام ــ (ت ٢٢١ هـ) ان ق
بالجزء الذي لا يتجزأ او مذهب الذرة ، فخرجوا الى قاعدة الديناميـ
فى الخلق والتصيّر والبسوا الجواهر اعراضاً قائمــة بهــا لا ت
الواحدة عن الاخرى لانهم لا يرون فى الوجود غير الجوهر والاعراض
فالنفس على هذا الاعتبار عرض للجسم ليس غير كما يذهب الى
مثلاً ابو الهذيل العلاف (ت ٢٢٧ هـ) وتابعوه .. اما الشيرازي
عارض فكرة الجــزء الذي لا يتجزأ ــ كما عارضها اغلب الفلاسفة
الاسلام ــ ولكنه قال بالحركة الخالقــة المستمرة فى الجوهر د
تحوله الى عرض ، ومن هنا كانت العينية والحداثة فى مذهبه
هنــا ايضــاً كان قولــه بجوهرية النفس الآنف الذكر لا يتناق
ومنهجه ، وليس الامر كما يتبادر اول ظهوره للقارىء .
راجع ايضاً : مقالات الاسلاميين للاشعري ص ٣٠٩ ، وقارن
بين البعض والكل فى كتاب الانتصار للخياط المعتزلي ص ٧

(١٣) ان وحــدة جوهر النفس يعود فى اصوله الاولى الى موقف ا
المعارض لراي استاذه افلاطــون الذي كان يدعو بالتعدد
للنفس الانسانية .
وقد مال الفلاسفة فى الاســلام الى راي التلميذ فى الوحدة
راي الاســتاذ .
راجع : ارسطو De Anima, 411a 26 ff.

بذاتنا لاننا لا نغرب عنها . اما شعورنا بشعور ذاتنا فمفقود اذ ليس هو نفس وجــودنا ، بل هو كادراكنا سائر الاشياء من الخــارج .. ونحن لا نغيب عن ذواتنا في جميع الاوقات حتى في حالتى النــوم او الغيبوبة الشديدة ، ولكن قد نغيب احياناً عن اعضاء بدننا كلاً او بعضاً !.. فلابدّ من وجود شيء خلفها له وحــدته وجوهره .

ثم لو فرض ان هناك انساناً كامل العقل والبدن ترك في هواء طلق واخذ يهوى في الفضاء بحيث لا يحس بأي عضو من اعضائه لا باطناً ولا خارجاً ابداً ، ولكن ســنجده يحس احساســاً غريبــاً بذاته دون سائر الاعضاء .. بالاضافة الى هــذا ان البدن والاعضاء دائمة التصيرة (جــرياً على نظرية الشيرازي في الحــركة الجــوهرية) ، بينا الذات Entity ـ بحدها ـ باقية على ماهي عليه لا تزول (١٥) .

ويذهب الشيرازي مذهباً بدعاً في حدوث النفس الانسانية ، فهو يعتقد انها جسمانية الحدوث روحانية البقاء . والدليل على هذا ان كل مجرد عن المادة لا يلحقه عارض قريب لان جهة القوة والاستعداد راجعة الى امر هو بذاته قوة صرفة ويتحصل بالصور المقــومة له . فيلزم من تجــرد النفس عن المــادة اقترانهــا بها ، وهــذا خلف .. فاذن هي حادثة !.. وهــذا الدليل غير مبني على ان الانفس الانسانيــة متحدة « النوع » فيكون هو اولى (اي الدليل) مما لو قيل انها كانت موجودة قبــل الابدان ، لان الامتياز فيما له حدّ نوعي يكون إمّا بالمــواد او بعوارضها او بالفاعل او بالغاية .. والعلل منحصرة في النفوس فصورتها ذاتها وفاعلها امر واحد ، وغايتها الاتصال والتشبه به ، فيكون تكثرها اما بالمــادة او بما هو في حكمها كالابدان ، وقد فرضنا نحــن مفارقتها فهــذا خلف ايضاً ، لان قبول الكثرة بعد الوحــدة من خواص المقادير

---

(١٤) قارن هــذا الدليــل بما جاء في مبحث النفس من الشفاء ص ٢٨١ ط . طهران ، وبكتاب الفصل لابن حزم ص ٤٧-٤٨ ط . القاهرة .

(١٥) قارن هذا ايضاً براي ابن سينا في رسالة النفس الناطقة التي نشرها الدكتور محمد ثابت الفندي ط . القاهرة ، ص ٧ .. وكذلك بكتاب النجاة ، ط . الكردي + ص ١٨٩ ـ ١٩٠ . القاهرة .

وعوارضها والنفس ليست كذلك .. فالانسان صراط ممدود بين عالمين : عالم الروح وعالم الجسد ، فهو يعمل جاهداً على التخلص من عالمه الاسفل ليرتفع الى عالمه الاسنى ، والنفس تجهد صادقة لتربأ بنفسها عن المادة وتخلص الى العقل الفعال .

بهذا يظهر لنا ان الشيرازي اراد بتعبيره السالف الذكر (من ان النفس روحانية البقاء جسمانية الحدوث) معنى الاشراق عند المتصوفة : فالرياضيات الروحية ، الارهاصات البدنية تلطف النفس شيئاً فشيئاً حتى تخلو عما يمازجها فتنتهي الى حياتها الدائمة الخالدة .. وهو موقف تأثر به جلّ فلاسفة الاسلام منذ عصر الفارابي وابن سينا .

اما الكلام على خلود النفس بعد الموت فلا شك عنده بخلودها خاصة تلك الانفس التي استحالت عقولها الهيولانية الى عقل بالفعل بعد فقدانها البدن لان قوامها ليس به بل هو حجاب اعمالها بحسب الذات . يضاف الى هذا ان فساد كل فاسد يحدث بورود ضده عليه ولا ضد للجوهر العقلي ، او يحدث بزوال احد اسبابه (كالفاعل او الغاية او المادة او الصورة) وذلك ايضاً غير متصور في الجوهر العقلي اذ لا مادة له وصورته عين ذاته ، وفاعله وغايته هو الحق الاول ، فيمتنع الزوال عليه ببقاء فاعله (أي ببقاء الله) وهكذا استحال فناء النفس .. اما النفس التي لم تخرج بعد من حال القوة الى حال الفعل فقد تباين المفكرون فيها فذهب بعضهم كالاسكندر الافروديسي (شارح كتب ارسطو) الى انها تضمحل باضمحلال البدن لان دلائل تجرد النفس وخاصة التي تبتني على تصور المعقولات انما تنهض في المعقولات بالفعل والمجردات بالفعل لا التي من شأنها التجريد ، وليس لكل احد ان يدرك معقولاً من جهة عقلية من غير ان يشعر به بالخيال والحس !..

لذا فالشعور الادراكي منحصر في ثلاثة امور هي : الحس والتخيل والتعقل ولكلٍ منها مجاله الخاص .. وان الله خلق الوجود على مراتب ثلاث ايضاً (دنيا) و (برزخ) و (أُخرى) ، فالجسم وعوارضه من الدنيا وادراكه يكون بالحس الظاهر . والنفس وعوارضها من البرزخ

وادراكها يكون بالحسّ الباطن [١٦] . والعقل ومعقولاته من الاخرى ويكون ادراكه بوساطة العقل الفعال .

ولقد نقل عن الاسكندر انه قال [١٧] : إن النفس لا فعل لها دون مشاركة البدن ، واشار الى انه لا تبقى للنفس بعد مفارقتها البدن أية قوة اصلاً فنفى عنها حتى القوى العقلية ، وخالف بذلك استاذه المعلم الاول للانسانية ارسطو حيث ذهب الاخير الى ان ما يبقى من النفس هي القوة العقلية ولا قوة لها دون ذلك . والتوفيق بين الرأيين هو ان الاسكندر اراد بنفي القوة العاقلة عدمها عند عدم خروجها من القوة الى الفعل ، واراد ارسطو ببقائها بقاءها عند تصيّرها عقلاً بالفعل فلا تناقض بينهما .

فالنشأة المتوسطة بين عالم العقل وعالم الحسّ هي معاد النفوس ورجعتها حيث تبقى هناك لتثاب على الخير والاحسان ، ولتعاقب على الاثم والعدوان ولكي ترتبط بشكل من الاشكال بالعقل الفعال [١٨] الذي يحمل وجوداً في نفسه ووجوداً في انفسنا ، لذا فان كمال النفس الانسانية هي وجود هذا العقل واتحادها إياه . وحسب بعضهم ان شيئاً مفرداً لا يمكن ان يكون فاعلاً متقدماً وغاية متأخرة لشيء واحد

---

(١٦) مصطلح « الحواس الباطنة » في الواقع ليس من اعمال المعلم الاول ولا المشائيه القديمة . ويظهر لنا انه استعمل مضافاً الى مدلول « الحس المشترك » Sensus Communis على يد الرواقيين Stoics انفسهم ثم اشتق منه المعنى الاول .

(١٧) راجع : الشهرستاني ، الملل والنحل . ط . القاهرة سنة ١٩٤٨ ، ٢/٤٤٣ .

(١٨) لقد اعتبر بعض فلاسفة الاسلام العقل الفعال خارج نطاق النفس الانسانية متأثرين بموقف الاسكندر في شروحه على ارسطو . وخالف اولئك جميعاً فيلسوف الاندلس ابن رشد في ادعائه انه داخل النفس الانسانية ذاتها (راجع : تهافت التهافت ، ط . بيروت ص ٤٣٤–٥٦٧) ووقف الشيرازي موقفاً وسطاً اقرّ به الوجود الذاتي لهذا العقل والوجود اللاحق للنفس الانسانية حيث يتحد بها ، وهو امر جديد يضيفه الشيرازي الى مشكلة العقل الفعال .

لانهم لم يتصوروا من الواحد الا" الواحد بالعدد الذي تحصل بتكرره كثرة وهذا الواحد لا يكون إلا" جسماً • اما الشيرازي فلا ينظر للعقل الفعال هـذه النظرة العددية بل ينظر اليه من حيث كونه كمالاً للنفس وتماماً لها وسبباً لانفعالها نحوه • والدليل على وجوده ان نفس الانسان فى اول امرها بالقوة من جهة كما لها العقلي ــ وان كانت بالفعل فى كونها صورة كمالية للجسم الطبيعي [١٩] ــ ثم تصير أمراً عقلياً بالفعل بوساطة تصوير الحقائق وافادة العلوم وتدوين المسائل • فكلما خرجت النفس من حدّ القـوة الى حدّ الفعـل فبأمرٍ ما تخرج !•• فلو كانت النفس غير مفطورة على الكمال العقلي لاحتاجت الى أمر آخـر ولا يتسلسل بل ينتهي الى فيض النور فتتصل به ، وهو كامل بالفعل فعال فى النفوس بعيد عن النقص ، فيخرجها من حدّ القـوة الى حدّ الفعـل الى حيث « هو » • وبقـدر اتصالهـا به واتحـادها معـه تـدرك المعقـولات وتتفهمها • فالشيرازي هنـا اوغسطيني الاتجاه مع اشراقية واضحة فى مذهبه تشربت بصوفيةٍ كان لهـا الاثر البالغ لدى العارفين من اصحاب المواجيـد والخلسـات ! ••

ويحاول اخيراً الكلام على اتحاد العاقل والمعقول وهو من مباحثه القيمة حيث يقـرر فيـه ان كل صورة فى مادة محتفة بعوارضها ليست معقولة بل محسوسة للغـير • فالمحسوس ينقسم الى ماهـو محسوس بالقـوة ومحسوس بالفعـل ، والمحسوس بالفعـل هو متحد الوجود بالجوهر الحساس • والاحساس ليس كما يعتقد البعض من انه تجريد صورة المحسوس عن مادته لاننا نعلم استحالة انتقال المنطبعات بهوياتها المتشخصة من مادة الى غيرها • وليس معناه ايضاً حركة القوة الحسّية نحو صورة المحسوس الموجود فى مادته ، بل نعنى به ان تفيض عن الحق الاول صورة « نورانية » يحصل بها الادراك ، فهي الحاسة بالفعل واما قبل ذلك فلا حاس ولا محسوس إلا" بالقوة ! •• وكذلك الحال فى القوة العاقلة وتصيرها عقلاً بالفعـل ، فان التعقل ليس كما اشتهر عبارة عن

---

(١٩) قارن ارسطو : De Anima, 412a 22ff.

تجريد الصورة عن المـادة وعوارضها تجريداً تاماً من قبل النفس بحيث يصبح في امكان الجوهـر العقلي المنفعـل بذاته المعراة ادراك صوره العقلية ، ولكن الحـق اذا لم تكن في ذاته صورة المعقولات فبأي شيء ينالها ؟ أبذاته العارية الجاهلة ؟ فان لم يكن مدركاً بذاته ، فكيف يدرك اشياء آخرى ؟.. واذا جاز ذلك فاما ان تكون تلك الصورة عاقلة لذاتها ولغيرها ومعقولة لذاتها وهـذا خلف ــ او ان تكون معقولة لها وعاقلة لما وراءها والكلام في هذا الموضوع عائد جذعا ! ..

أما اذا اردنا بذلك ان العقل المنفعل اذا حصلت له الصورة المجردة لا يصح لاحدٍ ان يقول انه في ذاته معرى عنها كحصول صورةٍ لمـادة تتحد بها في العقل المنفعل فهو القـول الحق .. فكما ان المـادة ليست شيئا من الاشياء المعينة الا بالصورة وليس وجـود الصورة لهـا ، بل لحوق موجود بموجود بالانتقال من حال الى حال ، وبتحول المـادة نفسها من مرتبـة النقص الى مرتبـة الكمال . فكذلك حال النفس في تصيّرها عقلاً بالفعل ، ولو ان حصول الصورة العقلية للعقـل المنفعل حصول موجود مباين لموجود آخر . فان كان حصولها بمجرد الاضافة فهي ليست حصولاً حقيقياً لصورة الشيء ، وان كان بوساطة « الاتحاد » فهـو الغـاية من البحث ... فكل ادراك يكون باتحـادٍ بين المدرك والمدرك ، والعقـل الذي يدرك الاشياء جميعاً يصبح هو كل الاشياء ، وبهذا يقوم الدليل الواضح على اتحاد العاقل والمعقول ، وهو من حيث مقدمته وابراهينه الشيء الطريف في فلسفة الشيرازي ، يعيده من جديد وبحلةٍ عتيدة وبعرض منسق سليم .

ولابُدّ لنا قبل ان نختم الكلام على النفس الانسانية ان نتطرق الى رأي صدر الديـن عن المعـاد وعلى اية قاعـدة ينهض ، أهـو جسماني ؟.. أمْ روحاني ؟.. أمْ شيء لا هـذا ولا ذاك ؟.. لرأيه في مراتب الحشر طرافة وجدة تشبه بعض الشبه نظرية افلاطون في مدارج الرقي نحو مثله العليـا ... يعتقد الشيرازي ان المعـاد سيكون حشراً

للاجسام ذاتها (نفساً وبدناً) [٢٠] • ثم يستدرك ويضيف بان تبدل خواص البدن من المقدار والوضع وغيرهما لا يقدح اطلاقاً فى بقائه ، لان معنى البقاء هنا هو (النفس) مضافة الى مادةٍ ما (وان كانت متبدلة فى صفاتها) لاننا ـ فى كثير من الاحيان ـ قد نفارق انساناً لمدة طويلة ثم نجتمع به بعد زمن « طويل » من الفرقة فنلحظ عليه سمات جسمانية متبدلة بخاصياتها ولكن لا يمكننا ان نحكم انه ليس هو ذلك الانسان الذي سبق لنا معرفته • فلا عبرة اذن بتبدل المادة البدنية بعد حفظ الصورة النفسية • والحال لذلك فى كل عضو من اعضاء البدن ، فالاصبع مثلاً بالاضافة الى الانسان له اعتباران : اولهما كونه آلة خاصة لزيدٍ من الناس ، وثانيهما كونه فى ذاته جسماً متعيناً من الاجسام ، ونعته يقع عليه حسب ذلك الاعتبار ايضاً • فالبدن بالاعتبار الاول باقٍ ما دامت النفس تتصرف فيه وتستعمله كيف تشاء ومتى تشاء ، وتعينه بالاعتبار الثاني زائل لوجود الاستحالات الواقعة فيه !•• وعند حشر النفوس وتعلقها باجساد اخرى غير هذه الاجساد ليس لاحدٍ حينذاك ان يقول ان هذا البدن الجديد غير البدن القديم • وليس له ايضاً ان يقول ان هذا هو بعينه ذاك لاختلاف مدلولهما ، وله ان يقول هذا هو ذاك بحذف المدلول ••• فجوهر الانسان واحد فى الدنيا والآخرة ، وروحه باقٍ مع تبدل الصور عليه من غير تناسخ بل يلبس البدن قالباً يستمده من اعماله إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر ، فتتباين الصور الانسانية بحسب الاعمال والنيات •• ولكن ليس لجميع الناس ان يرتفعوا فى حال الحشر الى عالم (مفارق) بل هناك جماعة ننعتهم (بالاوساط الناقصين) يحشرون فى عالم (وسيط) بين التجسّم المادي والتجرد العقلي ••

---

(٢٠) وهو هنا ايضاً يخالف الشيخ الرئيس لذهاب ابن سينا الى المعاد الروحاني الخالص بما يتنافى وظاهر النصوص الشرعية . راجع الهيات الشفاء ج ٢ • ص ٤٢٣ • وكذلك الرسالة الاضحوية التي نشرها الاستاذ سليمان دنيا فى القاهرة .

ويجب ان لا يغرب عن البـال ان الشيرازي فى كل ما يقرره هنـا ينهض على قاعدة نظريته فى الحركة الجوهرية فهو حين يؤكد عدم أهمية تغيّر صفات البدن فى حال الحشر يعيد ـ فى الوقت نفسه ـ ذات الحركة التي تلحق المادة اينما حلتّ وحينما استقرت ، فهي لاحقه لمقولة الجوهر اصلاً .. وبهـذا يظهر اخلاصه الشديد لفكرته تلك وبنـاء كثيرٍ من افكاره عليها ، ولا ضير فيما ذهب اليه ما دامت الحركة هي خلقٌ وتجدد دائم ، وما دامت الحياة تقوم على التصيّر المستمر .



وبعـد ..

ففي العرض الذي اوجزنا عن المعرفة والنفس الانسانية ، مايدلنا على ان مذهب صدر الدين روحانية خالصة تؤمن بالخلود الذي هو الغاية من الحيـاة .. وعلى ماتقدم فالعقـل والاشـراق عنده يتساوقان ولا يفترقان ، وهما ـ بهذا الاعتبار ـ غاية الدليل والبرهان ..

كلية الآداب
جعفـر آل ياسـين

مراجــــع البحــث :

الاسفار الاربعة ــ الشيرازي ، جـ ١ ــ ٢ طبعة طهران •

الشواهد الربوبية ــ الشيرازي ــ طبعــة طهران •

المبدأ والمعاد ــ الشيرازي ــ طبعـــة طهران •

الحكمة العرشية ــ المتن للشيرازي ، والشـــرح للشـــيخ احمــد الاحسائي ــ طبعة طهران •

الرسائل الثمان ــ للشيرازي ــ طبعة طهران •

كتاب النفس ــ ابن سينا ، نشرة رحمان ســـنة ١٩٥٩ ــ طبعـــة جامعـــة اكســـفورد •

رسالة فى العقل ــ الفارابي ــ طبعة بيروت ، تحقيق الأب بوييج •

الشـــــفاء ــ ابن سينا ــ طبعـــة طهران حـ ١ ــ ٢ •

مقالات الاسلاميين ــ الاشعري ــ طبعـــة القاهـــرة •

كتاب الانتصار ــ الخياط المعتزلي ــ طبعة بيروت •

الفصـــــل ــ ابن حزم ــ طبعـــة القاهـــرة •

رسالة فى النفس الناطقة ــ ابن سينا ــ طبعة القاهـــرة •

النجـــــاة ــ ابن سينا ــ طبعـــة القاهـــرة •

الملل والنحل ــ الشهرستاني ــ طبعـــة القاهـــرة •

تهافت التهافت ــ ابن رشد ــ طبعـــة بيروت •

الهيات الشفاء ــ ابن سينا ــ طبعـــة القاهـــرة •

الرسالة الاضحوية ــ ابن سينا ــ طبعـــة القاهـــرة •

مخطوطة

ديوان مفتاح الأفراح في امتداح الراح

لعبدالمحسن بن حمّود التنوخي الحلبي

٥٧٠ م – ٦٤٣ هـ

١١٧٤ م – ١٢٤٥ م

الدكتور محسن جمال الدين

مدرس في قسم اللغة العربية

كانت مخطوطة ديوان (مفتاح الأفراح ــ في امتداح الراح) ملازمة لي ، منذ تسع سنوات ، انصرمت من عمرها بين يَدَي . بعد ان حصلت عليها اعارة من الاستاذ البحاثة (عبدالرحمن الخيِّر) . من (اللاذقيـــة) بسورية ، وهي مطموسة العناوين ، مجهولة الناظم ، مشوشة الترتيب، مهملة التاريخ ، ناقصة القصائد ، ركيكة الكتابة . كتب عنها معيرها دراسة اسماها (البازياري) [1] ونشرها في باب (شاعر قديم) بمجلــة (القيثارة) الشعرية [2] دون ان يهتدي الى عنوانها الكامــل ، وناظمها الشاعر ، وتحديد عصره ومكان ولادته . ولقد ظن ناسخوا الديوان بانه من شعر (ابي نواس) الحسن بن هانيء [3] واستمرت هـــــذه المخطوطة تسير في متاهة طويلة ، دون ان يهتدي احد منا الى حــلّ اسرارها ، لنقصها ، وقدمها ، ورداءة خطها ، وتحريف كلماتها . حتى هدتني الصدفة وانا ابحث في مكتبة (المتحف العراقي) في مجموعــة المخطوطات الشعرية فيها . فاذا بي اقع على ديوان خطته يد الخطّاط

---

(١) البازيار ــ العصا الغليظة ــ والبازياري حامل الباز (لسان العرب ــ والقاموس المحيط) مُعرب وقد ورد في المخطوطة قوله :

وهو يناديني في خفية　　　يا بازياريُّ أما تحتسي

راجع / مخطوطة النمسا ورقة/٣٧ ومخطوطة بغداد ص/٤٧

(٢) راجع/ القيثارة ــ منشورات جماعة الشعر الجديد/ المجلد الاول عدد /٤ص/٤٢ .

(٣) راجع/ص/٤٣ المصدر نفسه .

العراقي المرحوم (الشيخ ابراهيم الدروبي) [٤] للبحاثة المرحوم الاب (انستاس ماري الكرملي) [٥] ـ وبعد ان تصفحته ، وقعت على عنوان الديوان وصاحبه • فاذا هو (مفتاح الافراح ـ فى امتداح الراح) لعبدالمحسن التنوخي الحلبي [٦] • لا كما ذكر الاستاذ (الخير") بانه (ديوان البازياري) • ثم رجعت بعدها ابحث عن مظان الديوان ، ووجوده ، وترجمة ناظمه ، فراجعت فهارس المخطوطات العربية فى الشرق والغرب ، وتراجم الرجال ، فحصلت على ما اريده من تحقيق اسم الديوان ، وحياة شاعره • وعصره ، ودراسته ، وموطنه ، وآثاره ، وشعره • واجتمعت لدي بعد ذلك ثلاث نسخ خطية منه وهي :ـ

(١) نسخة سورية ـ ورمزت لها بحرف (س) •

(٢) نسخة بغداد ـ ورمزت لها بحرف (ب) •

(٣) نسخة النمسا ـ ورمزت لها بحرف (ن) •

---

(٤) الدروبي ـ الشيخ ابراهيم الدروبي البغدادي ـ من الخطاطين العراقيين ـ الذين عاصرناهم ، كان شيخا طيب القلب ، سمح النفس، اطلعني على بعض كتبه ، والاسفار التي خطها. من مؤلفاته (البغداديون اخبارهم ومجالسهم) و (الباز الاشهب) توفى عام ١٩٥٩ .

(٥) الكرملي ـ الاب انستاس ماري . من رجال البحث واللغة فى العراق (١٨٦٦ ـ ١٩٤٧) اصدر مجلة (لغة العرب) ترك مكتبة خطية نفيسة ، نقلت الى (المتحف العراقي) كان من ضمنها ديوان عبدالمحسن التنوخي . من مؤلفاته (نشوء اللغة العربية ، نموها واكتهالها .) راجع / الاعلام ج١/ص٣٦٦ ٢ط .

(٦) راجع/ مجلة لغة العرب مجلد السنة الاولى ١٩١١/٠ ج/٤ ص/١٣٣ وفيه ينسب الكاتب فرنسيس جبران الديوان الى صاحب حلبة الكميت (النواجي) سنة ٨٥٩ هـ ويسميه (مفتاح الراح ـ فى امتداح الراح) ثم يعقب على قوله ويروى (مفتاح الارواح) . وكانت مخطوطة الديوان فى خزانة (انطوان سمحيري) . وهو كما يبدو من قوله كاملا على حروف المعجم .

وصف هذه النسخ :

ا ـ نسخة سورية :

وهي اقدم النسخ خطاً ، وورقا وحبراً • يرجع تاريخها تقديرا الى، ما يقارب الثلاثمائة سنة حسب ما قدر لها العارفون بالخطوط واسرارها ، والكتابة ورموزها ، والورق وطابعه •



الورقة الاولى من مخطوطة سورية (س) رقم (٥) في خزانتي

اوراقهـــا = ٧٤ ورقة
سطورها = ٢١ سطرا
طولهــا = ١٢ ســم
عرضها = ١٥ ســم
خطهــا = ــ نسخ رديء

عدد قصائدها (١١٤) قصيدة ، جاءت على حروف المعجــم ــ سقطت مقدمتها ، وذهب آخرها .

ب ــ نسخة بغـــداد :

وهي احدث من النسخة السورية كتابة ، وورقا ، وخطا ، وكانت تسمى مخطوطـــة (ديوان ابن الفارض) خطـــا ، يوما ان كانت فى حيازة (مكتبة دار الســـلام) ولما نقلت الى مكتبة (المتحف العراقي) فهرســـها الاستاذ الفاضل (كوركيس عوّاد) فجاءت على النحو التالي [٧] وهي كاملة من مقدمتها الى نهايتها ، لولا ان اهملت منها بعض القصائد التي جاءت فى مخطوطتي سورية ــ والنمسا . ومجموع قصائدها (١٢١) قصيدة .

اوراقها = ٤٦ ورقة
سطورها = ٢١ سطرا
طولهـــا = ٥ر٢٠ ســـم
عرضهـــا = ١٤ ســـم
خطهـــا = ــ نسخ جميل
رقمها = ١٤٢٥

تاريخها ــ نقلهـــا الشيخ الدروبي ، للأب انستاس الـــكرملي بتاريخ ٢٣ شـــوال ١٣٢٨ هـ المصادف (١٩١٠) م . ولهـــذه النسخ شقيقة اخرى جاءت على النحو الآتي :

---

(٧) راجع/ المخطوطات العربية ــ فى مكتبة المتحف العراقي ــ للاستا كـــوركيس عـــواد (القســـم الثاني) ــ الادبي ص/٤٦ مطبعـــة الرابطة/١٩٥٨ بغـــداد .

الورقة الأولى والثانية من مخطوطة بغداد (ب) ٣٢٧

اوراقها = ٥٠ ورقة
سطورها = ٢٢ سطرا
طولها = ٢١ سم
عرضها = ١٤ سم
رقمها = ٣٢٧
خطها = نسخ

تاريخها : يشير الى انها كتبت سنة ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧) م وهي كذلك من خط الشيخ الدروبي . ونحن نؤيد الاستاذ (عوّاد) بما ذهب اليه من جدة خطها ، وعدم قدمها . ومجموع قصائدها كشقيقتها (١٢١) قصيدة .

جـ ـ نسخة النمسا :

وهي من اجمل النسخ خطا ، ووضوحا ، وشكلا ، وأتمها شعرا
اوراقها = ٧٣ ورقة
سطورها = ١٥ سطرا
طولها = ٢١ سم
عرضها = ١٥ سم
خطها = نسخ مشكل
رقمها = ٤٦٣ (فينا)

وهذه هي التي اعتمدنا عليها في دراسة الديوان ، وتحقيقه ، والسعي لنشره . وهي اقدم من اختها البغدادية . لم يذكر مع الاسف تاريخ نسخها . بلغت قصائدها (١٤١) قصيدة . وقد قمت بمراجعة النسخ الثلاث من هذه المخطوطة ، واستطعت ان احصي قصائدها الموزعة على حروف الهجاء من الألف الى الياء فجاءت على النحو التالي :ـ

---

(٨) راجع/ فهرست المخطوطات العربية فى (فينا) Wien وضع الدكتور (فليجل) Dr. G. Fluge!
رقم /٤٦٣ ص / ٤٤٨ .

[illegible] الله الرحمن الرحيم اللهم يسر

الحمد لله على ما وهب من إصلاح اللسان • وإيضاح الأذهان •
وإفصاح الخطاب بالبيان • وصلى الله على نبيه محمد وآله وأصحابه ذوي
الفصاحة والبيان • والمساعدة والإحسان • وبعد فإني رأيت
كافة الشعراء من المحدثين والقدماء • قد وصفوا الخمر ومدحوا
[illegible] محاسنها وشرحوها • ونعتوا أباريقها وأوصافها
فمقصر في مدح ومطول • وأسهبوا في الشرح وأجملوا وأتوا
في الوصف وأجملوا • ووجدت أبا نواس رحمه الله في ذلك
رئيس الجماعة • ويعسوب الصناعة • وأستاذ الصناعة • وملاك البراعة
ومالك زمام الاستطاعة • وعلم المجون والخلاعة • فأحببت أن
[illegible] لا لأناس • وأتبع في وصفها أشعاره لا غيره •
إذ هو في الخلاعة أشعر • ورغبت في أن [illegible] في الشرب
بأمثاله • لأن أعتدي في الشرب من أمثاله • [illegible] الخلل
في الهزل • لا بمقالة الرذل • ولعله قد كان قولاً لا أفعالاً • وهزلاً
لا عملاً • فذا الذي من أشعاره • وأورد من أخباره • ما دل على حسن

مخطوطة النمسا (ن) رقم (٤٦٣)

القوافي	النسخة السورية،	النسخة البغدادية،	النسخة النمساوية،
	عدد القصائد	عدد القصائد	عدد القصائد
الالف	٣	٧	٨
الباء	٣	٣	٥
التاء	٥	٣	٥
الثاء	٣	٣	٥
الجيم	٤	٣	٤
الحاء	٥	٦	٦
الخاء	٣	٢	٣
الدال	٧	٦	٧
الذال	٣	٣	٣
الراء	٨	٨	٨
الزاي	٥	٤	٥
السين	٧	٦	٧
الشين	٤	٤	٤
الصاد	٤	٤	٤

القوافي	النسخة السورية	النسخة البغدادية	النسخة النمساوية
	عدد القصائد	عدد القصائد	عدد القصائد
الضاد	٥	٣	٥
الطاء	٤	٣	٤
الظاء	٣	٣	٣
العين	٤	٤	٤
الغين	٣	٣	٣
الفاء	٤	٣	٤
القاف	٥	٤	٥
الكاف	٦	٥	٦
اللام	٣	٥	٥
الميم	٤	٦	٧
النون	٥	٦	٦
الهاء	٥	٤	٥
الواو	٣	٣	٣
لام ألف	٣	٣	٣
الياء	٣	٤	٤

تسمية الديوان ومظنّاته :

انقسمت المصادر القديمة ، والحديثة بتسمية الديوان الى جهتين :

فجهة تسميه باسم (مفتاح الافراح) .

والجهة الاخرى تدعوه باسم (مفتاح الارواح) .

وقد اخذنا برأي الطرف الاول ، وذلك لان اقدم مصدر ذكره وقريب من عصره . هو صاحب كتاب (فوات الوفيات) محمد بن شاكر بن احمد الكتبي [٩] ودعاه باسم (مفتاح الارواح في امتداح الراح) وتبعه بهذه التسمية صاحب (شذرات الذهب) [١٠] ابن العماد الحنبلي . وتبع هذين المؤرخين (جرجي زيدان) [١١] و (الزركلي) [١٢] والبغدادي [١٣] وكحالة [١٤] .

---

(٩) الكتبي — محمد بن شاكر بن احمد الكتبي — صاحب (فوات الوفيات) المتوفى ٧٦٤ هـ — ١٢٦٣ م مؤرخ باحث ، عارف بالأدب لد ونشـ بدمشق . راجع/ الاعلام ج/٧ ص/٢٦ ٢ط وقد اشار عن تسمية الديوان بكتابه . راجع (فوات الوفيات) ج/٢ ص/٢٣ ط/ القاهرة ١٩٥١ .

(١٠) الحنبلي — ابن العماد — عبدالحي بن احمد . ولد بدمشق ومات بمكة . له (شذرات الذهب في اخبار من ذهب.(١٠٨٩ هـ — ١٦٧٩م) راجع / الاعلام ج/٤ ص/٦١ ط/٢ وانظر عن الشاعر الشذرات ج/٥ ص/٢٢٠ في حوادث سنة ٦٤٣ هـ هـ .

(١١) زيدان — جرجي (١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م) منشيء مجلة (الهلال) بمصر وصاحب سلسلة روايات تاريخ الاسلام — والتمدن الاسلامي . وآداب اللغة العربية . راجع /الاعلام ج/٢ ص/١٠٨ ط/٢ وانظر عن الشاعر آداب اللغة العربية ج/٣ ص/٢٢ ط/١٩٣١ .

(١٢) الزركلي — خير الدين — الشاعر ، الكاتب . راجع ما كتبه عن الشاعر ج/٤ص/٢٩٥/٢٩٥ ط/٢ .

(١٣) البغدادي — اسماعيل باشا — راجع ايضاح المكنون ج/١ ص/٤٩١ وج/٢ ص/٥٢٤ .

(١٤) كحالة — عمر رضا — مؤلف معجم المؤلفين . مؤرخ — كاتب — راجع معجمه ج/٦ ص/١٧٢ ط١ دمشق ١٩٥٨ .

فهرست مخطوطات (برلين) [١٥] .

فهرست مخطوطات (فينا) [١٦] .

ومن الفهارس الاجنبية والعربية التي اثبتت هذه التسمية فهي :

فهرست مخطوطات (دار الكتب المصرية) [١٧] .

وكذلك المستشرق الالماني (كارل بروكلمن) c. Brockelmann في كتابه القيم (تاريخ الادب العربي) [١٨] .

اما التي ذكرته باسم مفتاح (الارواح) فهي :

هدية العارفين [١٩] لاسماعيل باشا البغدادي .

فهرست مخطوطات المتحف البريطاني بلندن [٢٠] .

فهرست مخطوطات المتحف العراقي ببغداد [٢١] .

والظاهر ان نسخة (لندن) هي نفس النسخة التي اشار عنها الاستاذ البحاثه (عوّاد) وفهرسها ، في مخطوطات مكتبة (المتحف العراقي) تحت رقم/٣٢٧ لان تاريخهما واحـــد . وقد انتقلت كما اظن عن طريق الاب

---

(١٥) راجع /فهرســـت المخطوطات العربيـــة في برلين لمؤلفـه (هوارد) W. AHLWARDT المطبوع سنة ١٨٩٥ رقم/٧٧٥٣ ص/٢٩ .

(١٦) راجع / فهرســـت المخطوطات العربيـــة في (فينا) نشـــر الدكتور (فليجل) Dr. FLÜGEL. المطبوع سنة ١٨٦٥ رقم /٤٦٣ ص/٤٤٨ .

(١٧) راجع/ فهرست دار الكتب المصرية ج/٣ ص/٣٦٥ ادب /١٩٢٧ رقم /٦٠٣ .

(١٨) راجـــع/ تاريخ الادب العربي (كارل برو كلمن) الطبعـة الالمانيـــة C. Brock S. I. 427 , G.I. 257

(١٩) راجع/ هدية العارفين ــ في اسماء المؤلفين ــ لاســـماعيل باشـــا البغدادي ط استانبول /١٩٥١ المجلد الاول / ص ٦٢١ .

(٢٠) راجع/ فهرســـت مخطوطـــات المتحف البريطاني (لنـــدن) نشـــر A.G. ELLIS تحت رقم /٧٥٦٦ OR ص/٦٠

(٢١) راجع/ المخطوطات العربيـــة ــ في مكتبة المتحف العراقي ــ نشـــر الاستاذ كوركيس عواد ــ مطبعة الرابطة ــ بغـــداد /١٩٥٨ (المخطوطات الادبية) ص/٤٦ رقم ٣٢٧ و/١٤٢٥ .

انستاس ماري الكرملي • الى مكتبـة المتحف البريطاني ، لان كثيرا من مخطوطات مكتبـة (دار السـلام) ذهبت الى هناك عن طريق الشراء أو الاهـداء •

مظان المخطوط (٢٢)

ان نصيب مؤلفات (عبدالمحسن التنوخي) صاحب هـذا الديوان لا يختلف عن بقية ما اصاب الآثار العربية من نهب ، وسـلب ، وفرقة ، وشتات • عن مواطنها العربية الاصلية الاولى • فتفرقت فى كل جانب ، وابتعدت فى كل صوب • مرة مصونة محفوظة ، ترعاها ايدي محافظـة حريصة عليها ، واخرى مبعثرة ممزقة • تباع باسواق الذلة ، والحاجة ، والجهالة • وقد أحصى العلامة (بروكلمن) مواطن المخطوطة ونحن نوردها باضافة ما اطلعنا عليه :ـ

(١) مكتبه برلين رقم /٧٧٥٣ •
(٢) مكتبه فينا رقم /٤٦٣ •
(٣) مكتبه المتحف البريطاني رقم /٧٥٦٦
(٤) مكتبه الخديوية ج/٤ رقم ٣٢٦ •
(٥) مكتبة دار الكتب المصرية ج/٣ رقم ٣٦٥
(٦) مكتبة المتحف العراقي رقم ٣٢٧ ورقم ١٤٢٥ •
(٧) مكتبه نسخة الاسـتاذ (عبدالرحمن الخير) المعـاره لـدي والمحفوظة بخزانتي رقم /٥ •

التعريف بالشاعر :

أ ــ حياته •
ب ــ شخصيته الادبيـة •
جـ ــ عصره ، واساتذته ، وزملاؤه •
د ــ ديوانه •
هـ ــ مختارات من شعره •

---

(٢٢) برو كلمن ــ تاريخ الادب العربي ــ الطبعة الالمانيـة ليدن /١٩٣٧ ويلاحظ انه اورد ارقاما لها كانت موجودة فى فهارس المشرفين على تلك الدور أو اصحاب الخزائن . ولـكن بعضها قد نقلت أو بدلت ارقامها بارقام جديدة (محسن) .

حياتــه

عبدالمحسن بن حَمْشُـود بن عبدالمحسن بن علي ، امين الـدين ، التنوخي ، الحلبي ، الكاتب المنشيء البليغ [٢٣] . كنيتـه (أبو الفضل) و (ابو القاسم) .

ولد سنة سبعين وخمسمائة . وتوفى سنة ثلاث واربعين وستمائة .
(٥٧٠ هـ ــ ٦٤٣ هـ / ١١٧٤ ــ ١٢٤٥ م)

كانت ولادته فى (حلب) ووفاته بدمشق.حيث دفن (بباب توما) [٢٤] وكما اصاب ديوانه من التحريف ، اصاب اسمه . فقد ذكرته بعض المصادر باسم (عبدالمحسن بن محمود) ومنها (كشف الظنون) و (هدية العارفين) و (ايضـاح المكنون) (٢٥) وتبعهـم بعض المستشرقين امثال مفهرس مخطوطات مكتبة برلين ، مكتبة فينا ، ومكتبة لندن [٢٦] .

لم تعرف عن حياته العائلية شيئا . كما لم تتمكن ان نجد ما خلّف لنا من ذرية واولاد . وهو ولا شك كما يدل نسبه من (تنوخ) [٢٧] اللخميين الذين كانت مساكنهم فى (الحيرة) ونزح قسم منهم الى سورية. وجاءت قبيلة منهـم مع قحطان بن عوف المسلسل الى الملك النعمان

---

(٢٣) اعتمدنا على (فوات الوفيات) فى ضبط اسمه وتاريخ ولادته ، ووفاته راجع/ ج ٢ ص/٢٣ رقم (٢٥٨) ط٢ /١٩٥١ .
كما راجع (هدية العارفين) المجلد الاول /ص ٦٢١ .
و (مرآة الزمان) المجلد الثامن /ص/٧٥٧ .

(٢٤) راجع/ مرآة الزمان ــ لسبط بن الجوزي المتوفى ٦٥٤ ج/٨ص/٧٥٧ط حيدر آباد الدكن ١٩٥٢ .

(٢٥) راجع/ ايضاح المكنون ج١/٤٩١ وكشف الظنون ج٢/١٧٥٨ وهدية العارفين ص/٦٢١ .

(٢٦) راجع/ فهرست برلين ص/٢٩ وفهرست فينا ص/٤٤٨ وفهرست لندن ص/٦٠ .

(٢٧) راجع/ كتاب اخبار الاعيان ــ للشـدياق ط١ /بيروت ١٨٥٩ ص/٢٢٣ وما بعدها وفيه تفصيل عن الامرآء التنوخين القيسيين.
كما ان لاسرة التنوخين المكانة المرموقة حتى اليوم فى سورية ولبنان.
ومن نوابغهم (ابو العـلاء المعري) . والاسـتاذ الفاضل (عز الدين التنوخي) من رجال المجمع العلمي العربي بدمشق .

وسكنوا البرية التي بين (حلب) و (معرة النعمان) ابن بشير الأنصاري • وارتفع مقام قحطان فى تلك القبيلة وولد له هناك ولد سماه (تنوخاً) فقام اميراً عليهم •

ان المؤرخين الذين بعضهم عاصره أو جاء من بعده ، وصفوه بالتقوى • والصلاح ، والمرؤة ، والفضل • ومن بين هؤلاء (سبط بن الجوزي) فى مرآة زمانه [٢٨] • ولقد عاش جانبا من حياته فى مدينته (حلب) • ثم انتقل منها الى (دمشق) (فصرخد) [٢٩] وبعدها عاد لدمشق ، ومات فيها • ووصف فى شعره معالمها ومرابعها وما جاورها من منتزهات وأديره ، وبساتين ، وطبيعة رائعة فتّانه !! •

شخصيته الأدبية

عُرف (عبدالمحسن) بانه كان أديبا ، كاتبا ، شاعرا ، منشئا ، فاضلا ، بارعا حسن الخط [٣٠] ، درس فى معاهد حلب ، وانتقل بعد ذلك الى دمشق ، طلبا للحديث والرواية • وتلقى العلوم والمعرفة • ودعاه صاحب (شذرات الذهب) بالصدر العلّامة [٣١] • تقلد الوزارة

---

(٢٨) راجع/ مرآة الزمان ــ لابن الجوزي المجلد /٨ ص/٧٥٧ وما بعدها.

(٢٩) (صرخد) بلد ملاصق لبلاد حوران من اعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة ، وولاية حسنة واسعة ، ينسب اليها الخمر . قال فيها الشاعر عبدالمحسن ووصف خمرها بقوله :

مما اصطفوه بحمص أو ما عتقوه   بصد ناياه أو جنوه (بصرخد) .

راجع/ معجم البلدان ــ لياقوت مجلد /٣ ص/٤٠١ ط١ /بيروت ومراصد الاطلاع ج/٢ ص/٨٣٨ ط١/ القاهرة . ومخطوطة النمسا ورقة/٢٢ .

(٣٠) راجع/ مرآة الزمان المجلد /٨ ص/٧٥٧ حيدر اباد ــ الدكن .

(٣١) راجع/ شذرات الذهب ج/٥ ص/٢٢٠ ط١ / القاهرة .

(لعزالدين ايبك) صاحب (صرخد) [٣٢] وانضمّ بعد ذلك الى السلطان (المعظّم) عيسى بن ابي بكر ايوب [٣٣] وباشارته وضع ديوانه الذي خصصناه بهذه الدراسة • جاء في مقدمته قوله :ـ

•• « إن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين والدنيا ، سلطان الاسلام والمسلمين ، سيد الملوك والسلاطين ، ابا المنصور عيسى بن ابي بكر بن أيوب • قال لي يوما : هل شربت الخمر ، فقلت : لا ومن له الخلق والامر • فقال : لا اشك انك من الناس الذين لم تدر عليهم الكاس ، وجعل يردد لي هذا القول ، ويندد في بني أولي الفضل

---

(٣٢) عزالدين ايبك) ٦٤٦ هـ /١٢٤٨ م ابو المنصور ، عزالدين المعظمي امير من المماليك يعرف (بصاحب صرخد) كان مملوكا لشرف الدين عيسى الايوبي بدمشق • ثم اخذ منه الصالح ايوب (صرخد) واعتقل بالقاهرة ، ومات فيها • بنى عدة مدارس في دمشق ، والمقدس • راجع/ الاعلام ج/١ ص ٣٧٧ ط/٢ •

(٣٣) (عيسى الملك المعظم) ٥٧٦ هـ ـ ٦٢٤ هـ (١١٨٠ ـ ١٢٢٧ م) ابن (محمد الملك العادل) كان له ما بين بلاد حمص ـ والعريش ، والساحل ، والغور ، وفلسطين ، والقدس ، والكرك ، والشوبك ، وصرخد • كان وافر الحرمة ، فارسا ، شجاعا • عالما بفقه (الحنفية) جعل لكل من يحفظ المفصل (للزمخشري) مئة دينارا وخلعة ، والجامع الكبير مائتي دينار • ومن يحفظ الايضاح في النحو مائيتي دينار • ورصد جوائز للمتفوقين في العلم • صنفا كتبا منها (السهم المصيب) في الرد على ابن الخطيب • وله ديوان شعر • وشرح الجامع الكبير للشيباني ، وبنى المدرسة العادلية بدمشق • والمدرسة المعظمية • وتلقى العلوم على جلة من العلماء منهم : تاج الدين الكندي ، والحصيري وغيرهما • وفي عصره ترجم (الفتح بن علي الاصفهاني) المعروف (بالبنداري) (الشاهناقه) وقدمها باسمه • راجع/ الاعلام ج ٢٩٣/٥ وفيات لاعيان ج/٣ ص/١٦٢ و (مأمون بنى ايوب) للدكتور احمد احمد بدوي • دراسة خاصة به شاملة عامة • وراجع مقدمة (الشاهنامه) ترجمة المرحوم (الدكتور الاستاذ عبدالوهاب عزام) طـ١ /١٩٣٢ القاهرة •

والطول • فنظمت هذا الكتاب ، في وصف الشراب ، وتلاعب الحميا بألالباب • وذكر ما يجري بين الندامى من المجون والآداب • » [٣٤]

ويظهر من خلال الديوان وشعره • ان نفسية الشاعر ، كانت لطيفة الروح ، متحررة النفس ، فكهة الشعر ، دقيقة الملاحظـة ، مكشوفة الادب ، صريحة القول • لاذعة العبارة •

عصره

ان العصر الذي ولد فيه الشاعر ، ونشأ ومات فيه • كان من أشد العصور قسوة ، على الدولة العربية الاسـلامية • فولادته في سـنة ٥٧٠ هـ بعد انقراض الدولة الفاطمية ، بثلاث سنوات ، اذ انها سقطت على يد الدولة الايوبية • عام /٥٦٧ هـ • وبزوغ نجم (صلاح الدين) والحروب الصليبية الثانية القاسية • وفي عهد الناصر الخليفة العباسي [٣٥] ولما وقف السلطان القائد صلاح الدين الايوبي ، ذلك الموقف الجبّار، امام هجمات الصليبين ، وتوفى بعد ذلك عام ٥٨٩ هـ • (١١٩٣ م) •كان عمر (عبدالمحسن التنوخي) عند وفاته (١٩) عاما • وشهد دون شـك (معركة حطين) وأحداثها • كما شعر بالفراغ لوفاة سـلطانه (المعظم) عيسى بن ابي بكر بن ايوب ١٢٢٧/٦٢٤ م •[٣٦] الـذي رثاه اكبر شعراء عصره • (كابن عنّين) و (محب الدين البغدادي) [٣٧] •

---

(٣٤) راجع/ مخطوطـة النمسا الورقة /٢ ومخطوطة بغداد /٢ . كما يستحسن مراجعـة كتاب (تطـور الخمـريات في الشعر العربي) للدكتور الاستاذ جميل سعيد ـ من عصر الجاهلية ـ الى عصر ابي نؤاس ط١ /١٩٤٥ مصـر . وكتاب (الديارات) للشابشتي . نشر الاستاذ كوركيس عواد . بغداد /١٩٥١ ط ١ . بالاضافة الى ديوان (شيخ الصناعة) ابي نواس .

(٣٥) راجع/ مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي ـ للسيد مير علي ط ١ /٢٧٥ .

(٣٦) راجع/ المصدر السابق ص/٣٢٧ وما بعدها . كما راجع /مفرّج الكروب في اخبار بنى ايوب ج/٣ ص/١١٦ وص/٢٧٤ .

(٣٧) راجع/ عن اثر وفاة السلطان المعظـم ـ كتاب (مأمون بني أيوب) ص/٨١ وص/٨٦ .

ولم نجد فى ترجمة الشاعر ما يشير الى رثائه لسلطان بلاده ، وولي نعمته •

اما وفاته فكانت فى اواخر حكم (المستنصر ، بالله العباسي) ٦٣٠ هـ/١٢٤٢ م وقيام حكم الخليفة (المستعصم بالله) الذي سقطت بغداد على يده بهجمات (هولاكو) التتري • والغريب ان هذا الشاعر لم يؤرخ لنا الاحداث الهامة فى كتبه أو اشعاره • الا ما جاء عرضا ، وقد يصح انه وصفها وعرضها بآثاره المفقودة ، التي لم يصل منها الينا إلاّ ديوانه (مفتاح الافراح) وكتابه النثري الآخر (الانوار المقتبسة من اوار النار) المحفوظ (بدار الكتب المصرية) [٣٨] •

واثبت له صاحب (مرآة الزمان) هذيين البيتين قال [٣٩] وانشدني لما نزل الفرنج على (الطور) [٤٠] فى سنة ٦١٤ هـ/١٢١٧ م •

«قل للخليفة لا زالت عساكره لها الى النصر اصدار وايراد»
«إن الفرنج بحصن الطور قد نزلوا لا تغفلن فان الطور بغداد»

إن عصر الشاعر ، كان عصرا ثريا بالامراء ، والوزراء ، والكتاب ، والشعراء ، والعلماء الاجلاء ، الذين تركوا لنا ثروة ضخمة من الآثار والدراسات فى جميع الفنون والآداب •

---

(٣٨) راجع/ كتاب (الحياة الادبية ـ فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام) ص /٥٨٦ للدكتور احمد بدوي وهو خير من أرخ هذه الفترة ودرسها بكتابه هذا والاخر (الحياة العقلية فى عصر الحروب الصليبية) بمصر والشام . كما راجع / فهرست دار الكتب المصرية تحت رقم /٨٥٠٣ (ادب) .

(٣٩) راجع/ مرآة الزمان : المجلد /٨ ص/٧٥٧ .

(٤٠) (الطور) ـ جبل مطل على طبرية الاردن ـ بينهما اربعة فراسخ . على راسه بيعة محكمة البناء ، موثقة الارجاء . بنى هناك الملك المعظم (عيسى بن ايوب) قلعة حصينة وانفق عليها الاموال واحكمها غاية الاحكام . خرجها عام ٦١٥ هـ لما خرج الافرنج للبيت المقدس. راجع/ معجم البلدان/ المجلد الرابع ص/٤٧ ط / بيروت ومراصد الاطلاع ج/٢ ص/٨٩٦ .

فللسلطان المعظم (عيسى بن ايوب) ديوان شعر ، وله اشعار ذكرها صاحب (وفيات الاعيان) [٤١] من القدامى ، ومؤلف (مأمون بن ايوب) من المعاصرين [٤٢] . وهناك طبقة الوزراء الكبار الذين عاشوا فى زمنه وعصره امثال (القاضي الفاضل) [٤٣] و (ابن القفطي) [٤٤] ، وهناك طبقة الكاتب ، والشاعر ، والفقيه ، والنحوي ، والاديب . كانت لهم منزلة مرموقة ، ومكانة محترمة . فالمجالس الادبية تعقد ، والجوائز تمنح ، والمؤلفات تصنف كما فعل الملك الكامل مع (ابن دحية الاندلسي) [٤٥] . إذ طلب منه ان يجمع شيئا من شعر اهل المغرب . فالف له ابن دحية كتابه (المطرب) « وعرف المعظم للعلم قدره ، ولاهل العلم مقامهم » .

---

(٤١) راجع/ وفيات الاعيان ــ فى ترجمة رقم /٤٨٨ ص/١٦٢ ج/٣ ومن شعره :

ومورد الوخبات أغيد خاله ... بالحسن من فرط الملاحة عمه
كحل العيونَ وكان فى اجفانه ... كحلٌ فقلت سقى الحسام وسمهُ

وقوله :

أحن اليكم ، ثم أسأل عنكم ... ومآ واكم قلبي ، فغيم سؤالي
فان قلت لم ينطق بغيركم فمى ... وان نمت كنتم فى المنام خيالي

راجع/ مامون بني ايوب ص/٥٤ وراجع/ الحياة الادبية فى عصر الحروب الصليبية ص/٢٩ .

(٤٢) راجع/ دراسة الدكتور احمد بدوي عن (السلطان الاعظم) وهي دراسة مستقلة مصر/١٩٥٣ .

(٤٣) القاضي الفاضل ـ عبدالرحيم بن علي اللخمي (٥٩٦هـ ــ ١٢٠٠م) من (نابلس) .
كان وزيرا من وزراء الدولة الايوبية . وشاعرا ، وكاتبا . منشأ .
راجع/ الاعلام ج/٤ ص/١٢١ ط/٢ .

(٤٤) القفطي ـ علي بن يوسف القاضي الاكرم . (٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) .
كان عالما باللغة والأدب . الف له ياقوت الحموي (معجم البلدان)
ومن مؤلفاته كتاب (انباه الرواة على انباء النحاة)
راجع/ الاعلام ج/٥ ص/١٨٧ ط/٢ .

(٤٥) أبن دحيه الكلبي ــ الاندلسي ــ مجدالدين ابو الخطاب عمر بن الشيخ الامام ابي علي حسن ابن علي . توفي (٦٣٣ هـ ــ ١٢٣٥ م) .
زار مصر ، والعراق ــ وسورية . من مؤلفاته (النبراس فى خلفاء بني العباس) و (المطرب فى اشعار المغرب) .

روى مؤرخوه إنه كان يتردد على اســتاذيه (الحصيري) [٤٦] و (الكندي) [٤٧] فى اكثر الاوقات • وكان يمشــي راجلا الى دار تاج الدين الكنـــدي ، والكتاب تحت ابطـه • وكان يجلس فى تواضع بين تلامذة الكندي الذين يقرأون عليه • من غير أن يمتاز عليهم بشيء ، بل كان ينتظر راضيا حتى يأتي دوره فى القرآءة على استاذه • « ووجد لذة كبرى فى الجلوس مع العلماء ، والبحث معهم ، ومناقشتهم ، ولهم منه التبجيل والاكرام • » [٤٨]

وإذا كان هذا السلطان ، على هذه الصفة من حب العلم ، وتقدير العلماء • وتشجيع ذوي الفضل والآداب والشعر ، فلا بد ان تزداد رغبة الناس ، فى طلب المعارف ، وفى وضع المؤلفات ، وفى دراسة العلوم ، وفتح المعاهد • حتى قصد بلاد الشام سائر الفضلاء من اقاصي الاندلس، وبلاد المغرب ، واطراف فارس ، واصقاع مصر ، وحدود العراق ، ومن سائر اماكن الجزيرة العربية •

واستفاد الصليبون من هذا العصر وتناجــه العلمي والفــكري ، والثقافي • واطلعوا على ما فيه من ثقافات ، ومدارس ، ومؤلفــات ، ونقلوا ما استطاعوا نقله من آثار خالدة ، واسفار نافعة • بذل اصحابها

---

(٤٦) الحصيري ــ جمال الدين . محمد بن احمد (٦٣٦ هـ/١٢٣٨ م) كان استاذ السلطان الملك عيسى المعظم . وهو من كبار علماء الحديث والفقه . له شرح (الجامع الكبير) .
راجع/ الاعلام ج/٨ ص/٣٦ ط/٢ .

(٤٧) الكندي ــ أبو اليمن . زيد بن سعيد الحميري (ــ تاج الدين (٦١٣ هـ ١٢١٧ م) اديب من الكتاب . والشعراء ، والعلماء الاجلاء . ولد ونشأ ببغداد ، وسافر الى حلب ٥٦٣ هـ ثم سكن دمشق وقصده الناس يقرأون عليه . وكان الملك المعظم (عيسى الايوبي) يقرأ عليه كتاب (سيبويه) له ديوان شعر ، وشرح ديوان المتنبي .
راجع/ الاعلام ج/٣ ص/٩٦ ط/٢ .

(٤٨) راجع/ كتاب (مأمون بن ايوب) (المعظم عيسى) ص/٢٦ .

فى تأليفها ، وجمعها ، وتصنيفها ، ما تعجز عنه العقول الغريبة يومذاك. وعدّدَ مؤلف (الحياة الادبية) سرداً باســماء المؤلفات واصحابها . وما انتجه العقل العربي الاسلامي فى عصر بني أيوب[٤٩] .

فمن كتب التاريخ مؤلفات (ابن عساكر) ومن كتب الجغرافية . مؤلفات (ياقوت الحموي) . ومن التفســير (مؤلفات القرطبي) . وفى اللغة (ابن مالك) والفيته ، و (ابن منظور) ولســانه . وفى الادب (ابن الاثير) ومثله ، وفى التراجم (العماد) وخريدته و (ابن خلكان) ووفياته . وفى الطب (ابن البيطار) ومفرداته وفى الشعر (ابن عنين) وأشعاره ، وفى النثر (القاضي الفاضل) ورسائله . وغير هؤلاء من الخالدين [٥٠] .

ويقرر الدكتور (احمد بدوي) فى آخر مؤلفه (الحياة الادبيــة) « ان كثيرا من ادب عصر الحروب الصليبية ، لايزال خبئيا فى الخزائن، مخطوطا أو مصورا لــم يحقق تحقيقا علميا . وان من الواجب تضافر القوى على نشر هذا الادب واذاعته ...»

« وانــه من الخير كــذلك ان يفرد هؤلاء الذين صنعوا الحياة الادبية فى هذا العصر ، بدراسة واسعة تبين عقولهم ونفوسهم ، وميولهم الفنية ، فى جلاء وتفصيل [٥١] .

---

(٤٩) راجع/ الحياة الادبية ــ فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ص/٢١ ، ص/٢٢ .

(٥٠) راجع/ كتابي الحياة الادبية ، والحياة العقلية ، فى عصر الحروب الصليبية للدكتور احمد احمد بدوي ــ ففيه المزيد من الدراســة والتراجــم .

كما يراجع/ التعريف بالمؤرخين ــ فى عهد المغول والتركمان للمحامي الاستاذ عباس العزاوي ــ طبعة بغداد /١٩٥٧ . ففيه تراجم بعض من عاشوا بهذا العصر .

(٥١) راجع/ كتاب الحياة الادبية ــ للدكتور بدوي ص/٥٦٦ ط/١ .

أساتذته وزملاؤه

تلقى علومه الاولى فى مدينة (حلب) الشهباء ونسب اليها . ثم انتقل منها الى (دمشق) و (صرخد) . وكان مقصده العلم ، والاتصال بطبقة العلماء الكبار ، الذين ذكرتهم تراجم الرجال . وعدّتهم من اصحاب الرواية ، والحديث ، والدراية . امثال : (حنبل) [٥٢] و (ابن طبرزذ) [٥٣] والكندي [٥٤] .

وهؤلاء اذا استعرضنا حياتهم وخدماتهم كانوا اصحاب فضلٍ ، وتقوى ، وعلمٍ ، و منزلةٍ . سامية . ومقام محترم . اما زملاؤه . فلم تشر المراجع القديمة عنهم ، سوى ما جاء فى خلال ديوانه اذ قال : «وكان قد صحب بدمشق اثنين من كبراء رؤسائها ، ورؤساء كبرائها . احدهما العزيز (ابن صصرى) [٥٥] والآخر (العماد بن الفلانسي) [٥٦] وكانا اذا خرجا الى التنزه فى بساتينها دعياه ، واذا عزما على الشرب كتماه ...» [٥٧] .

---

(٥٢) حنبل – بن عبدالله الرّصافي (ابو عبدالله) (٦٠٤ هـ) راوي المسند بكماله عن ابي الحصين . كان دلالاً فى الاملاك . وسمع المسند فى نيف وعشرين مجلسا . بقراءة ابن الخشاب . توفي بعد عودته من دمشق . راجع/ شذرات الذهب ج/٥ ص/١٢ .

(٥٣) ابن طبرزد – ابو حفص موفق الدين عمر الدار قزي (٦٠٧ هـ) سمع من ابن الحصين وابن غالب – قدم دمشق واملى مجالسه بجامع المنصور ، كان ظريفا كثير المزاح توفى بعد عودته الى بغداد . راجع/ شذرات الذهب ج/٥ ص/٢٦ ومعنى (طرزد) نوع من الحلوى .

(٥٤) الكندي – مرت ترجمته وحياته . راجع عنه الاعلام – والحياة الادبية للدكتور احمد بدوي .

(٥٥) ابن صصرى – محمد بن سالم التغلبي (٦٧٠ هـ – ١٢٧٢ م) ابو عبدالله عماد الدين من المشتغلين بالحديث مولده ووفاته بدمشق . من اهل بيت علم وادب . راجع/الاعلام ج/٧ ص/٣ .

(٥٦) ابن القلانسي – من اسرة القلانسية المنتشرة بالشام ولكن اقربهم لعصر الشاعر هو (اسعد بن غالب التميمي المتوفى ٦٧٠ هـ ١٢٧٢ م) راجع / معجم المؤلفين ج/٢ ص/٢٤٧ .

(٥٧) راجع مخطوطة النمسا ورقة/٤٧ ومخطوطة بغداد ص/٥٩ ومخطوطة سورية .

كما لازم المؤرخ (سبط بن الجوزي) [٥٨] صاحب (مرآة الزمان) فذكره ، واثبت بعض شعره فى كتابه وأثنى عليه .

ديوانه وآثاره

ان ديوان (مفتاح الافراح ـ فى امتداح الراح) جاء كله من ألفه الى يائه ـ بوصف الراح . وما فيها من نشوة ، ولذة ، وجميع ما يدور فى مجالسها . من كاسات ، وسقاة ، وغلمان ، وخمارات ، ونوادٍ ويبزّ فيه احيانا جمال الصور التي استحدثها (النواسـي) . ولكنـه يتقيد بالمحسنات البديعية . التي طغت فى عصره ، وكثرت عند اقرانه ، من الشعراء امثال (ابن عنيْن) [٥٩] (والباهلي) [٦٠] وغيرهما .

والملاحظ ان هناك تفاوتا بين صفته الشخصية ، وفضله ، وورعه ، وما وصفه به مؤرخوه . وبين قصائده المجونية التي جاءت فى ديوانه. نظراً لما فيها من صراحة مكشوفة ، وادب خليع . سار فيه شعراء زمانه، وبقي محفوظاً فى طيات دواوينهم . واثبتت من نماذجه (خريدة القصر) و (عيون الانباء) و (الطالع السعيد) [٦١] .

---

(٥٨) سبط ابن الجوزي ـ يوسف بن عبدالله العوني البغدادي الحنفي (ابو المظفر) الواعظ شمس الدين (٦٥٤ هـ ـ ١٢٥٧ م) ابن الحافظ ابي الفرج بن الجوزي . سمع من ابي حفص طبرزد . والكندي . ولـه التفسير الكبير ـ ومرآة الزمان وغيرهما . راجـع التعريف بالمؤرخين ـ للعزاوي ص/٦٩ .

(٥٩) ابن عنين ـ محمد بن نصر الله بن مكارم ابن عنين (ابو المحاسن) الدمشقي . تولى الـوزارة للملك المعظـم (عيسى بن ايوب) وكان هجاءً سافر للعراق . والجزيرة . واذربيجان . وخراسـان ـ والهند ، واليمن ـ ومصر . نفاه صلاح الدين وعاد بعـد وفاته . لـه ديوان شعر نشره المرحوم خليل مردم بك بدمشق /١٩٤٦ . راجع الاعلام ج ٣٤٨/٧ .

(٦٠) الباهلي ـ الحكم المغربي عبدالله بن المظفر (ابو الحكم) (٥٤٩ هـ ـ ١١٥٥ م) شاعر ، طبيب ، مهندس، حكيم . له ديوان في المجون اسمه/ نهج الوضاعة ـ لاولي الخلاعة وهو اندلسي الاصل من اهل المريّه. راجع/ الاعلام ج/٤ ص /٣٥٥ والحياة الادبية ص/١٠٣ وما بعدها.

(٦١) راجع/ الحياة الادبية ـ للدكتور بدوي ص/١٠٢ .

أغراض الديوان الشعرية

إن اغراض الديوان لم تقتصر على وصف الخمرة ، بل تعدتها الى ألوان آخرى . كما قال ناظمه ، فى مقدمته . ولكن الفكرة الاساسية . التي بنيت عليها اشعار الديوان ، وتسميته ومحتوياته اقتصرت على الراح . وما فيها من صفات ونعوت واسماء . ونخاله الديوان الوحيد الذي وقع عليه نظرنا فى مدح الخمرة من اوله الى آخره . دون ان يخرج عن دائرتها .

ولقد قال : « بانه حوى اكثر معاني الشعر من هزل وجد . ورغبة وزهد ، ومديح وهجاء ، ونسيب ورثاء . وتشبيه وافتخار ، ومجون واستغفار . واستعطاف واعتذار ، ونعت الديارات والديار ، وجوب المهامه والقفار ، وخوض غمار القنا والسفار [٦٢] ووصف الرياحين والازهار ، وتدفق الغدران والانهار ، وتغريد الاطيار فى الاسحار ، وتلاعب الرياح بلاشجار ، وذكرى الشيب والشباب ، وشكوى الشوق والاكتئاب [٦٣] وتذكر الليالي والايام ، وتقاب الدهر بالأنام ، وغير ذلك من معاني الشعر التي تطول الخطبة بذكرها ، ويسأم قارؤها دون حصرها . »

وقد رتبته على حروف المعجم وهو (بمفتاح الافراح ــ فى امتداح الراح) مترجم [٦٤] . ويجعل استاذه فى هذه البضاعة من الشعر (أبا نواس) ويقتدي باشعاره لا باعماله فيقول فى المقدمة :ــ

« ووجدت ابا نواس يرحمه الله ــ فى ذلك رئيس الجماعة ، ونفيس البضاعة ، واستاذ الصناعة . وملاذ البراعة . ومالك زمام الاستطاعة . وعلم المجون والخلاعة . فاحببت ان اقفوا فيها آثاره ، لا ايثاره ، واتبع فى وصفها ما استعاره لا اعارة ، واحتذي فى الخلاعة اشعاره لاشعاره ،

---

(٦٢) سقطت من (مخطوطة بغداد) و (خوض غمار القنا والشفار) .

(٦٣) سقطت من (مخطوطة بغداد) كلمة (الاكتئاب) .

(٦٤) راجع/ مقدمة (مخطوطة النمسا) ورقة /٢ وورقة /٣ والبغدادية ص/٤ .

ورغبت ان اقتدي فى الشرب بامثاله ، لا ان اغتدي فى الشرب من امثاله ، واهتدى بمقاله الجزل فى الهزل . لا بفعاله الرذل .» (٦٥)

مختارات من شعره

هذه مختارات شعرية ، جمشناها جمشاً ، من ديوانه ، والتقطناها من بعض المصادر القديمة التي اوردت شيئاً من شعره ، الذي لم يكن فى ديوانه ، والذي ندرسه الآن ونحققه . على أمل ان ننشر نظمه كاملا عند اخراج الديوان وطبعه (٦٦) .

من قافية الألف

قامت تميس بقامة هيفاء ... سمراء قد أربت على السمراء (٦٨)

وزرت على الحور الحسان بمبسم ... عذب اللثاث ومقلة حوراء

..وجلت لنا من راحها فى راحها ... والليل فى حلل من الظلماء

شمس الضحى يسعى بها بدر الدجى ... فى فتية ككواكب الجوزاء

راقت ورق اناؤها فكانما ... تجلى على الايدي بغير اناء

تالله لم يسمع بنار قبلها ... تذكى بماء فى اناء هواء

فاشرب فان الشرب ليس بجامع ... فى الصدر بين الهم والصهباء

فاذا انتشيت فمن من شعري بما ... يزري بزهر الروضة الغناء (٦٩)

شعراً اذا ما انشدت ابياته ... خضعت لهن قرائح الشعراء

---

(٦٥) راجع/ مقدمة مخطوطة النمسا ورقة /٢ ومخطوطة بغداد ص/٢ ، ص/١ وقد ورد اسم (ابي نواس) فى مقدمته وشعره من قصيدته بقافية (الظاء) كما ورد اسم الامام مالك (رض) و (الجاحظ) اذ قال:

«اترك مقالة مالك فيها وخذ ... فيها بما قد قال فيها الجاحظ»

«واهتف بقول ابي نواس منشداً ... ودع الذي يروى فلان الحافظ»

راجع/ مخطوطة (ن) و (س) و (ب) .

(٦٦) راجع/ عن شعره (فوات الوفيات) و (مرآة الزمان) .

(٦٧) راجع/ ورقة رقم/٣ من نسخة (ن) و ص/٥ من نسخة (ب) وهذه اول قصائد الديوان .

(٦٨) السمراء الثانية ــ الرمح .

(٦٩) فى نسخة (ب) من شعري بها ــ وكذلك يزري بزهرة روضة الغناء راجع/ ص ٥ من النسخة البغدادية .

وقال أيضاً

عَدّ عن زينبٍ وعن اسماء [71] واسقني من سلافة صهباء [72]

خنَدريس كالشمس قد نثر المز ج عليها كواكب الجوزاء

نالها الطرف فى الزجاجة لكن فاتت الكف فهي مثل الهباء

•• وكأن المُدام ذوب عقيق فى كؤوس تجمدت من هواء [73]

وكأن الحباب حين علاها عَرق فوق وجنةٍ حمراء

بنت كرمٍ اذا اللئيم احتساها علّمتْه خلائق الكرماء

إنما لذة الحياة صحاب وشراب على غنى وغناء [74]

من قافية الباء

للروض عند الصباح طيبُ نَمَتْ إلينا به الجَنوب [76]

واستمتع الطرف من كراه ومّلتِ المضجع الجُنوب [77]

والطيرُ فوق الغصون يدعو طاب لكم وقتكم فطيبوا

والكأس فى كف ذي قوام يخجل من لينه القضيب

لولا لباس يقيه طرفي لكان من لحظه يذوب

ما سعد الوالدان فيه الا لتشقى به القلوب [78]

---

(٧٠) راجع مخطوطة/ ن ورقة /٧ ومخطوطة (ب) ص/٩ ومخطوطة (س) ورقة /١ .

(٧١) فى مخطوطة (س) وعن الاسماء .

(٧٢) فى مخطوطة (ب) و (س) من سلافة الصهبآء .

(٧٣) تأخر فى مخطوطة (س) عن الذي بعده .

(٧٤) جاء فى مخطوطة (ب) هكذا : انما لذة الحياة شراب وشباب على غنى وغناء .
وقد سقط من مخطوطة (س) .

(٧٥) سقطت هذه القصدة من (س) ووردت فى (ن) و (ب) .

(٧٦) الجَنوب : الريح القبليه (المصباح المنير) .

(٧٧) الجُنوب : ما تحت ابط الانسان الى كشحه (المصباح المنير) .

(٧٨) فى (ن) ما سعد الولدان فيه .

شمس يغيب الظلام منها إذا بدت وهي لا تغيب
في راحتيه لها شروق وفي الندامى لها غروب
راح إذا الراح ابرزتها صبا الى شربها اللبيب
لها إذا الماء جال فيها في قعر كاساتها وثوب (٧٩)
يجهلها اللامسون لولا بريق لون لها وطيب
إذا سرت في عروق جسمٍ هانت على قلبه الخطوبُ
وقائلٍ : تُبْ فقلت : كلا هيهات عن شربها أتوب
إذا ستقام الأنام طرأ قل لي : لمن تغفر الذنوب ؟ (٨٠)

من قافية التاء

أتسأل ربّع الدار والربع صامتُ وتَرحَل عنه بانياً وهو ثابتُ (٨٢)
وتذري دموع العين في عرصاته وأنّى يرد الدمع ما هو فائت (٨٣)
وليس بمجدٍ فيض دمعك بَعْدهم سوى ان يشي واشٍ ويشمت شامت
عليك بكاسات العقار كانها عقيق على حافاتها الدر نابتُ (٨٤)
الست ترى وجه الصباح وقد بدا منيراً و ناحت في الغصون الفواخت (٨٥)
سانعت بنت الكرم في كل موطن إذا نعت اللائي الطوامس ناعت
واحبب في مدحي لها كل جامحٍ الى ان يقولوا انت للصخر ناحت

---

(٧٩) في (ب) اذا المال جال فيها .
(٨٠) في (ن) لمن يغفر الذنوب .
(٨١) سقطت هذه القصيدة من نسخة (ب) ووردت في (س) .
(٨٢) الربع : المكان ، ومحلة القوم (المصباح المنير) .
(٨٣) جاء في (ن) وانى يراد الدمع هو فائت .
(٨٤) جاء في (س) عليك بكاسات العقار فانها .
(٨٥) الفواخت ـ مفردها فاخته : وهي نوع من الحمام .

من قافية الثاء

صلني فحبل ودادي غير منكتثٍ ... وطرف مذقي فيه غير منبعث (٨٧)

وان تشأ فابلني تعثر على رجلٍ ... مطهر القلب من غشٍ ومن خبث

مَفوّه ناطق بالخير مقوله ... مُنزه عن فضول القول والرفث (٨٨)

لا يستحل حراماً غير كاسِ طلى ... يسعى بها مائس العطفين ذو خنث

ولا يراقب خلقا فى الفسوق ولا ... يروح فى الشرب الا غير مكترث (٨٩)

فاسمع مقالته واقبل نصيحته ... ولا تبال بحد العذل والعبث

خذها مكملة الاجزاء ما نقصت ... بالطبخ حتى اغتدت منه على الثلث

••توعرت سُبلي عن توبتي وسرت ... نفسي الى شُربها فى مسلك دمث (٩٠)

وما ارجّي سوى توحيد خالقنا ... إذا بقيت وحيداً فى دجى جدثي (٩١)

وقال أيضا

وقائلةٍ لا تشرب الخمر إنها ... كما قيل فيها الخمر ام الخبايث (٩٣)

فقلت لها : قد قيل فيها منافع ... وان لم تكفي جئت فيها بثالث (٩٤)

وكم ليلة اقسمت الا اذوقها ... وفى غدها اصبحت فى ثوب حانث (٩٥)

••مدام ثوت فى الدن من عصر ادم ... وجاء عليها ختم شيت ويافث (٩٦)

••إذا ما شربت الراح والهم نازل ... بصدرك فاعلم انه غير لابث

وحسبك من شيء إذا ما شربته ... لهوت ولم تحفل لريب الحوادث (٩٧)

---

(٨٦) وردت فى (ن) و (س) و (ب) .

(٨٧) ورد البيت فى (ن) هكذا .. صلني فحبل ودادي غير مكترث . والمذق : المزج والخلط .

(٨٨) الرفث : الفحش فى القول . (٨٩) جاء فى (س) تروح .

(٩٠) فى (س) تكتب التاء الطويلة دائما تاء مربوطة فتوعرت هكذا (توعرة)!! وقد وردت (دمث) فى (ن) رَمث . والدمث السهل (المصباح) .

(٩١) جاء فى (ن) و (س) و (ب) فى رجا جدثى ــ والجدث (القبر) .

(٩٢) لم ترد هذه القصيدة فى نسخة (ب) ووردت فى (ن) و (س) .

(٩٣) ورد « اعوذ بك من الخبث والخبائث » (المصباح) وهي الكفر والمعاصي .

(٩٤) ورَد فى (س) قلت فيها ...

(٩٥) سقط هذا البيت من نسخة (س) . وحنث ــ نكث . والحِنث ــ الذنب ــ والتحنث : التعبد (المصباح) .

(٩٦) سقط هذا البيت من نسخة (س) .

(٩٧) جاء فى نسخة (ن) لهوت ولم تجفل ريب الحوادث .

من قافية الجيم

افيقا فهــا وجــه الصباح تبلجا — وغارت نجوم الأفق وانحسر الدجى

وجرّ نسيم الريح في الروض ذَيْله — فضاع شذا انواره وتأرّجا [99]

وكان غدير الماء سبطا فمذ هفت — على متنــه ريح الشمال تدرجــا

وناحت على الاوراق ورق حمائم — يهجن خليات لي الشجو والشجا

فقوما اصرفا بالصرف همي وافتحا — بكاساتها بابا الى اللهو مُرتجا [100]

فمن ضلّ عن لذاته واهتدى بها — رآها الى اللذات اوضح منهجا

مداماً إذا شجت بدا من شــعاعها — ضياء يعيد الليل صبحاً وقد دجا [101]

كأنّ الحميا في الزجاجة شــعلة — متى اخمدت بالماء زادت تأججا [102]

اعاذل لو شاهدت هذا لقلت لي — أراني الى التفنيد دونك احوجا [103]

وكيف ارى تركي المدام وقد أرى — غزالاً يدير الكاس ابلج ادعجا [104]

يكاد قضيب البان ينقد اذ مشى — بثقل كثيب الردف لما تموّجا [105]

..فكيف إذا ما وَسدَ الكفَ خدّهُ — وانشد عوجا بالمطي وعرّجا [106]

وجال الكرى في مقلتيه وتعتعت — يدُ السكر من الفاظه ما تلجلجا [107]

إليك فمــا يؤذيك فسقي بشربها — إذا كنت انت الناســك المتحرجا

اخاف وارجــو الله ربي ولم يخب — فتى راح بين الخوف لله والرجــا

---

(٩٨) وردت فى (ن) و (ب) وقسم منها فى (س) .

(٩٩) ضاع ، وتأرج ــ انتشرت رائحته ــ والشذا ــ العطر .

(١٠٠) من هذا البيت تبدأ القصيدة فى نسخة (س) وســقط ما قبلها . والمرتج المغلق .

(١٠١) دجا : أظلم .

(١٠٢) الحُميا : الخمرة . وجاء فى (ن) نادت تأججا ــ وقد ســقط من من نسخة (ب) .

(١٠٣) فى نسخة (ن) أراني الى التقييد .

(١٠٤) فى (س) وقد راى غزال . وقد كثر هذا النوع من الخطأ فى هذه النسخة .

(١٠٥) ورد هذا البيت فى (س) و (ب) هكذا :
«يكاد قضيب القــدّ ينقد اذ مشا »

(١٠٦) ورد فى (س) « فكيف اذا ما وسد الكف خده وأنشد عوجا بالمطي وحرجا »

(١٠٧) تعتع : حرّك بشدة .

وقال أيضاً

تحلّت بالازاهير المروجُ ... وطاب الوقت وانجلت الثلوجُ
وللاطيار فى الاشجار من بعد ... طول سكوتها فيها ضجيج
وقد هب النسيم فعاد درعاً ... وكان مهنداً قبل الخليج (١٠٩)
الاقمْ فاسقني ما عتقته ... قديماً فى خوابيها العلوج (١١٠)
شموس ما بدت الا وغابت ... هموم فى حيازمنا تهيج (١١١)
مشارقها زجاجتها وفينا ... مغاربها وايدينا البروج (١١٢)
تفاها اللّمس لما شعشعوها ... واثبتها التلألؤ والاريج (١١٣)
كأن الراح فى الاقداح نار ... لها نور وليس لها اجيج (١١٤)
.. أعوج الى دساكرها ومثلي ... الى غير الدساكر لا يعوج (١١٥)
وابكيها ولا ابكي دياراً ... محا آثارها الخطب المريج (١١٦)
واصبو للمدامة حين تجلا ... ولا اصبواذااشتجر الوشيج (١١٧)
يطوف بها على الندماء ساق ... غضيض الطرف مغناج بهيج (١١٨)
دقيق الخصر يُقعده اذا ما ... اراد قيامه كفل يموج (١١٩)

---

(١٠٨) وردت فى (س) و (ب) و (ن) .
(١٠٩) جاء فى (ن) منعا ذرعا . المهند : السيف .
(١١٠) العلوج : مفردها علج : الرجل الضخم من الاعجام .
(١١١) الحيزوم : وسط الصدر : جمعها (حيازم) وحيازيم .
(١١٢) البرج : جمعها بروج ــ الكواكب العظيمة .
(١١٣) الاريج : الرائحة الطيبة .
(١١٤) أجّت النار : توّج : اجيجا : توقدت .
(١١٥) الدساكر : مفردها دسكرة : القرية .
(١١٦) المريج : المختلط
(١١٧) الوشيج : الرماح .
(١١٨) بهيج : مسَر .
(١١٩) الكفل : العجز أو الردف .

من قافية الحاء

منـــادى الصبح نادى للصَّبوح ... وجُنح الليل ولّى للجنوح[121]

كان الفجــر يبـــدو فى دجــاه ... رها بين تُبدثٌ فى مسوح[122]

وقــد بعثت إلينا الروض ريّــا ... كري المسك فى نسمات ريح[123]

وغنتنا عــلى العيـــدان عجـــم ... فاغنتنا عــن الشـــادي الفصيـــح

.. مـــدام او دعتهـــا فى دنـــانٍ ... مقيّرة لعـــــادٍ قـــوم نـــــوح

وخذ كاســـاتها مـــلآى جهـــاراً ... ودعني من خرافـــات النصيـــح

وان شـــابوا خمورهـــم بمـــاءٍ ... فلا تشرب سوى الخمر الصريح

فان يك عنـــدنا اضحت حرامـــاً ... فدونكهـــا على دين المســـيح

من قافية الخاء

الا فاسقياني من معتقةِ الـــكرخ ... ولا تفـسداها بالمزاج ولا الطبخ

ولا تحضر الشطرنج بين كؤوسها ... فلذاتها تغني عن الشاه والرّخ[125]

مدام يعيد الليل صبحاً كؤوسها ... إذا شعشعت والليل فى حُلل فتخ[126]

إذا ما بدت فى مجلس خلت جذوة ... تو ّقد فى الكاسات من غير ما نفخ[127]

فعف ّ بها آثـــار همـــك إنهـــا ... تؤول بآيات الهموم الى النسخ[128]

وهات كبيرات الكؤوس فانهـــا ... على عجل اعضاء شـــاربها ترخي

فما العذر مقبول على ترك شربها ... إذا كنت من عصر الشبيبةِ فى شرخ

هي الغاية القصوى فان انت زدتها ... سماعاً ومشموماً فبخٍ على بخ[129]

---

(١٢٠) وردت فى (س) و (ن) و (ب) وفى (ن) و (ب) فادى بالصبوح .

(١٢١) ورد فى (ب) كأن الصبح ..

(١٢٢) المسوح : الكساء من الشعر .

(١٢٣) الرَّيا : الريح الطيبة .

(١٢٤) وردت هذه القصيدة فى (س) و (ن) فقط .

(١٢٥) الشاه والرخ : من حجارة الشطرنج .

(١٢٦) الفتخ : الضعف والاسترخاء واللين .

(١٢٧) الجذوة : الجمرة الملتهبة .

(١٢٨) النسخ : الازالة .

(١٢٩) بخ : اسم فعل ــ للمدح واظهار الرضى بالشيء ــ ويكرر للمبالغة

من قافية الدال

حُييت مَعهد جلّق من معهـدِ ... بحيا يروح على رباك ويغتدي[131]
وتعهدت عهد الصبا فيك الصَبا ... جرورة الاذيال فى الروض الندى[132]
كـم من لبانات (بلبنان) أنقضت ... محمودة لو انها لم تنفـذ[133]
ومآرب (بالنيرب) استمتعت من ... فوزي بهن بانعم لم تعـدد[134]
ايـام ابراد الشـباب قشيبـة ... والعيش غض العود عذب الورد
والسعد مقتبل وبـدر الجـدَّ ... مكتمل وعقـد الشمل لم يتبدد
يا صاح يا صاح انتهز فرص الصبا ... لاتتركن يوم السرور الى غـدِ
بـادر مفاجأة الزمـان ولا تكن ... فى غفلة عن خطبه فكان قدِ[135]
والراح مفتاح السـرور فهاتهـا ... جهراً ولا تحفـل بقول مفنـد
أو ما ترى زهر الربيع وقد بـدا ... ما بين منثور وبين مُنَضَّد[136]
فى ابيض يقـق واصفـر فاقـع ... مع احمرٍ قان يشاب باسود[137]
والريـح بين تشـامل وتجـانب ... والمـاء بين تسرح وتجعّد[138]
بنيبا تراه ســارحاً كمهنـدٍ ... حتى يغادره الصَبا كالمبرد[139]
والـدوح بـين مقـوم ومـأود ... والطير بين مصفق ومغرّد[140]

---

(١٣٠) وردت فى (س) و (ن) و (ب) .

(١٣١) الحياة : المطر . وجلق : دمشق .

(١٣٢) الصبا : الشباب . والصَّبا : بالفتح : الريح الشرقية .

(١٣٣) نفذ : نفذا ــ ونفاذا ــ فرغ وانقطع وفني ــ واللبانات جمع لبانه ــ

(١٣٤) المآرب : الغايات : النيرب : اسم مكان ــ فى سورية .

(١٣٥) قدي : حسبي

(١٣٦) المنثور : نبات ذو زهر ذكي الرائحة : المُنضَّد : المتَسق .

(١٣٧) اليقق : شـديد البياض . الفاقع الصافي . القاني : الشـديد الحمرة . يشاب : خليط .

(١٣٨) التجعد : ضد السبط . والاسترسال .

(١٣٩) المهند : السيف المعقول .

(١٤٠) الدوح : الشجر الملتف : المفرد المغني .

من كل ساجعةٍ بعود اراكةٍ تغني بحسن غنائها عن مَعبد[١٤١]
والعشب بين مسندس ومصندل والزهر بين مفضغضٍ ومعسجد[١٤٢]
وكانما الازهار در قلائد قد شذرت بعقائق وزبرجد[١٤٣]
وتركبت تلك الجواهر قدها وقوامها من فوق قضب زمرد[١٤٤]
وكانما نشرت ملاحف سندس خضرٍ لصون الجوهر المتبدد[١٤٥]
وكانما نور الاقاحي باسماً ثغر تبسم ضاحكاً فى موعد[١٤٦]
وكانما زهر البنفسج إذ بدى اثار قرص فى خدود الخرّد[١٤٧]
وكان منثور الرياض كتيبة رومية صلبانها من عسجد[١٤٨]
وكانما نبت الشقايق وجنته حمراء فيها نقطة من اثمد[١٤٩]
وكانها والطلّ فيها حائر" دمع" تحيرّ فى محاجر أرمدِ[١٥٠]
وكانما ورد الغصون مضرجاً وجنات مصقول الترائب أغيد[١٥١]

---

(١٤١) معبد ــ من مغنى العرب المشهورين فى العصر الاموي ١٢٦هـ/٧٤٣م. الاراك شجر كثير الورق والاغصان.

(١٤٢) الصندل : شجر معروف . والسندس . نوع من الديباج أو الحرير . العسجد : الذهب .

(١٤٣) الزبرجد : حجر كريم لونه أخضر (العقيق : خرز أحمر .

(١٤٤) زمرد : حجر كريم شفاف شديد الخضرة .

(١٤٥) الملاحف : الملابس التي يتغطى بها .

(١٤٦) الاقاح : جمع الاقحوان : أوراق زهرة مفلّجه يشبهون بها الاسنان.

(١٤٧) البنفسج : زهر طيب الرائحة . الخرد : جمع خريدة اللؤلؤة لم تثقب .

(١٤٨) المنثور : زهر طيب الرائحة . الكتيبة جمعها كتائب القطعة من الجيش . أو الجماعة .

(١٤٩) الشقائق : شقائق النعمان ــ زهر احمر بنقط سوداء ــ الاثمد الكحل .

(١٥٠) الطل : المطر الضعيف .

(١٥١) الترائب : عظام الصدر ــ الاغيد ــ مؤنث غيداء ــ من لانت اعطافه . ومالت عنقه .

وكان لؤلؤ طله من فوقه — واتت ذكاء بنورها المتوقد[153]

قم فاسقني واشرب فقد ولى الدجى — عرَق تكلل فوق وجنة أمرد[152]

ودعا الصباح الى الصبوح فكن فتىء — يلقى الى داعيه فضل المِرفد[154]

•• من بيت خمار ترى ابريقه — ملآن ان يركع لكاس يسجد[155]

مما اصطفوه (بحمص) وما عتقوه — (بصيدنايا) أوجنوه (بصرخد)[156]

واستجلها من كف اغيد ما اثنى — الا وأزرى بالقضيب الاملد[157]

وردية فى الكأس تحسب انها — معصورة من خده المتورد

قافية الياء[158]

وهي آخر الديوان

سقى الله اياماً مضت ولياليا — روائح تروي تربها وغواديا

ليالي اطلقت العنان مع الهوى — ورحت بها فى ربقة الذنب غانيا

فيا طيبها لو لم تكن قلائلا — ويا حسنها لو لم تكن فوانيا

زمان شبان لو يباع قليله — باكثر هذا الشيب ما كان غاليا

خليلي عفت الكأس كالشمس تجتلى — على راح بدر راح للراح ساقيا

عقار تشفى من كل همٍ مدامها — وحسبك شيئاً من اذى الهم شافيا

ولكن إذا ما الشيب خيم شاب من — لذاذاتها ما كان من قبل صافيا

فصدّ كؤوس الراح عني فانني — أتاني نذير الشيب عنهن ناهيا

---

(١٥٢) الامرد : الشاب الذي طرّ شاربه ولم تنبت لحيته .

(١٥٣) ذكاء : اسم من اسماء الشمس . الدجى الظلام .

(١٥٤) المرفد : القدح الضخم جمعه مرافد . الصبوح ــ ما اكل وشرب صباحا .

(١٥٥) الابريق ــ معرب جمعه اباريق اناء الخمرة .

(١٥٦) من بلاد الشام اشتهرت بجودة الخمور .

(١٥٧) الأملد ــ والاملود الناعم من الناس والغصون .

(١٥٨) وردت هذه القصيدة فى (ن) و (ب) أما فى نسخة (س) فاخر الديوان هي القصيدة التي مطلعها : يا سَمياً لنبي جاءه الحكم صبيا .
وقد سقطت ابيات منها من نسخة (ن) ويظهر فيها الشاعر ذلك الانسان التائب المكفر عن اخطائه ، المعترف بالواقع .

آمن بعد مالاح المشيب بعارضٍ ... أراني الى شرب المدامة صابيا[١٥٩]

فان قلتما فيها منافع للورى ... ففيها من الآثام ماليس خافيا[١٦٠]

فاولها امّ الخبائث سميت ... فلا تطلبا من بعد ذلك ثانيا

تُحسن للمرء القبيح فينثني ... إليها انثناء الليث أصبح ضاريا[١٦١]

وان قلتما منفى الهموم فانني ... ارى شربها مازال للعقل نافيا

ويا ليت شعري ما يراد من امريء ... غدا من شعار الدين والعقل عاريا

سأبكي ايامي المواضي بشربها ... واندب اوقاتاً مضت ولياليا

وادعو بمحو الذنب فى كل موطنٍ ... آلهي عساه ان يجيب دعائيا

* * * * * *

وفى النسختين (النمساوية) (والبغدادية) نجد ان الناسخ قد اثبت الابيات التالية بعد ان تمّ الديوان قال فى نسخة بغداد من ابيات :

هـذا كتاب جليل ... له لدنيا مَحل

.. فحبذا من كتاب ... هو الكتاب الأجلُّ

فيه من الهجر قول ... لنا بما قال فعل

.. فتارة هو عذل ... وتارة هو عدل

من كل معنى غريب ... وبعض معناه كل

ابليس يقصر عنها ... وعن مداها يكلّ[١٦٢]

يُصغّر الذنب حتى ... يرى به الصعب سهل

وجاء فى نهاية نسخة (النمسا) هذان البيتان :

تَمّ الكتاب تكاملت ... نِعَم السرور لصاحبه

وعفى الآله بفضله ... وبجوده عن كاتبه

* * * * * *

---

(١٥٩) صَبَ ـ يصبو اليه . مال اليه ـ والعارض ـ صفحه الخدّ .
(١٦٠) الورى . الناس . الخلق ـ الآثام . الخطايا .
(١٦١) الليث : الاسد . الضاري . المفترس .
(١٦٢) وردت (ابليس يرقص منها) وقد صححها الناسخ فى نسخة (ب) .

اما قصائده المتفرقة فى كتب من ترجموه فقد عثرنا على بعض منها فى بعض المخطوطات المحفوظة (بمكتبة المتحف العراقي) بمجموعات شعرية ، وهي متنزعة من ديوانه ، أما ما ذكره (ابن الجوزي) كما مرّ ، و (ابن شاكر الكتبي) فهو خارج عن ديوانه (مفتاح الافراح) •

متفرقات

قال يعاتب صديقاً له : (١٦٣)

سالتك حاجة ووثقت فيها   بقول نعم • وما فى ذاك عابُ
ولم اعلم بانك من اناسٍ   ظموا ُ قلبي وعندهم الشراب(١٦٤)

وقوله فى المعنى :

ظننتُ به الجميل فجئت أرضى   إليه بهمتي طولاً وعرضا
فلما جئته الفيت شخصاً   حمَى عَرَضاً له واباح عِرضا(١٦٥)

وله فى غلام جميل الصورة لابس اصفر :

قد قلتُ لما ان بَصُرتُ به   فى حلة صفراء كالورس (١٦٦)
او ما كفاه أنه قمر   حتى تدرع حلة الشمس

* * *   * * *

•• هذا هو ديوان الكاتب الوزير الشاعر (عبدالمحسن بن حمود التنوخي الحلبي) •

أضع جانباً منه فى هذه الدراسة التي توخيت فيها الأختصار ، حتى يتكامل تحقيقه • وتصلح اخطاؤه ، ويستقيم معوّجه • وما غايتي الا الغرض العلمي ، والمقصد السليم • لاني أحسب ان اظهار أيّ اثر ادبي

---

(١٦٣) راجع/ الوافي بالوفيات ج/٢ ص/١٢٤ وما بعدها .
(١٦٤) الظمأ ـ العطش .
(١٦٥) العَرض : المتاع والمال . والعِرض : الشرف والحسب .
(١٦٦) الورس : نبات كالسمسم اصفر اللون يكثر فى اليمن ويصبغ به .

أو علمي او شـعري الى عالـم الوجـود ، والنشر ، من بين الرفوف ، والخزائن ، والزوايا المظلمـة • انما هو احياء ، وتجـديد لحياة ذلك الاديب ، والشاعر ، والعالم ، اما مدى أثره فى نفوس القراء والباحثين ، وقيمـة محتوياته فى ميزان النقـد والبحث ، فيترك الى معارفهـم ، واختصاصاتهم ، ورغباتهم ، واتجاهاتهم ، وأثره فى قلوبهم واذهانهم ، والى الزمن ، والعصر والتاريخ الذي تختلف فيه الاذواق ، وتتفاوت الرغائب• وتتباين الاساليب •

كلية الآداب ــ جامعة بغداد ــ الدكتور محسن جمال الدين



أهم المصادر والمراجع

التسلسل	المصدر	مؤلفه	طبعته
١	آداب اللغة العربية	جرجي زيدان	القاهرة / ١٩٣١
٢	اخبار الاعيان فى جبل لبنان	للشدياق	بيروت / ١٨٥٩
٣	الاعلام	خير الدين الزركلي	القاهرة / ١٩٥٩
٤	إيضاح المكنون	اسماعيل باشا البغدادي	استانبول / ١٩٤٥
٥	تاريخ الأدب العربي	كارل بروكلمن . C. Brockelmann	ليدن / ١٩٣٧
٦	تطور الخمريات فى الشعر العربي من الجاهلية الى ابي نواس .	الدكتور جميل سعيد	القاهرة / ١٩٤٥
٧	التعريف بالمؤرخين فى عهد المغول والتركمان .	المحامي عباس العزاوي	بغداد / ١٩٥٧
٨	الحياة الأدبية فى عصر الحروب الصليبية بمصر والشام .	الدكتور احمد احمد بدوي	مصر / ١٩٥٤

أهم المصادر والمراجع (تابع ما قبله)

التسلسل	المصدر	مؤلفه	طبعته
٩	الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام	الدكتور احمد احمد بدوي	مصر / ١٩٥٢
١٠	فهرس المخطوطات العربية بمكتبة برلين	W. Ahlwardt	برلين / ١٨٨٧
١١	فهرس المخطوطات العربية بمكتبة فينا	G. Flügel	فينا / ١٨٦٥
١٢	فهرس المخطوطات العربية بمكتبة المتحف البريطاني	A. G. Ellis	لندن / ١٩١٢
١٣	فهرس المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية	دار الكتب المصرية	مصر / ١٩٢٧
١٤	القيثارة	جماعة الشعر الجديد	اللاذقية / ١٩٤٦
١٥	كشف الظنون	حاجي خليفه	استانبول / ١٩٤١
١٦	مأمون بنى ايوب	الدكتور احمد احمد بدوي	مصر / ١٩٥٣

أهم المصادر والمراجع (تابع ما قبله)

التسلسل	المصدر	مؤلفه	طبعته
١٧	مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامي	السيد امير علي	القاهرة / ١٩٣٨
١٨	المخطوطات العربية فى مكتبة المتحف العراقي	كوركيس عوّاد	بغداد / ١٩٥٨
١٩	معجم المؤلفين	عمر رضا كحالة	دمشق / ١٩٥٨
٢٠	هدية العارفين	اسماعيل باشا البغدادي	استانبول / ١٩٥١
	المصادر القديمة		
٢١	الديارات	للشابشتي تحقيق الاستاذ عوّاد	بغداد / ١٩٥١
٢٢	الشاهنامه	البنداري ـ تحقيق المرحوم الدكتور عبدالوهاب عزّام	القاهرة / ١٩٣٢
٢٣	شذرات الذهب	لابن العماد الحنبلي	القاهرة / ١٣٥١
٢٤	القاموس المحيط	للفيروزبادي	مصر / ١٣٤٤
٢٥	مختار الصحاح	الرازي	بولاق / ١٣١٧
٢٦	مراصد الاطلاع	لعبدالمؤمن البغدادي	مصر / ١٩٥٤

اهم المصادر والمراجع (تتمة)

التسلسل	المصدر	مؤلفه	طبعته
٢٧	المصباح المنير	للفيومي	مصر / ١٩١٣
٢٨	معجم البلدان	للحموي	بيروت / ١٩٥٥
٢٩	مُفرج الكروب	لمحمد بن واصل نشر الدكتور جمال الدين الشيال	القاهرة / ١٩٦٠ بيروت / ١٩٥٥
٣٠	لسان العرب	ابن منظور	
٣١	النجوم الزاهرة	لابن تغرى بردي	القاهرة / ١٩٣٦
٣٢	وفيات الاعيان	لابن خلكان	القاهرة / ١٩٤٨
	المخطوطات		
٣٣	مخطوطة النمسا	فينا	رقم / ٤٦٣
٣٤	مخطوطة بغـداد	بغداد (المتحف العراقي)	رقم ٣٣٧/ ورقم ١٤٢٥
٣٥	مخطوطة سورية	اللاذقية (فى خزانتي)	رقم / ٥
٣٦	مخطوطة مجموعة اشعار	بغداد ـ المتحف العراقي	رقم / ١٨٨٧
	المجلات		
٣٧	لغة العرب	الأب الكرملي	بغداد السنة الاولى / ١٩١١

الأقواء في الشعر الجاهلي

نوري حمودي القيسي
معيد في قسم اللغة العربية

استوقفتني – وأنا أطالع الشعر الجاهلي – ظاهرة الاقواء ، الظاهرة العروضية التي تطرق اليها العروضيون ، فاعتبرها قسم منهم عيباً ، وخالفهم في ذلك القسم الآخر ، واشتبهت على البعض الآخر منهم فضمها الى عيب آخر من عيوب القافية . حتى أخذت المسألة اشكالاً متباينة في البحث ، ودخلت مجالات جدلية وكلامية بعيدة ، شأنها في ذلك شأن بقية المسائل النحوية والبلاغية .

وقد حاولت وأنا أقرأ هذا الشعر – ان أجمع كل ما وردت فيه هذه الظاهرة ، سواء أكان ذلك نتيجة خطأ الرواة في النقل – كما يذكر – ، أم جهل الشعراء بقواعد الشعر الدقيقة ، أم غير ذلك من الآراء التي سأتطرق الى ذكرها خلال البحث .

وقد وجدت نفسي لا أستطيع الحديث عن الاقواء بمعزل عن التفهم الواعي لحقيقة الشعر الذي بين أيدينا وأوليته ، ومعرفة تاريخ القصيدة العربية ، بأوزانها ومضامينها وأجزائها ، وبالتالي ، التطرق الى آراء العروضيين الذين تلمسوا له العلل والاسباب ، لتتضح لنا الصورة التي وصلت الى أيديهم ، ومن ثم الحكم على هذه الظاهرة من خلال تلك الاحكام والمناقشات التي دارت حولها .

انه لم يعد خافياً على مؤرخي الأدب ، ان الشعر الجاهلي ترجع بدايته الى خمسين ومائة عام ، أو مائتي عام قبل الاسلام ، ولم تعد هذه النظرية تجد مجالها في الاوساط العلمية التي تستند الى البحث العلمي الدقيق ، فالذي تؤكده هذه الاوساط ، ونستطيع أن نطمئن اليه ، هو ان الشعر

الجاهلي لم يكن بدائياً الى هذه الدرجة ، بل هو ثمرة ناضجة لمراحل سابقة من تطور الفن الشعري عند قبائل شبه الجزيرة العربية خلال أجيال طويلة ، وان الالتماعات الابداعية الرائعة التي نلمسها في الشعر الجاهلي لدليل ساطع على رقيّ هذا الشعر ومستواه الفني الرفيع •

كما ان النمو الطبيعي للقصيدة العربية ، بأوزانها ، وموضوعاتها ، ومضامينها تستدعي أن تكون هذه القصيدة قد مرّت بأطوار كثيرة ، تعثرت خلالها تعثرات صعبة ، ووقفت أمام عوائق صلدة ، حتى كتب لها هذا الاكتمال الشامل ، لاننا لو رجعنا الى القصائد الطويلة في الأدب الجاهلي ، لوجدنا انها تأخذ نمطاً معيناً في التعبير والأداء ، وكأن الشعراء كانوا يحرصون على أسلوب موروث فيها ، وكانت تقتضي فيه انماطاً تقليدية سائدة ، فهي بذلك تكون أبعد غوراً في أعماق التاريخ ، وأكثر ايغالاً في ثناياه ، مما صوره لنا البعض ، ورسمته لنا أخيلة النقاد القدامى •

ان القصائد الجاهلية التي بين أيدينا جديرة بالاعجاب ، لانها تنبىء عن ثمرة صناعة طويلة ، لان الشعر ديوان العرب — منذ أن عرفوه — تعرّض لأيامهم ، وحروبهم ، وأنسابهم ، ومفاخرهم ، وعقائدهم ، وكل ما له صلة بهم قبل الاسلام • ومن هنا فهو الاصل الذي بني عليه الشعر العربي في مراحله جميعاً ، لانه أرسى عمود الشعر وثبّت نظام القصيدة ووضع الاصول الاولى للفن الشعري المعروف •

فشكل القصيدة التقليدي يتكون من عدد الابيات التي تتضمنها القصيدة ، وقد تطول هذه الابيات وتقصر ، أما من ناحية الشكل الموسيقي ، فالبيت هو الوحدة الموسيقية القائمة بذاتها ، ومن تكرار هذه الوحدات الموسيقية يتكون الهيكل الكامل لشكل القصيدة [١] •

والبيت بدوره يتألف من وحدتين موسيقيتين ، احداهما تكرار للاخرى ، تتفق في الحركات والسكنات ، وتخضع لقانون الزمن : الوزن وقياس

---

(١) الدكتور عزالدين اسماعيل : التفسير النفسي للادب ص ٧٧

الوقت ، ـ وان كانت الوحدة الثانيـة مختلفة عن الاولى بتوقيع خـاص في نهايتها ـ وهو ما أطلق عليه العروضيون « القافية » •

ان تكرار الوزن في كل بيت يحفظ للقصيدة وحدتها الموسيقية ، كما ان وحدة « القافية » حفيظ لهذه النغمة التي تنتهي بها الابيات جميعاً ، ذلك الايقاع الموسـيقي المهيمن على أوزانه العامة ، والتي تخلق فيه ذلك الحماس المتوازي النغمات ، الذي يربط الشعر بالغناء ربطاً وثيقاً ، ويشدّ القافية شداً محكماً بتلك الايقاعات الموسيقية •

لقد اقترن الشعر العربي بالغناء منذ عصوره الاولى ، وقد بقيت مظاهر الغناء ملازمة له ، واضـحة في هيكله ، ولعل توقيع القافيـة ورتابة الروي ، أهم تلك المظاهر ، لانها بقية العزف ، وانها لتعيد للاذن تصفيق الأيدي وقرع الطبول ونقر الدفوف ، كما تعيد ذلك شارات اخرى للغناء تجدها في الشعر القديم ، منها هذا التصريع الذي نجده في مطالع القصائد [٢] •

فالاوزان الشعرية التي روي بها الشعر الجاهلي انتظمت جميع أنحـاء الجزيرة ، وجميع أوسـاطها ، وأصبحت موسـيقى الشـعر محببةً الى كل الآذان ، ولسنا نعني بهذا أن آذان العامة كانت تشعر بدقائق الوزن الموسيقي في البيت من الشعر كما كانت تشـعر به آذان الخاصـة منهم • بل ربما كان الاعرابي يروي البيت مكسوراً وهو لا يشـعر بخلل في وزنه ، ولكن هذا يتصور حين يكون الخلل دقيقاً لا تفطن اليه الاذن المرهفة •

وكل الذي ندعو الى تصـوره ، هو أن العربي كان يشـعر بميل الى الوزن الموسيقي في شعر شعراء العرب ، ويستريح اليه ، ويجد في مقاطعه انسجاماً دون أن يدري تفاصيل هـذا الانسـجام ، كما كان الشـعراء حتى الأقدمون منهم يشعرون بهذه التفاصيل شعوراً قوياً ، ويعرفونها معرفة تامة ، فهي الطريق الذي رسمته لهم الاجيال السالفة ، حتى صارت الى ماصارت اليه في العصور الجاهلية [٣] •

---

(٢) الدكتور شوقى ضيف : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ٤٧

(٣) الدكتور أنيس ابراهيم : موسيقى الشعر ص ١٨٤

هذه الرتابة في الروي ، وهذا التوقيع المنظم في القافيـة ، هو الذي أوحى للخليل بن أحمد فكرة العروض ، ولا بد أن يكون الخليل قد وهب حساً موسيقياً ، وملكة منظمة أدركت الايقاع الشعري ، فوضع لكل قصيدة بحراً ، واتخذ وحدة موسـيقية يقيس عليها الابيات ، ثم وجد للقافيـة أثراً واضحاً في موسـيقى الشـعر ، لانها تكوّن الجزء المهم منها ، وانها تتضـمن الروي الذي تنسب اليه القصيدة ، وتنعت به ، فدرسها دراسة متقنة ، ودقق فيها تدقيقاً شاملاً •

وقد أفردت معظم كتب العروض باباً للقوافي ، تطرقت فيه الى حروفها ، وحركاتها ، وأنواعها ، وحدودها ، وعيوبها [٤] •

فحروفها سـتة : الروي والتأسيس والردف والوصـل والخـروج والدخيل ، وحركاتها ست : الرس والاشـباع والحذو والتوجيه والمجرى والنفاذ • أما أنواعها ، فالقوافي كلها مطلقـة أو مقيدة • وحدودها خمسـة باعتبار ما تحرك منها بين السـاكنين الاخيرين في القافية ، ولايضـاح هذه المسائل يرجع الى كتب العروض والشعر ، لانها فصّلت ذلك تفصيلاً كاملاً •

وقد اختلف القدماء في تحديد مفهوم القافية ، فهي عند الخليل من آخر حرف في البيت الى أول سـاكن يليه مع المتحرك الذي قبل السـاكن ، مثل « تـابـا » من :

اقلّي اللوم عاذل والعتابا

وعند الأخفش آخر كلمة في البيت مثل « العتـابـا » بكمالها ، وعند أبي علي قطرب وأبي العباس ثعلب ، الروي • وعن بعضهم ان القافية ، هي البيت ، وقال البعض الآخر هي القصـيدة ، وحق هذا القول ان يكون من باب اطـلاق اللازم على الملزوم ، وباب تسـمية المجموع بالبعض كقولهم : كلمة الحويدرة لقصيدته [٥] •

---

(٤) معروف الرصافي : الادب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ص ٩٩ــ١٠٠

(٥) السكاكي : مفتاح العلوم ص ٢٧٠

وقد ظهرت ـ قديماً وحديثاً ـ محاولات شتّى لتفتيت الصورة الموسيقية التقليدية للقصيدة العربية ، وكانت معظم هذه المحاولات مصبوبة على الوحدة الموسيقية للقصيدة ، والخروج من أطارها ، وعلى القافية التي تلتزم الابيات، وفي هذه الحالة تفتيت للبناء الذي قامت عليه القصيدة ، وسلكته منذ أقدم عصورها • ولا أريد أن استعرض المحاولات التي جرت في ذلك ، والتي اعتبرت القافية خنقاً لأحاسيس الشعراء ، وحجر عثرة أمام انطلاقهم نحو بناء الملاحم ، ووأداً للمعاني المتجاوبة في صدورهم ، لان ذلك يدفعنا الى مناقشة كل رأي ، وهذا ما لا نريده في هذا المجال [٦] •

والذي يهمنا من موضوع القافية عيوبها ، وعيوب القافية تكون على نوعين :

أحدهما يلاحظ فيه الروي والمجرى (أي حركة الروي) • والآخر يلاحظ فيه ما قبل الروي من الحروف والحركات ، ويسمى السناد [٧] •

وعيوب الروي أربعة : الاكفاء والاجازة[٨] وهما يقعان في الروي ، والاقواء والاصراف وهما يختصان بالمجرى ، أي بحركة الروي •

أما الاقواء ـ وهو مدار حديثنا ـ فهو رفع بيت وجرُّ آخر[٩] ، أو اختلاف حركة المجرى ، والمجرى حركة حرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة كقول امريء القيس :[١٠]

الاعِمْ صباحاً أيها الطلل البالي وهل يَعِمَنْ من كان في العُصُرِ الخالي

---

(٦) محاولة الاندلسيين (في الموشح وما تفرع عنه) ، ومحاولة شعراء المهجر ، ومحاولة أصحاب (الشعر الحر) بعد الحرب العالمية الثانية •

(٧) معروف الرصافي : الادب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه ص ٩٩ـ١٠٠

(٨) وقال أبو اسحاق النجيرمي : الاجارة بالراء لاغير ، وهي من الجوار ، وهو الموج ، قال ابن السكيت : وهو الماء الكثير ، وأنشد للقطامي يذكر سفينة نوح عليه السلام : ـ « ولولا الله جار بها الجوار » • قال المهلبي : ورأيته بخط الطوسي والسكري بالراء وهو قول الكوفيين ، فأما البصريون فيقولون الاجازة • العمدة : ابن رشيق جـ١ ص ١٤٣

(٩) المرزباني : الموشح ص ١٤

(١٠) امرؤ القيس • الديوان / ٢٧

فكسرة اللام هي المجرى ، فان اختلف ذلك فهو عيب ، وهو الاقواء .
واشتقاقه – كما يروي النحاس – من « أقوت الدار » اذا خلت ، كأن البيت خلا من هذا الحرف . وقال غيره : انما هو من « أقوى الفاتل حبله » اذا خالف بين قواه فجعل احداهن قوية والاخرى ضعيفة ، أو ممرة والاخرى سحيلة ، أو بيضاء والاخرى سوداء ، أو غليظة والاخرى دقيقة ، أو انحل بعضها دون بعض أو انقطع .

وذكر صاحب الموشح[10] عن محمد بن العباس قال : حدثنا محمد ابن يزيد النحوي ، قال : حدثني الجَرْمي قال : قال الخليل بن أحمد : رتبت البيت من الشعر ترتيب البيت من الشعر – يريد الخباء – قال : فسميت الاقواء ما جاء من المرفوع في الشعر والمخفوض على قافية واحدة كقول النابغة : [11]

زعم البوارح أن رحلتنا غداً   وبذلك خبّرنا الغرابُ الاسودُ
لا مرحباً بغدٍ ولا أهلاً به   ان كان تفريق الأحبّة في غدِ

قال : فيروى أن النابغة فَهِم ذلك فغيّره ، قال : وانما سميته أقواءً لتخالفه ، لأن العرب تقول : أقوى الفاتل اذا جاءت قوّة من الحبل تخالف سائر القوى .

وعن محمد بن سلام[12] قال : الاكفاء : هو الاقواء مهموز ، وهو أن يختلف أعراب القوافي ، فتكون قافية مرفوعة واخرى مخفوضة أو منصوبة ، وهو في شعر الاعراب كثير ، وهو فيمن دون الفحول من الشعراء أكثر ، ولا يجوز لمولّد ، لانهم عرفوا عيبه ، والبدوي لا يأبه له فهو أعذر .

وقال أحمد بن محمد العروضي قال : الاقواء رفع قافية وخفض اخرى وذلك معيب[13] ، وقيل ان من الناس من يجعل الاكفاء بمعنى الاقواء ،

---

(١٠) المرزباني : الموشح ص ١٩
(١١) النابغة الذبياني : الديوان ص ٣٨ طبع صادر
(١٢) المرزباني : الموشح ص ٢٢

ومنهم من يجعله اختلاف الحركات قبل الروي ، وقيل ان السناد هو أيضاً فساد في القافية ، وقد جعله قوم بمنزلة الاقواء والاكفاء .

وذكر المرزباني عن محمد بن سلام قوله[14] لم يُقوِ أحد من الطبقة الأولى ، ولا من أشباههم الا النابغة في بيتين قوله :

أمن آل مية رائح أو مُغتـد عجلان‌ذا زادٍ وغيرَ مُزوّد

زعم البوارح ان رِحلتنا غداً وبذاك خبرنا الغراب الاسودُ

وقوله :

سقط‌النصيف، ولم تُردْ اسقاطه فتناولتـه واتقتنـا باليـد

بمُخَضّب رَخْصٍ ،كأنّ بنانه عَنَمٌ ، يكاد من‌اللطافة يُعقَدُ

فقدم المدينة ، فعيب ذلك عليه ، فلم يأبه له‌حتى أسمعوه اياه في غناء . وأهل القرى الطف نظراً من أهل البدو ، وكانوا يكتبون لجوارهم أهـل الكتاب . فقالوا للجارية : اذا صرت الى القافية فرتلي ، فلما قالت : « الغراب الاسـود » و « يعقدُ » و « باليد » عَلِمَ فانتبه ، فلم يعد فيه وقال : قدمت الحجاز ، وفي شعري ضعة ، ورحلت عنها وأنا أشعر الناس . ولهذه الحكاية روايات كثيرة ، فقد ذكر صاحب الموشـح ، أن النابغة الذبياني كان يكفيء الشعر حتى قدم المدينة ، على الأوس والخزرج فأنشدهم فقالوا : انك تكفيء الشعر ، وقال : وكيف ذلك ؟ فجعلوا يخبرونه ولا يفهم ما يريدون ، فقالوا له : تغنَّ بشعرك ، فتغنّى به ومدّوه ففهم ، فقال : لست أعود .

وذكر المرزباني أيضاً[15]: ان النابغة كان يقول : ان في شعري لعاهة لم أقف عليها ، فلما قدم المدينـة تُغني في شـعره بقوله : « فتناولته واتقتنا باليد » فمدت المغنية الدال مخفوضة ، وامتد بها الصوت منخفضاً ثم قالت : « يكاد من اللطافة يعقد » فمدّت الدال مضمومة وامتد بها الصوت‌مضموماً،

---

(١٣) المرزباني : الموشح ص ٢٤

(١٤) المرزباني : الموشح ص ٣٨

(١٥) المرزباني : الموشح ص ٤٠

فتبين له عيب شعره ، فكان يقول : « وردت يثرب وفي شعري بعض العُهدة » (١٦) فصدرت وأنا أشعر العرب •

ويذكر المرزباني (١٧) عن أبي محمد عبدالله بن مالك النحوي قال : أخبرنا حماد بن اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن ابنه قال : حدثني أبو عمرو ابن العلاء قال : فحلان من الشعراء كانا يُقويان ، النابغة وبشر بن أبي خازم ، فأما النابغة ، فدخل يثرب ، فغُني بشعره ، ففطن فلم يعد الى أقواء ، وأما بشر فقال : سوادة اخوه : انك تقوي • فقال له : وما الاقواء ؟ فأنشده بيتيه وآخر الأول منهما « نسيت ُجذام ُ » فرفع ، ثم قال : « الى البلد الشآمي » فخفض ، ففطن بشر فلم يعد •

وهذا ما دفع الدكتور ناصر الدين الاسد (١٨) الى أن ُيعلل تخليص القافية من بعض العيوب الصوتية التي كان الشعراء يقعون فيها ولم يفطنوا اليها ــ قاصداً الاقواء ــ أثناء النظم الى الغناء • فالغناء بألحانه استطاع ان يبرز هذا العيب ابرازاً جعل الشاعر نفسه يفطن اليه ويجتنبه •

فالاقواء خطأ يقع فيه الشاعر ولم يفطن اليه ، بدليل ما ذكرنا من الروايات ، ولكنه ُنبّه الى عدم تكراره بعد توضيحه له •

وذكر صاحب اللسان (١٩) عن أبي عمرو بن العلاء : الاقواء أن تختلف حركات الروي ، فبعضه مرفوع وبعضه مجرور ، وعن أبي عبيده : الاقواء في عيوب الشعر نقصان الحرف من الفاصلة ، يعني من عروض البيت ، وهو مشتق من قوة الحبل ، كأنه نقص قوة من ُقواه ، وهو مثل القطع في عروض الكامل •

---

(١٦) العهدة (بالضم) الضعف •

(١٧) المرزبانى : الموشح ص ٥٩

(١٨) ناصرالدين الاسد : القيان والغناء فى العصر الجاهلى ص ٢٠٥

(١٩) لسان العرب : مادة قوا

وقال أبو عمرو الشيباني : الاقواء اختلاف أعراب القوافي وعن أبن سيده ، أقوى في الشعر خالف بين قوافيه ، قال هذا قول أهل اللغة ، وقال الاخفش : الاقواء رفع بيت وجرّ آخر نحو قول الشاعر :

لا بأس بالقوم من طول ومن عظمٍ   جسمُ البغال وأحلامُ العصافيرِ
كأنهم قَصَبٌ جُوفٌ أسافلُه   مُثقّبٌ نفخت فيه الاعاصيرُ

قال : وقد سمعت هذا من العرب كثيراً ، وقلّتْ قصيدة ينشدونها الا وفيها أقواء ، ويقول قدامة [٢٠] : وهذا في شعر الاعراب كثير جداً .. ثم يستمر الاخفش فيقول : وانهم لا يستنكرونه ، لانه لايكسر الشعر ، وايضاً فان كل بيت منها كأنه شعر على حياله . قال ابن جنّي : أما سَمْعُه الاقواء عن العرب بحيث لا يُرتاب به ، لكن ذلك في اجتماع الرفع مع الجر ، فأما مخالطة النصب لواحدٍ منهما فقليل وذلك لمفارقة الالف الياء ، والواو ، ومشابهة كل واحدة منهما جميعاً اختها . _ وهذا ما أطلق عليه الاصراف وقد وردت منه نماذج في الشعر الجاهلي _ قال الحامض : وانما يكون في الضم والكسر ، ولا يكون فيه فتح . وقال ابن جنّي : والفتح فيه قبيح جداً ، الا ان أبا عبيدة ومن قال بقوله كابن قتيبة ، يسمون هذا اكفاءً ، والاقواء عندهم ذهاب حرف أو ما يقوم مقامه من عروض البيت . ومن ذلك قول الحارث بن حلزة [٢١] :

فملكنا بذلك الناس حتى   ملكَ المنذرُ بنُ ماءِ السماءِ

مع قوله :

آذنتنا ببينها أسماءُ   رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ

---

(٢٠) قدامة بن جعفر : نقد الشعر ص ١٨٢

(٢١) الانباري : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص ٤٧٤ ، وقد ذكر فى تفسير البيت الاول قال أبو محمد التوزى : سمعت الاصمعى يروى هذا البيت سنة ثمانين ومائة ، قال : وأنا سألته عنه وقال الاصمعى انشدنى هذا البيت حرد وقال : لا يضره أقواؤه . قد أقوى النابغة فى قصيدته الداليه وعاب ذلك عليه أهل المدينة فلم يغيره ، وانما هذه القصيدة كانت شبيها بالخطبة ، قام بها الحارث مرتجلا . والارتجال : الاقتراح والابتداء من ساعته .

وقال آخر أنشده أبو علي :

رأيتُكِ لا تُغنينَ عنّي نَقْرةً
إذا اختلفت في الهَراوي الدَّمامِك[22]

فاشهدُ لا آتيكِ ما دام تَنْضُبٌ
بأرضكِ أو صُلبُ العصا من رجالك[23]

ومعنى هذا أن رجلاً واعدته امرأة ، فعثر عليها اهلُها ، فضربوه بالعِصيّ فقال هذين البيتين :

قال ابن جنّي : وفي الجملة ان الاقواء ـ وان كان عيباً لاختلاف الصوت به ـ فانه قد كثر ، قال : واحتج الاخفش لذلك بأن كل بيت شعر برأسه ، ثم قال الاخفش : قد سمعت بعض العرب يجعل الاقواء سناداً .

ويذكر ابن عبد ربه[24]، ان الاقواء والاكفاء عند بعض العلماء شيء واحد ، ثم ذكر أن بعضهم يجعل الاقواء في العروض خاصة دون الضرب ، ويجعلون الاكفاء والايطاء في الضروب دون العروض ، فالاقواء عندهم أن ينتقض قوة العروض فيكون (مفعولن) ، في الكامل ، ويكون في الضرب (متفاعلن) ، فيزيد العجز على الصدر زيادة قبيحة ، فيقال : أقوى في العروض ، أي أذهبَ قوته ، وزعم يونس أن الاكفاء عند العرب هو الاقواء ، وبعضهم يجعله تبديل القوافي ، مثل أن يأتي بالعين مع الغين ، لشبهها في الهجاء ، وبالدال مع الطاء ، لتقارب مخرجيهما .

وأبو عمرو يقول : الاقواء : اختلاف اعراب القوافي بالكسر والضم والفتح ، وكذلك هو عند يونس وسيبويه .

---

(٢٢) النقر : صويت يسمع من قرع الابهام على الوسطى ، ولا يستعمل الا فى النفى . الدمامك : جمع دمكمك ، كسفرجل . (الشديد القوى) من الرجال والابل ومن كل شيء .

(٢٣) التنضب : شجر تتخذ منه السهام ، والتاء زائدة ، لانه ليس فى الكلام فعلل .

(٢٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد حـ٦ ص ٣٢٩

ومن هذه النصوص يتضح اختلاف العلماء في اشتقاقهما – وان أجمع أكثر العلماء على تعريفه باختلاف اعراب القوافي ، وقد جوّز البعض ذلك للمولدين ولم يجوزوه لغيرهم •

ولابد لي – وأنا أتحدث عن هذه الظاهرة – ان أمرّ على بعض الآراء التي وجد فيها أصحابها تعليلاً لهذه الظاهرة ، ففسروها على ضوء ما اعتقدوه •

فقد ذكر الاستاذ محمد عبدالعزيز الدباغ[٢٥] في معرض حديثه عن أبيات النابغة المعروفة ، والتي تعمدت الجارية في غنائها فأشبعت الضمة حتى صيرتها واواً ، وما تنبه اليه الشاعر ، وما ترك ذلك من الأثر السيء الذي أحدثه الاقواء في الشعر فيقول : اذا كانت هاته الرواية صحيحة فاننا نعتبرها خاطراً جديداً طرأ على الاذواق في الجاهلية في أخريات هذا العصر ، لاننا لا نجد من الشعراء قبل ذلك من أنكر استعمال الاقواء ، بل انني أرى الاقواء كان يستعمل (تصداً) لتأكيد الكلام وتقريره ، وتنبيه السامعين الى نقطة معينة ، يريد الشاعر أن يوجههم اليها ، وهذا هو السر في أن كثيراً من الشعراء كانوا يستعملونه في القصائد التي يقدمونها في المنازعات والمرافعات•
ويستشهد على قوله بحادثتين مشهورتين في الأدب الجاهلي :

الاولى – كما يذكر الاستاذ في مقاله – مساجلة امريء القيس للاعشى[٢٦] ، حين قدم كل منهما قصيدة الى أم جندب ، زوجة امريء القيس لتحكم بينهما ، وتختبر شاعريتهما • فكان مطلع قصيدة امريء القيس:
خليليّ مُرّا بي على أم جندب نقضّي لبانات الفؤاد المعذب

---

(٢٥) الاستاذ محمد عبدالعزيز الدباغ – مجلة دعوة الحق – الرباط • العدد الخامس السنة السابعة •

(٢٦) ولعله يريد بالاعشى ، علقمة الفحل ، لان المعروف أن علقمة الفحل هو الذى تذاكر الشعر مع امرىء القيس ، وكان ما كان من تفضيل أم جندب لعلقمة على امرىء القيس ، فطلقها ، فخلف عليها علقمة فسمى الفحل •

وكان مطلع قصيدة (الأعشى)[٢٧] :

ذهبت من الهجران في كل مذهب ولم يكُ حقاً كل هـذا التجنّب

ثم يأتي الاستاذ بهذا البيت :

فظـلّ لنـا يوم لذيذ بنعمـةٍ فقل في مقيل نحسـه متغيب

ويعلق عليه فيقول : انه قد خصّ الاقواء بهذا البيت ، لانه صـور فيه يوماً من أيام ذكرياته ، ولذلك استعمل الالتفات أيضاً .

والغريب في هذه الحكاية ، ان البيت ـ بحـد ذاته ـ غير موجود في قصيدة امريء القيس[٢٨] ولم يشر الاستاذ الى المصدر الذي اعتمد عليه في نقل هذا البيت . ومن هنا فالحكاية كلها منفية لعدم وجود الحجة التي اعتمد عليها الاستاذ في بناء هذه القاعدة .

أما الحادثة الثانية التي استشهد بها لاثباتِ رأيه فهي الخلاف الذي وقع بين البكريين والتغلبيين ، وكان عمرو بن كلثوم شـاعر تغلب ، والحارث بن حلزة شاعر بكر . ثم يعلل الاستاذ قول الحارث :

فملكنـــا بذلك الناس حتى مَلَكَ المنذرُ بنُ ماء السماء

والذي يظهر فيه الاقواء واضحاً ، لأنّ روي القصيدة مرفوع ، يعلل ذلك الاستعمال ، رمزاً الى التوكيد والتقرير ، وتنبيه السامعين ، لأن الشاعر حينما أراد أن ينتقل الى مدح والد الملك ، خشي أن يكون الملك لاهياً عنه ، فأحدث في القافية هذا التغيير المفاجيء ، ليجذبه اليه من جديد ، ولينبهه الى ما يكفه من اجلال ملوك الحيرة .

---

(٢٧) علقمة بن عبدة التميمي .

(٢٨) ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، والمختار من شعر امرىء القيس ، اختيار الاستاذ مصطفى السقا من مجموعة الاعلم الشنتمرى .

والذي أراه ، هو أن الموضوع لم يكن بالصورة التي تصورها الاستاذ ، فعمرو بن هند كان يستمع الى قصيدة الحارث من وراء سبعة ستور[٢٩] ، لانه كان لا ينظر الى أحد به سوء ، وكان الحارث أبرص . فمن أين أدرك الحارث ان الملك كان لاهياً عنه ، حتى يحدث هذا التغيير ؟ علماً بأن القصيدة كانت جاهزة للالقاء كما يحدثنا الرواة .

واذا فرضنا ــ جدلاً ــ صحة هذا الرأي ، فالاقواء الذي أحدثه الشاعر في آخر البيت الذي مدح فيه والد الملك ، وهذا يعني ان الملك سينتبه الى آخر البيت فقط ، وعنده سيكون البيت قد فات على الملك ، وبالتالي فليست هناك ضرورة لهذا الاقواء .

ان هذه الحجج التي ذكرتها تجعلنا نضعف رأي الاستاذ ، ولكن ذلك لا يدفعنا الى نفيه مطلقاً ، لان الرأي فيه بعض الوجاهة المنطقية ، ولكن تعوزه الشواهد .

ويذهب الدكتور عبدالله الطيب المجذوب [٣٠] ، الى أن الاذواق الجاهلية ، كانت تقبل هذا (ذكر القوافي المكسورة مع المضمومة) ، ولعلّ السبب في قبولها له ، انهم كانوا يقفون كثيراً بالسكون في القوافي المطلقة ، فيقولون « مزوَّدْ » و « الاسودْ » ولكن أذواق المحدثين وأكثر شعراء الاسلام نَبَتْ عن الاقواء ، فتجنبوه في منظوماتهم .

والمعروف ان الحادثة التي ذكرها القدامى في أبيات النابغة جرت قبل الاسلام وقبل المحدثين ، فهم أدركوها وعرضوها على النابغة ، الذي لم يُدرك ذلك ، حتى جاؤا له بهذه الجارية التي غنّت له الابيات ، فالموضوع اذن ، لم يكن موضوع محدثين أو اسلاميين ، ولم يكن الوقوف بالسكون في القوافي المطلقة هو سبب هذه الظاهرة .

---

(٢٩) مختار الشعر الجاهلي ص ٣٦٠

(٣٠) الدكتور عبدالله الطيب المجذوب : المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها جـ١ ص ٣٠

ان معظم العروضيين الذين كتبوا عن الاقواء ، اقتصروا في استشهادهم على أبيات النابغة ، وأضاف قسم منهم أبيات بشر بن أبي خازم ، والغريب انهم لم يتطرقوا الى غيرهم من الشعراء ، على الرغم من وقوعهم فى هذا العيب أكثر مما وقع النابغة وبشر – كما سنذكر في الملحق – فأبو عمرو بن العلاء[٣١] – وهو العالم – يقول : فحلان من الشعراء كانا يُقويان ، النابغة وبشر بن أبي خازم ، ومحمد بن سلام[٣٢] يقول : لم يُقوِ أحد من الطبقة الاولى ولا من أشباههم الا النابغة ، والغريب ان امرأ القيس يقوي ، ولكن القدامى لم يشيروا الى اقوائه ، والأعشى يقوي ولم يتحدث عنه النقاد ، ودريد ابن الصمة وخفاف بن ندبه والمثقب العبدي وعامر بن الطفيل وقيس بن الخطيم وسلامة ابن جندل وغيرهم من الشعراء ، كل هؤلاء دخل الاقواء في اشعارهم ولكن النقاد القدامى لم يشيروا الى ذلك • بل انصبّ التأكيد على هذين الشاعرين ، وهذه الظاهرة تدعو الى التساؤل !•• فلِمَ سكت القدامى عن امريء القيس والأعشى وعامر ودريد وغيرهم ؟ ولِمَ اقتصر العيب – كما يعتقد بعض العروضيين – على النابغة وبشر بن أبي خازم ؟ أكان النقاد متحيزين في أحكامهم ؟ أم ان القصائد التي وجدنا الاقواء منها نقلت الينا خطأ ؟ أو ان القصائد التي وُجد فيها الاقواء لم يطلع عليها القدامى ؟ أم ان الأحكام التي أطلقوها كانت وقتية ، اعتمد فيها على الذاكرة أكثر من الاعتماد على الاستقصاء ؟ كل هذه التساؤلات تدور في الذهن ، وكلها تحتاج الى أجوبة دقيقة ومضبوطة •

أما بالنسبة لي فقد وجدت – وأنا اتتبع هذه الظاهرة – ان سببها قد يعود الى أمرين •

---

(٣١) المرزباني : الموشح ص ٥٩

(٣٢) المرزباني : الموشح ص ٣٨

(١) ان هذه الظاهرة تمثل مرحلة من مراحل التطور الشعري ، وان هذه العيوب التي نجدها هي بقايا عيوب استطاع الشعراء التخلص من كثير منها ، وبقيت بعض العيوب التي صعب على قسم من الشعراء التخلص منها ، ومما يوثق هذا الرأي أن كثيراً من الزحافات والعلل لازمت بعض الشعراء الجاهليين ، كامريء القيس وعبيد بن الابرص وغيرهم من الشعراء [٣٣] •

(٢) أخطاء الرواة ، وربما تكون اخطاء الرواة سبباً من أسباب بروز هذه الظاهرة ، وغيرها من الظواهر العروضية التي نجدها في الشعر الجاهلي•

على ان هذا الخطأ لا يدفعنا الى أن نبالغ في هذه الدعوى مبالغة تدفعنا الى الشك — كما وقع لبعض الباحثين — فمن الواضح أن تكون رواية الشعر الذي بين أيدينا ، قد دخلها شيء من التحريف والتصحيف • لان الذاكرة البشرية ، مهما بلغت من الدقة ، لابد أن تفقد شيئاً من القدرة على استيعاب الرواة لمنظومات الشعراء كلها ، فلابد اذن أن تبدل كلمة مكان اخرى ، أو يقع في خطأ لم يقع فيه الشعراء أنفسهم ، ومن هنا لا يمكننا أن نجزم من أن الشعر القديم قد خلا من أي تحريف [٣٤] •

ومن هنا ظهرت مشكلة العروضيين الذين وجدوا الشعر على هذه الهيئة ، فبدأوا يتلمسون له تلك القواعد والمصطلحات (الزحافات والعلل الجارية مجرى الزحافات) والضرائر والعيوب وغيرها •

---

(٣٣) يذكر الدكتور حسين نصار فى تحقيقه لديوان عبيد فى مجال حديثه عن جو هذه القصيدة ان البحر الذى نظم عليه عبيد قصيدة « إقفر من أهله ملحوب » نادر غير مألوف ، لا نراه الا فى قصيدة أخرى لامرىء القيس ويبدو أن غرابة هذا البحر ، وقدم عهد عبيد ، وحداثة سن الشعر العربى فى عصره ، أثرت تأثيرا كبيرا فى القصيدة ، فكثرت زحافاتها وعللها ، فاضطرب وزنها ، حتى قيل عنها · « لكثرة ما دخلها من الزحاف والقطع : كادت ألا تكون شعرا » ·

(٣٤) يرجع الى طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى ·

ومما يؤيد هذا الرأي قول عروة بن الورد [٣٥] :

سيفزع بعد اليأس من لا يخافنا ... كواسعُ في أُخرى السوام المُنفَّرِ
نطاعن عنها أوّلَ القوم بالقنا ... وبيض خفاف وقعُهُنّ مشهّرُ

علماً بأن رواية الديوان ، ومنتهى الطلب « ذات لون مشهّر » وعندها لم يكن في البيت أقواء ٠

وكذلك في قول قيس بن الخطيم [٣٦]

صدودَ الخدود والقنا متشاجر ... ولا تبرحُ الاقدام عند التضاربِ
اذا قصرت أسيافنا كان وصلها ... خطانا الى اعدائنا فنضاربُ

كما وردت في بعض النسخ بالتقارب أو للتقارب[٣٧] وعند ذلك لم يكن في البيت أقواء ومثل هذين المثلين قول دريد بن الصمة في رثاء أخيه [٣٨] ٠

وبعد ، فهذا ما وددت ذكره في هذا المجال لعلّ فيه الفائدة لمن أراد البحث في هذه الظاهرة ، ولم يكن القصد منها الا الوصول الى التحقيق الدقيق لهذه الظاهرة في الشعر العربي ، وقد اقتصرت في بحثها على الشعر الجاهلي لان هذه الظاهرة تميّزت فيه ، ووضحت وضوحاً جليّاً ، كما أن النقاد أنفسهم انصرفوا الى اختيار نماذجهم منها ٠

نوري حمودي القيسي

---

(٣٥) الاصمعيات ص ٤٠

(٣٦) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٤ تحقيق ناصر الدين الاسد

(٣٧) ديوان قيس بن الخطيم تحقيق السامرائى ومطلوب وخزانة الادب للبغدادى حـ٣ ص ١٦٥ وينظر تعليق الدكتور ناصر الاسد على ديوان قيس ص ٢٠٣

(٣٨) الاصمعيات ص ١١٤

ملحق بالابيات التى فيها اقواء

(١) النابغة الذبياني[١] : يصف المتجردة زوج النعمان بن المنذر .

(أ) أفدَ الترحُّلُ غيرَ أن ركابنا لمـا تَزُلْ برحالِنـا وكأنْ قدِ
زعَـم البوارحُ أن رحلتنـا غـداً وبذاك خبرنا الغُداف (الاسودُ)

وفي القصـيدة نفسها :

(ب) سـقط النصيفُ ولم تُردْ اسقاطَــهُ
فتناولتـــه واتقتنـــا باليـــد
بمُخَضَّبٍ رَخْـصٍ كـأنَّ بنانَــهُ
عَنمٌ يكـاد من اللطـافة (يُعقـدُ)

(حـ) قال النابغة يخاطب زرعة بن عمرو العامري[٢] :

اني لأخشى عليكم أن يكونَ لكم من أجل بغضائِهـمْ يَومٌ كأيامِ
تبـدو كواكبه والشـمس طالعـةٌ لا النور نور ولا الاظلام(اظلامُ)

(٢) بشر بن أبي خازم الاسدي[٣] :

(أ) عفا رَسْمٌ برامَةَ فالتِّلاعِ فكثبـانِ الحفـير الى لقَـاعِ
فجنبُ عنـيزة فذوات خَيْـمٍ بها الغـزلانُ والبَقرُ (الرتاعُ)

(ب) وفي القصـيدة نفسها (٤) :

وكـم من موضـع قد غادروهـا لهيفَ القلب كاشفـة القنـاعِ
(حـ)وكلُّ غَضَارةٍ لكَ من حبيبٍ لها بكَ أو لَهوتَ به (متاعُ)
قليلاً والشـبابُ سـحابُ ريـحٍ اذا وَلّى فليس له (ارتجـاعُ)

---

(١) ديوان النابغة فى مختار الشعر الجاهلى ـ مصطفى السقا ص ١٨٣
(٢) ديوان النابغة فى مختار الشعر الجاهلى ـ مصطفى السقا ص ١٨٠
(٣) ديوان بشر بن أبى خازم الاسدى تحقيق الدكتور عزة حسن ص ١٠٩
(٤) المصـدر نفسه ص ١١٢

ومن قصيدة أخرى [٥] :

(د) نبا عندالحفيظة ِكيف َ نحْمي | اذا ما َشفَّها الامرُ الفظيعُ
عقائلنا ونمنع من َيلينا | بكلِّ ُمهنَّد ٍ صافٍ (صنيع ِ)

ومن قصيدته التي قال عنها أبو عمرو بن العلاء : ليس للعرب قصيدة على هذا الروي أجود منها ، وهي التي ألحقت بشراً بالفحول [٦] .

(هـ) ألم َترَ أن ُطولَ الدَّهر ُيسلي
وُينسي ِمثلما ُنسيَتْ ُجذامُ

وكانوا قومنا فبغوا علينا
فسقناهم الى البلد (الشآمي)

(٣) امرؤ القيس

(أ) قال يمدح عوير بن شِجنة بن عطارد من بني تميم ، وبني عوف رهطه [٧] :

ألا ان قوماً كنتمُ امس ِ دونهم | هم َمنعوا جاراتكم آلَ غدران ِ
عويرٌ ومن مثلُ العوير ورهطه | واسعدَ في ليل البلابل(صفوانُ)
ثيابُ بني عوف ِ طَهَارى نقيَّةٌ | وأوُجهُهُمْ عند المشاهد (ُغرانُ)

---

(٥) ديوان بشر بن أبى خازم ص ١٣٤

(٦) ديوان بشر بن أبى خازم ص ٢٠٥

(٧) ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ص ٨٣

وقال مجيباً على سبيع بن عوف ـ وكان سبيع قد عرّض بامرىء القيس ـ وهو في هذه الابيات يصف ناقته [٨] :

(ب) تخدي على العلاّت سامٍ رأسها
روعاء منسمها رثيم دام
جالت لتصرعني فقلت لها اقصري
اني امرؤ صرعي عليك (حرام)
فجزيت خير جزاء ناقة واحدٍ
ورجعت سالمة القرا بسلام
وكأنما بدرٌ وصيل كتيفةٍ
وكأنما من عاقل (ارمام)

(ح) وفي المقطوعة رقم (٩٥)[٩]

لو كنت جاراً لبني حدّاد
أو لبني مالك الانجاد
ما أخذ الطارف و (التلاد)
أفاً لا فراس لكم جياد

(٤) دريد بن الصمة قال في رثاء أخيه عبدالله [١٠]

(أ) وكنت كذات البوّ ريعت فأقبلت
الى جذمٍ من مسك سقبٍ مجلّد
فطاعنت عنه الخيل حتى تبدّدت
وحتى علاني حالك اللون (أسود)

---

(٨) ديوان امرىء القيس ص ١١٦
(٩) ديوان امرى القيس ص ٣٥٣
(١٠) الاصمعى : الاصمعيات ص ١١٤

(ب) وقال دريد من قصيدة حين غزا غطفان[11] :

ذريـــني أطـــوف في البـــلاد لعـــلني
ألاقي بـاثرٍ ثلَّـــةً من محــــاربِ

وأنتَ امرؤٌ جعْـــدُ القَفـا متعَـــكِّش
من الأقِــط الحَــوْليّ شبعَانُ (كانبُ)

وقال دريد[12]

(حـ) ويـــح ابن أكمة ما ذا يريـــد ... مـــن المـــرعش الـــذاهب الأوردِ
فأقســـم لـــو أن بـــي قـــوّة ... لـــوّلت فرائصـــه ترعـــدُ

(٥) أما عامر بن الطفيل فيقوى في قصيدة عدد أبياتها اثنى عشر بيتاً اربع مرات • قال عامر[13]

(أ) تجنّبْ نميراً ولا توطِـــهَا ... فـــانّ بهـــا عامـــراً حضَّـــرُ
وان رمـــاحَ بـــني عامـــرٍ ... يُقَطّـــرن ملْ علَق (الاحمرِ)
هـــم الجـــابرون عظـــام الكســـير ... اذا ما الكســـائر لم (تجـــبرِ)
وهـــم يضربون غـــداة الصبـــا ... حِ انف المدجّـــج ذي (المغفرِ)

ثم يقول :

لقـــد كان فيما خـــلا عِبْـــرَةٌ ... وبالْعـــلمِ يَعتَـــبرُ المُبْـــصرُ
يُـــلام المُـــفرّط في امـــرِهِ ... اِذا صرّح الامرُ (للمعـــذر)

والذي أعتقده ، ان هذه القصيدة جمعت بين قصيدتين ورويين ، الاول مضموم والثاني مكسور •

---

(١١) الاصمعى : الاصمعيات ص ١١٩
(١٢) الاصفهانى : الاغانى حـ١٠ ص ٣٢ (دار الكتب)
(١٣) ديوان عامر بن الطفيل ص ٦٦ـ٦٧ ، ٦٩

(ب) وقال عامر بن الطفيل :[13]

اذا ما الركضُ اسهلَ جانبيهــا وَجـدّ السـير وانقطع النقيــل
ويوم الشعب غـــادرنا لقيطـــاً بأبيض صـارمٍ عضبٍ (صقيلِ)

(ج) وقال عامر بن الطفيل [14] :

فزجرته أنْ لا يفـرّجَ بيضُـــهُ ويُصيبَهُ صديءالرّصاف سَديدُ
أفرِحتَأن جُرحٌ ألمَّ بفارسٍ لم يبقَفيمن سُدتَ غيرَ(مَسُودِ)

(د) وقال عامر بن الطفيل يفتخر بنفسه[15]:

لقـد تعـلمُ الحربُ انـيّ ابنُـها واني الهُـمامُ بها (المُعـلِمُ)
وانـي أُحــلّ عـلى رهـوةٍ من المجـــد في الشرف الاعظـمِ

(هـ) وقال عامر بن الطفيل يرثي ابن أخيه[16]:

فـــلا وأبيك لا أنســى خليـــلي ببــدوةَ ما تحرّكتِ الريـاحُ
وكنت صـفيّ نفســي دون قوميَ وودي دون حامـلةِ (السـلاحِ)

(٦) وقال خفاف بن ندبة [17] :

ومُعبّـــدٍ بيضُ القطـــا بجنوبه ومنالنّــواعجِ رمّــةٌ وصَــليبُ
نفرّتَ آمنَ طـيرهِ وسباعِــهِ ببُغام مجذام الروّاحِ(خبّوبِ)

---

(١٣) انظر الديوان / ٩٦
(١٤) ديوان عامر بن الطفيل ص ٨٥
(١٥) ديوان عامر بن الطفيل ص ١١٩
(١٦) ديوان عامر بن الطفيل ص ٣٩
(١٧) الاصمعيات ص ١٧

(٧) وقال عروة بن الورد من قصيدة وجهها الى امرأته سلمى ، وكانت تلومه على الخطار بنفسه (١٨):

سيَفْزَعُ بعداليأسِ من لا يخافنا كواسعُ في اخرى السوام المُنفَّرِ
نطاعن عنها اوّل القوم بالقنا وبيضٍ خفافٍ وقعُهنّ (مُشَهَّرُ)

(٨) وقال بشر بن عمرو بن مَرْثَد (١٩) ينعت هوادج النساء :

بَل هل ترى ظُعُناً تُحدى مُقَفّيةً
لها توالٍ وحادٍ غيرُ مسبوقِ
يأْخذنَ من مُعْظَمٍ فجّاً بمُسْهلةٍ
لزهوه من أعالي البُسْر (زُحْلوقُ)

(٩) وقال سلامة بن جندل (٢٠) :

اني وجدتُ بني سعدٍ يُفضّلهُم كلُّ شهابٍ على الاعداء مشبوبِ
الى تميمٍ حُماة العزّ نسبتُهم وكلُّ ذي حسبٍ في الناس منسوبُ

(١٠) وقال المثقب العبدي (٢١) :

هل عند غانٍ لفؤادٍ صَدِ من نَهْلةٍ في اليوم أو في غدِ
أومائة تُجعلُ أولادُها لَغْواً وعُرضُ المائة (الجلمدُ)

---

(١٨) الاصمعيات ص ٤٠

(١٩) المفضليات ح٢ ص ٧٥

(٢٠) المفضليات ح١ ص ١٢١

(٢١) شعر المثقب العبدى ص ٥

(١١) وقال قيس بن الخطيم [٢٢] :

صدودُ الخدود والقنا متشاجرٌ ... ولا تبرح الاقدامُ عند التضاربِ
اذا قصرت أسيافنا كان وصلُها ... خطانا الى أعدائنا (فنضاربُ)

(١٢) وقال الاعشى يهجو قوم وائل بن شرحبيل وهو من الرجز[٢٣]:

لا فشل فيّ ولا سقاطُ
ليس أوان يَكره الخلاطُ

ثم يقول بعد خمسة أشطر :

لقد مَنُوا بتيِّحانٍ ساطي
ثبت اذا قيل له يُعاطي
اخرج حُضْرَ غير ذي نياطي

وقال أبو دُواد الايادي [٢٤] :

(١٣) ولقد شهدتُ تغاوُراً ... يوم اللقاء على أبوصٍ [٢٥]
أوجزت عمراً فاعلموا ... خُرصاً يَزرّ له وبيصُ [٢٦]

---

(٢٢) ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٤ تحقيق الدكتور ناصرالدين الاسد ص ٤١

(٢٣) ديوان الاعشى ص ٢٦٧ تحقيق م . محمد حسين .

(٢٤) شعر أبى دؤاد الايادى جمع وتحقيق غرنباوم نشر فى كتاب دراسات فى الادب العربى بيروت ١٩٥٩ ص ٣٢٣ .

(٢٥) أبوص : فرس نشيط . (٢٦) يزرى له وبيص : يلمع له بريق .

وقال أيضاً [٢٧] :

(١٤) فتبقّعت بعـد الرباب زمانـاً فهي قفـــرٌ كأنهـا عيهـومُ [٢٨]

كـل طـــرفٍ موبَّـق عنتريسٍ مســتطيل الاقراب والبلعومِ [٢٩]

(١٥) وقال أبو المثلم الهذلي يرد على صخر الغيّ [٣٠]

والله يُسمعُ صُبْحاً والصواهـلَ إ

لا صارخٌ في عَناءٍ صَوتُهُ صَهِلُ [٣١]

ولا ديـارُ بـني ســوءٍ اذا نَصَـــلوا

لبُـــرقةٍ بين أكنـافِ الى الجبــلِ [٣٢]

(١٦) وقال ساعدة بن جُؤية [٣٣] :

يـأوي الى مُشمخراتٍ مُصَعَّــــدةٍ

شـمٍّ بهن فروعُ القـان والنشـــمِ [٣٤]

مُوكـل بشـــدوف الصـــومِ ينظرهـــا

من المغـــارب مخطـــوفُ الحشـــا زَرمُ

(١٧) وقال عُمير بن الجعد الهذلي في يوم حُشَاش [٣٥] :

يَســـرٍ اذا كـان الشتـــاءُ ومُطعِـــمٍ

لَلحـِـم غَيــرِ كُبُنّةٍ عُلْفُوفِ [٣٦]

---

(٢٧) شعر أبي دؤاد ص٣٤٢ (٢٨)العيهوم : الاديم الاملس(٢٩)العنتريس : الشـجاع ٠ الاقرب : الخواصر ٠ (٣٠) شرح اشـعار الهذليين الجزء الاول تحقيق عبدالستار فراج ص٢٧٨ (٣١)الصواهل : الخيل(٣٢) نصلوا : خرجوا من دورهم ٠ (٣٣) ديوان الهذليين القسم الاول ص ١٩٤ (٣٤) القيان والنشم : شجران تتخذ منهما القسى ٠

(٣٥) شرح شعر الهذليين حـ ١ ص ٤٦٣ تحقيق عبدالستار فراج ٠

(٣٦) اليسر واحد الايسار ، وهو صاحب الميسر ، يريد انه ييسر فى الشتـاء ويقامرَ ويطعم اللحم وكبنه : جاف ٠ والعلفوف : الجافى أيضا ، الجبس من القوم ٠

يُروي النّديمَ اذا تَنَاشى صَحبُه
أمّ الصبيِّ وثوبُه مخلوف (٣٧)

(١٨) الجموحُ (رجل من بني سُليم) (٣٨)

ليتَ الأولى يَلحَونَ في جَنب مالكٍ
قُعودٌ لدينا يومَ راحَةِ فَروَعِ

نخوت قُلوبَ القوم من كل جانبٍ
كما خاتَ طيرَ الماءِ وردٌ مُلمَّعُ (٣٩)

فان تزعُموا أني جَبُنتُ فانكم
صدقتم فهلاّ جئتُمُ حين ندعي (٤٠)

عجبت لمن يلحاك في جنبِ مالكٍ
وأصحابِهِ حين المنية تلمَعُ

---

(٣٧) تناشي : يريد انتشى . يقول : اذا انتشى أصحابه وتعاملوا عن الشراب، اشترى هو فأرواهم وأم الصبى : الدماغ وقوله : وثوبه مخلوف : يقول : يرويهم ، وان كان ثوبه مخلوفا ، والمخلوف الذى اذا بلي وسطه قطع من وسطه ، ثم جمع رأساه .

(٣٨) شرح شعر الهذليين : حـ١ ص ٤٧٠ (٣٩) خات ، يخوت : طلب . ورد ملمع : الصقر فى لونه . تخوت : تخطف (٤٠) حين ندعى : أى حين دعوناكم نستغيث بكم نقول : يالفلان . وانظر ظواهر الاقواء فى شرح اشعار الهذليين فى الصفحات / ٥٥٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٧٣٠ ، ٧٩٩ ، ٨٤٧ ، ٩٢٨ .

(١٩) وقال الأبحُ بن مُرة ، أخو أبي خِراش [٤١] :

لَعُمرك َ سارِى َ بن َ أبي زُنيم ِ
لأنت َ بعرعر َ الثأرُ المنيمُ [٤٢]

عليك َ بني معاوية َ بن صخر ِ
فأنت بعرعر ِ وهم بضيم ِ [٤٣]

تساقيهم على رُصُف ِ وظر ٍ
كدابغة ِ وقد حلِم َ الأديمُ [٤٤]

فلم تتركهم قصداً ولكن
فرقت َ من المغاوِر ِ كالنجوم

(٢٠) وقال عمرو ذو الكلب[٤٥] :

ألا قالت غَزيّة اذ رأتني
ألم تُقتل بأرض ِ بني هلال ِ

أسرّك لو قُتلت بأرض فهم ِ
وهل لك ِ لو قُتلتُ غزيّ مالُ

---

(٤١) شرح شعر الهذليين حـ٢ ص ٦٦٧ تحقيق عبدالستار فراج

(٤٢) الثأر المنيم : الذى اذا أصابه صاحبه نام

(٤٣) عرعر وضيم مكانان (٤٤) رصف وظر : ماءان

(٤٥) شرح شعر الهذليين حـ٢ ص ٥٦٦

مصادر البحث ومراجعه

المفضليات : تحقيق وشرح ـ أحمد محمد شاكر ـ عبدالسلام هارون ـ دار المعارف ـ ١٣٦١

الاصمعيات : تحقيق وشرح ـ أحمدمحمد شاكر ـ عبدالسلام هارون ـ دار المعارف ـ ١٩٥٥

طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ـ شرح ـ محمود محمد شاكر ـ دار المعارف ـ ١٩٥٢

الاغاني : الاصفهاني ـ دار الكتب

نقد الشعر : قدامة بن جعفر ـ تصحيح • س • أ • بونيباكر ـ ليدن ـ ١٩٥٠

العمدة : لابن رشيق القيرواني ـ تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ـ مطبعة حجازي ـ مصر ١٩٣٤

الموشح في مآخذ العلماء : للمرزباني ـ السلفية ـ ١٣٤٣

العقد الفريد : ابن عبد ربه ـ شرح وضبط أحمد أمين وجماعته ـ مطبعة لجنة التأليف ـ ١٩٤٨

شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري تحقيق وتعليق عبدالسلام محمد هارون ـ ١٩٦٣

مفتاح العلوم : للسكاكي ـ المطبعة الأدبية بمصر

لسان العرب : ابن منظور ـ دار صادر بيروت ـ ١٩٥٥

ديوان امريء القيس : تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف ـ ١٩٥٨

ديوان امرىء القيس : في مختارات الشعر الجاهلي : للاعلم الشنتمري • اختيار مصطفى السقا – مطبعة مصطفى الحلبي – ١٩٤٨

ديوان النابغة الذبياني في مختارات الشعر الجاهلي : للاعلم الشنتمري – اختيار مصطفى السقا – مطبعة مصطفى الحلبي – ١٩٤٨

ديوان النابغة الذبياني : طبع صادر – بيروت – ١٩٦٠

ديوان الأعشى (ميمون) : شرح وتعليق الدكتور م • محمد حسين – المطبعة النموذجية – ١٩٥٠

ديوان عبيد بن الابرص : تحقيق وشرح الدكتور حسين نصّار – مصطفى البابي الحلبي – ١٩٥٧

ديوان عامر بن الطفيل : دار صادر – بيروت – ١٩٦٣

ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق الدكتور أحمد مطلوب والدكتور ابراهيم السامرائي – مطبعة العاني – بغداد ١٩٦٢

ديوان قيس بن الخطيم : تحقيق وتعليق الدكتور ناصر الدين الاسد – مطبعة المدني – ١٩٦٢

ديوان بشر بن أبي خازم : تحقيق الدكتور عزة حسن – دمشق – ١٩٦٠

شعر المثقب العبدي : تحقيق الشيخ محمد حسين آل ياسين – مطبعة المعارف – ١٩٥٦

الأدب الرفيع في ميزان الشعر وقوافيه : معروف الرصافي – مطبعة المعارف – بغداد ١٩٥٦

الفن ومذاهبه في الشعر العربي : الدكتور شوقي ضيف – منشورات مكتبة الاندلس – بيروت ١٩٥٦

موسيقى الشعر : الدكتور أنيس ابراهيم ـ مطبعة لجنة البيان العربي ـ ١٩٥٢

التفسير النفسي للأدب : الدكتور عزالدين اسماعيل ـ دار المعارف ـ ١٩٦٣

المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها : الدكتور عبدالله الطيب المجذوب ـ مصطفى البابي الحلبي ـ ١٩٥٥

القيان والغناء في العصر الجاهلي : الدكتور ناصرالدين الاسد ـ دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٥٥

شرح اشعار الهذليين (صنعة أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري) تحقيق عبدالستار أحمد فراج ـ مكتبة دار العروبة ـ القاهرة الجزء الاول والثاني

ديوان الهذليين : طبع دار الكتب بالقاهرة ـ القسم الاول

شعر أبي دؤاد الايادي : جمع وتحقيق غرنباوم ـ نشر احسان عباس ـ منشورات دار الحياة ـ بيروت ١٩٥٩

مجلة دعوة الحق (الرباط) : العدد الخامس ـ السنة السابعة ـ

عاصم بن عمر بن قتادة

خالد العسلي
مدرس معيد ــ قسم التاريخ

عاصم بن عمر بن قتادة النعمان الانصاري [1] الظَفَري ، ابو عمرو المدني [2]. كان جده أبو بكر قتادة بن النعمان بن ظَفَر من السابقين الى الاسلام ، وقد شهد بيعة العقبة الثانية مع السبعين من الانصار ، ولم يشارك في بدر ولكنه شارك في احُدْ والخندق وبقية الغزوات مع الرسول (ص) . وكانت معه راية بني ظَفَر في فتح مكة [3] وحنين [4] مما يدل على مكانته الممتازة عند قبيلته وعند المسلمين . وقد روى عن رسول الله (ص) أحاديث ، ومات سنة ٢٣ هـ/٦٤٣ م في خلافة عمر (رض) عن عمر ناهز الخامسة والستين سنة .

أما أبوه عمر فلا نعلم عنه شيئا سوى انه روى بعض الاحاديث التي رواها عن أبيه عن الرسول (ص) [5] .

---

(١) ابن سعد : الطبقات الكبير ج ٣ ص ٤٥٢ ، ط بيروت ١٩٥٧ م وسأشير له : ابن سعد .

(٢) الذهبي : تراجم رجال روى محمد بن اسحاق رئيس أهل المغازي عنهم ص٢٢ ، تحقيق فشر ، بريل ١٨٩٠م ؛ الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤ ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٠٧م .

(٣) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٢ـ٤٥٣ عن عاصم بن عمر بن قتادة « أن حدقة قتادة بن النعمان سقطت ، أو عينه على وجنته يوم أحد فردها رسول الله بيده . فكانت أحسن عينيه وأحدها » وانظر ج ١ قسم١ ، ص١٢٥ (طبعة ليدن) ؛ البلاذري : انساب الاشراف ج ١ ص ٢٤١ .

(٤) الواقدي : ت . فلهوذن ص ٣٥٨ (نقلا عن هوروفتس « المغازي الاولى ومؤلفوها » ص ٤٧) .

(٥) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٣ ؛ البلاذري : أنساب الاشراف ج ١ ص ٢٤١ ، تحقيق محمد حمد الله ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ١٩٥٩م .

وأما عاصم فهو أحد علماء المدينة (٦) ، وثقهاتها (٧) ، ومن «العلماء بالسير وغيرها » (٨) ولا نعرف عن حياة عاصم الا النزر اليسير اذ لم يتول عاصم عملا في الدولة ، وقد وند على « عمر بن عبدالعزيز فقضى دَيْنَهُ وأمره أن يجلس في مسجد دِمَشْق فيحدث الناس ، ففعل ثم رجع الى المدينة .
واختلف في سنة وفاته ، فالذهبي يذكر انه « توفّى سنة عشرين ومائة وكذا أرخه جماعة » . وقال ابو عُبَيْد وجماعة سنة سبع وعشرين ومائة . قال الواقدي وجماعة سنة تسع وعشرين ومائة فالله أعلم » (٩) . ولم يترك له عقبا (١٠) .

لا يهتم عاصم بن عمر بن قتادة بذكر السند ، وهذا يؤيد أن الاهتمام بالسند ظهر متأخرا ، والروايات القليلة التي ذكر فيها رجال السند كان منهم محمود بن لبيد الذي روى عنه اخبارا في المغازي (١١) ، ثم عبدالرحمن بن جابر ، وأنس بن مالك ، وكعب بن مالك ويزيد بن النعمان ، وعبيد الله بن كعب ، وكل هؤلاء من الانصار ، وهم قبيلته . ويذكر ابن اسحق عددا من روايات عاصم دون ذكر شيوخه بل يكتفي بـ « فحدثني عاصم بن عمر بن

---

(٦) الذهبي : ميزان الاعتدال ج ٢ ص ٤ .
(٧) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٣٣٧ ، ٣٧٨ ، ٣٩٦ (طبعة ليدن) .
(٨) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٦٦ .
(٩) الذهبي : تراجم رجال ص ٢٢ ؛ يذكر ابن قتيبة : المعارف ص ٤٦٦ انه توفي سنة عشرين ومائة .
(١٠) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٦٦ .
(١١) ابن هشام السيرة ج ١ ص ٢١٤ ، ٢١٩ ج ٢ ص ١٨٧ ، ٣٢٥ ، ٤٩٨ ؛ الواقدي : المغازي ص ٣٥ ، ٤٢ ، ٥٥ ، ١٠٥ ، ١٢٢ ، ١٦٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٤٠٤ ، ١٦٨٣ ، ١٦٩٨ ، ٢٩٧٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٦٠ ج ٢ ص ١٦ ؛ الذهبي : تاريخ ابن سعد ج ١ ص ١٤٧ ج ٢ ص ٢٥١ ج ٣ ص ٣٥٧ ، ص ٤٢٧ ، ٤٥١ ؛ الاسلام ج ١ ص ٧ ، ٥٧ ج ٤ ص ١٢ ، ٣٧ ، ٧٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٠٨ ، ٣١٠ .

قتادة عن اشياخ من قومه »[١٢]، او عن رجال من قومهم[١٣]. ولا نعل
هل أن هذا الحذف هو من ابن اسحاق أم أنه من عاصم ، ومهما يكن فا
دليل على أن ابن اسحاق يعتمد على عاصم بالدرجة الاولى ويوثقه .

أما أكثر روايات عاصم — كما ذكرنا — فانه لا يذكر رجال السند
الذين استقى منهم معلوماته . وبالرغم من أنه كان عالما بالمغازي ورجال
الصحابة[١٤] لم يرد ذكر لكتاب الفه عاصم بن عمر بن قتادة في المغازي
فالمعلومات التي وصلتنا عنه جاء معظمها عن طريق رواية ابن اسحق
رواها ابن هشام والواقدي وابن سعد والطبري ، أما من جاء بعدهم
من المؤرخين فهم ينقلون المعلومات نفسها التي قدمها ابن هشام وابن سعد
والطبري .

وعاصم هو من أهم شيوخ ابن اسحق في المغازي ، ويظهر ان هذ
قد أخذ معلوماته عن عاصم مباشرة ، وكان عاصم يمتدح ابن اسحق ويقول
« لا يزال في الناس علم ما عاش محمد ابن اسحق »[١٥] . ويأتي بعده
الواقدي الذي يقدم أكثر رواياته عن طريق محمد بن صالح بن دينار :
وبعضها عن معاذ بن محمد الانصاري ، وعبدالرحمن بن عزيز .

لم ينقل عن عاصم مادة تتعلق بتاريخ العرب قبل الاسلام ، أو تاريخ
الدول المجاورة . بل اقتصر على حياة الرسول (ص) في مكة ، حيث وصلن

---

(١٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٢٥ ، ٤٢٨ ، ٥٤١ ؛
الطبري : تاريخ الرسل والملوك : ١٢١١ ، ١٢٠٧ ؛ الذهبي : تاريخ
الاسلام ج ١ ص ١٧١ .

(١٣) ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٥٨ ؛ الذهبي : تاريخ
الاسلام ج ١ ص ٧ .

(١٤) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٦٦ ؛
الذهبي : تراجم رجال ص ٢٢ .

(١٥) ابن سيد الناس : عيون الاثر ج١ ص ٩

عن عاصم ، خبر وفاة آمنة بنت وهب أم رسول الله (ص)[١٦] وانقطاع الوحي[١٧] ، وخبر حصر قريش لرسول الله (ص) وبني هاشم في الشعب[١٨] ، واسلام عثمان (رض)[١٩] واتصال الرسول بالقبائل وعرض نفسه عليهم[٢٠] ، ودعوة الرسول لسويد بن الصامت الذى رفض الدعوة[٢١] ، واتصال رسول الله (ص) مع النفر من الانصار واسلامهم[٢٢]، وخبر بيعة العقبة الثانية مع ذكر قائمة باسماء من حضرها[٢٣] . ويذكر ابن سعد انه اعتمد على عاصم في ذكر نقباء من حضر البيعة[٢٤] .

أما المعلومات التي وصلتنا عن حياة الرسول في المدينة عن طريق عاصم، فقد وصلنا خبر علامات النبوة ، كخبر المرأة التى كان لهـا تابع من الجن فامتنع عنها لأن محمد (ص) قدم المدينة[٢٥] ، ثم خبر تنبأ يوشع اليهودى بظهور النبي[٢٦] ، وسبب اسلام ثَعْلَبة وأسيد ابنا سَعْيَة وأسد بن عبيد :

---

(١٦) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ٧٣ (ليدن)

(١٧) الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٢٤٩

(١٨) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩ (ليدن)

(١٩) ابن كثير : البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٣٨

(٢٠) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٥ (ليدن)

(٢١) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٤٢٥ ؛ الطبري ، الرسل والملوك I ١٢٠٧

(٢٢) ابن هشام السيرة النبوية ج ١ ص ٢١١ ، ٤٢٨ ؛ الواقدي : المغازي ص ٣٥ ؛ ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٤٧ (ليدن) مع ذكر القائمة ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ١٥٨ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ج ١ ص ١٧١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ١٤٨-١٤٩ (وجميع هذه المصادر تقدم نفس الرواية ، وبعضها يزيد كلمة او ينقص)

(٢٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٢٠٦ - ١٢١١

(٢٤) ابن سعد ج٣ ص ٦٠٣ ، بيروت ، (عاصم ضمن اسناد جمعي)

(٢٥) ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٠٧ ، ١١٠ (ليدن)

(٢٦) ابن هشام : السيرة ج١ ص ٥٤١ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٣٠٨

وهم من بني هَدْل اليهود ، وتنبؤا الهَيْان وهو يهودي قدم من الشام،[٢٧] وخبر اسلام سلمان الفارسي[٢٨] ، وعاصم هو أبرز من روى هذا الخبر، وخبر زواج النبي من أم حبيبة[٢٩] ، وخبر صلاة مصعب بن عمير بالنـــاس في المدينة قبل هجرة الرسول صلعم[٣٠] ، وذكر اسماء بعض المهاجرين ومن نزلوا عندهم في المدينة[٣١] . وكذلك اسماء من آخا رسول الله (ص) مثل مؤاخاة خارجة بن زيد بن ابي زهير وأبي بكر الصديق (رض)[٣٢] .

ويقدم لنا عاصم بن عمر أيضا صورة مُفَصَّلة عن معركة بدر[٣٣] ، فيذكر خروج المسلمين الى بدر ، ويبرر تخلف من بقي من الانصار «فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضُهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله (ص) يلقى حَرْبا »[٣٤] . وخبر نصح عتبـــة بن ربيعـــة قريش بعـــدم محاربة

---

(٢٧) ابن هشام : السيرة ج ١ص ٢١٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٥٨ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ج ١ ص ٧٠

(٢٨) ابن هشام : السيرة ج١ ص ٢١٤ ؛ ابن سعد ج١ قسم ١ ص ١٠٤ ج ٣ ص ٣٥ (ليدن)

(٢٩) الطبري : المنتخب III ٢٤٤٧

(٣٠) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٤٣٤ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ج١ ص ١٧٣

(٣١) ابن سعد ج ٣ ص ٤٧ ، ١٥٢ ، ١٦١ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٥٣٣

(٣٢) ابن سعد ج ٣ ص ٢٧٢ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠ ، ٤٥٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤

(٣٣) ابن هشام : السيرة ج١ ص ٦٠٦ « قال ابن اسحق فحدثني محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبدالله بن ابي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن ابن عباس كل قد حدثني بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر » ؛ وانظر الواقدي : المغازي ص ٤٥ ؛ ابن سيد الناس ج ١ ص ٢٤٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٦

(٣٤) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٦٠٦ . ومن الجدير بالذكر ان الانصار لم تكن ملزمة بالحرب خارج حدود المدينة لان بيعة العقبة الثانية تؤكد على حماية الرسول في المدينة فقط .

الرسول (ص) »[٣٥] ، ويعطي وصفا لبداية المعركة[٣٦] ، ومشاركة أبو عامر عبد عمرو ابن صَيفي بن مالك بن النعمان أحد بني ضُبيعة مع قريش في حرب الرسول[٣٧].

ويذكر بلاء الانصار في المعركة ، وحتى الشيوخ الذين بقـوا في المدينة[٣٨] رغبوا في الجهاد ، واستبسال جده قتادة[٣٩] ، وعوف بن الحارث (أبو عَفْرَاء) ، وقتاله بدون درع[٤٠] . وشجاعة الانصار بالرغم من شدة القتال ، كقول سَلَمَة بن سلامة « ما الذي تهنؤننا به ؟ فو الله ان لقينا الا عجائز حُلعًا كالبُدْن المعقلة ، فنحرناها ، فتبسم رسول الله (ص) ثم قال : أي ابن أخي اولئك الملأ »[٤١] .

ويذكر قائمة باسماء من قتـل من الانصار[٤٢] ، فأول من قتـل من الانصار عُمير بن الحُمام[٤٣] ، واسماء من شـهداء بدرا من بني حارثة « ابو عبس ومسعود وأبو بُردة »[٤٤] . ثم خبر يذكر ان الملائكة مهـدوا لهذا النصر[٤٥] .

---

(٣٥) الواقدي : المغازي ص ٤٥
(٣٦) المصدر السابق ص ٤٢
(٣٧) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٦٧
(٣٨) المصدر السابق ج ٢ ض ٨٧
(٣٩) المصدر السابق ج ٢ ص ٨٢
(٤٠) المصدر السابق ج ١ ص ٦٢٧ ؛ الاصفهـاني : الاغاني ج ٤ ص ١٩٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٢٥٧
(٤١) ابن هشام : السيرة ج ١ ص ٦٤٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٣٣٥
(٤٢) الواقدي : المغازي ص ١٢٤ (ضمن اسناد جمعي)
(٤٣) ابن سعد ج ٣ ص ٥٦٥ (بيروت)
(٤٤) المصدر السابق ج ٣ ص ٤٥١
(٤٥) الواقدي : المغازي ص ٥٥

ويروي عاصم روايتين عن عدد قتلى قريش وأسراهم ، فينقل الواقدي عن عاصم ان عدد القتلى (٤٩) رجلا[٤٩] ، أما الطبري فيروي عن عاصم «اربعة واربعين أسيرا وكان مثل ذلك من القتلى»[٤٧] . وذكر اسماء بعض الاسرى ، فأسر من بني هاشم عقيل بن ابي طالب ، أسره عبيد بن أوس الظفري[٤٨] ، والعباس بن عبدالمطلب[٤٩] ، وذكر مقدار الفداء[٥٠] ، وبسالة علي بن ابي طالب (رض) ، وقتله العاص بن سعيد[٥١] . وخبر ضرب الرسول (ص) لثمانية نفر لم يحضروا بدر بأسهمهم[٥٢] .

روى عاصم ايضا عن غزوة بني قينقاع ونقضهم لعهدهم مع الرسول[٥٣] ، وسبب اخراجهم[٥٤] ، وطلب عبدالله بن ابي سلول من رسول الله أن يُحْسِنَ في مواليه بني قينقاع[٥٥] .

وروى في أخبار أحد خبر خروج أبي سفيان بعد بدر لينتقم من المسلمين وقتله رجلين من غفار ، وامرأته بالغاب[٥٦] ، وتحريض كعب بن الاشرف لقريش[٥٧] ، وتحريض عبدالله بن ابي ربيعة وعكرمة بن ابي جهل ،

---

(٤٦) المصدر السابق ص ١١٨

(٤٧) الطبري : تاريخ الرسل I ١٣٣٥

(٤٨) الواقدي : المغازي ص ١٠٥

(٤٩) ابن سعد ج ١ ص ١٢ (بيروت)

(٥٠) الواقدي : المغازي ص ٩٨ « جعل رسول الله (ص) الفداء يوم بدر أربعة آلاف لكل رجل » .

(٥١) المصدر السابق ص ١١٣ .

(٥٢) المصدر السابق ص ١١٩ .

(٥٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٤٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٣٦٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٥٩٤ .

(٥٤) الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٣٦١ .

(٥٥) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٤٨ .

(٥٦) الطبري : تاريخ الرسل I ١٥٠١ .

(٥٧) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٥١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٣٦٨ .

وصفوان بن أمية قريش ، على الاخذ بثأر قتلى بدر[٥٨] . وان صفوان بن أمية ارسل عمير بن وهب بن عمير لقتل رسول الله (ص) في المدينة فانفضح أمره[٥٩] . ثم يقدم تفاصيل عن معركة أحد[٦٠] ، ومشاركة أبي عامر عبد الله بن عمرو بن صفي بن مالك بن النعمان أحد بني خبيبة[٦١] . ثم بلاء الانصار في المعركة[٦٢] ، وحتى الشيوخ ابلو بلاءا حسنا[٦٣] ، وبسالة جده قتادة[٦٤] . وخبر قتل رسول الله (ص) أبيّ بن خلف[٦٥] . واسماء قتلى الانصار[٦٦] ، ويذكر عاصم خبر نفاق حاطب[٦٧] والقُزْمَان[٦٨] وخبر رؤيا الرسول (ص) قبل أحد وتنبأئه بمقتل عدد من اصحابه[٦٩] .

---

(٥٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٠ ؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر ج٢ ص ٢ .

(٥٩) الواقدي : المغازي ص ٩٣ .

(٦٠) الطبري : تاريخ الرسل I ١٣٨٤ (عاصم ضمن اسناد جمعي) .

(٦١) ابن سيد الناس : عيون الأثر ج٢ ص ٩ .

(٦٢) الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٣١٨ .

(٦٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٤٢٢ ؛ ابن سيد الناس . عيون الاثر ج٢ ص ١٦ .

(٦٤) ابن سعد ج ٣ ص ٤٥٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٤٠٤ ؛ ابن سيد الناس ، عيون الاثر ج ٢ ص ١٤ .

(٦٥) الواقدي : المغازي ص ١٩٦ .

(٦٦) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٢ .

(٦٧) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٨٨ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٤٢٣ .

(٦٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٥٢٥ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٤٢٣ .

(٦٩) الواقدي : المغازي ص ١٦٣ .

اما عن غزوة الخندق فيعتمد ابن اسحق على عاصم ، ضمن اسناد جمعي ، عن أسباب غزوة الخندق ، وتفاصيل المعركة[٧٠] ، وخبر ارسال رسول الله (ص) الى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري الى الحارث بن عوف المُرّي ، وهما قائدا غطفان لعقد معاهدة على أن يعطيهما ثلث ثمار المدينة كي ينسحبوا من قريش ، فاستشار الرسول سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فلم يوافقا[٧١] . وخبر بلاء سعد بن معاذ ، ومرضه ، وعيادة الرسول (ص) له[٧٢] ، ودعاء سعد على قريش[٧٣] .

اما عن غزوة بني قريضة ، فلم يصلنا الا خبر تمنى سعد بن معاذ أن ينتقم من بني قريضة[٧٤] وقول الرسول لسعد « لقد حكمتَ فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقعة »[٧٥] .

ذكر ابن اسحق ، باسناد جمعي ، تفاصيل غزوة بني لحيان[٧٦] . وخبر غزوة ذي قرد سنة ٦هـ/٦٢٧م[٧٧] . وخبر استبسال سلمة بن عمرو بن

---

(٧٠) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢١٤ ؛ البلاذري : انساب الاشراف ج ١ ص ٣٤٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٤٦٣ ـ ١٤٦٥ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج٢ ص ٥٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج٤ ص ١٠٤ .

(٧١) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٢٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٤٧٣ ـ ١٤٧٧ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ٢ ص ٦٠ .

(٧٢) ابن سعد ج٣ ص ٤٢٧ .

(٧٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٢٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٤٧٧ .

(٧٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٢٧ .

(٧٥) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٤٠ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٤٩٣ ـ ١٤٩٤ .

(٧٦) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ص ٢٨٠ ؛ ابن سعد ج٢ ص ٧٩ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ٢ ص ٨٣ .

(٧٧) الطبرى : تاريخ الرسل I ١٥٠٢ .

الأكوع الأسلمي[٧٨] ، ومقتل مُحرز بن نَضلة أخي بني أسد بن خزيمة[٧٩] .

وذكر ابن اسحاق عن عاصم – ضمن اسناد جمعي – تفاصيل سَير الرسول الى بني المصطلق ، ونفاق عبد الله بن أبيّ بن سلول[٨٠] .

اما عن غزوة مؤتة فقد وصلنا عن طريق عاصم خبر استشهاد عبد الله ابن رواح[٨١] ، وجعفر بن ابى طالب[٨٢] .

ويقدم لنا عاصم تفاصيل عن معركة حنين وانهزام الناس ، الا اصحاب رسول الله (ص)[٨٣] ، وتفاصيل المعركة[٨٤] ، وبلاء الانصار ، وعلي بن ابي طالب[٨٥] ، ثم استياء الانصار لأن الرسول (ص) لم يوزع عليهم الغنائم فخطب فيهم الرسول (ص) وأرضاهم[٨٦] .

ووصلنا منه تفاصيل خروج الرسول الى عمرة القصبة[٨٧] ، وخبر ارسال قريش مكرز بن حفص الذي رجع بعد ان علم ان الرسول لم يأت للحرب[٨٨] .

---

(٧٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٨١ .
(٧٩) المصدر السابق ج٢ ص ٢٨٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٥٠٩
(٨٠) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٩٠ – ٢٩١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٥١١ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج٢ ص ٩١ .
(٨١) ابن سعد ج ٣ص ٥٢٩ .
(٨٢) المصدر السابق ج٤ ص ٣٧ .
(٨٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٤٤٥ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٦٥٩ .
(٨٤) ابن هشام السيرة النبوية ج٢ ص ٤٦٢ ؛ ابن سيد الناس ج٢ ص ١٨٩ .
(٨٥) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٤٤٥ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٦٦٢ .
(٨٦) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك I ١٦٨٣ .
(٨٧) ابن سعد ج٣ ص ٤٤٤ ، ٥٣٢ .
(٨٨) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك I ١٥٩٧ .

اما عن غزوة عيينة بن حصن بن العنبر من بنى تميم فقد وصلنا خبـر أخذ عائشة انساناً من سبي بني العَنبر فأعتقته[٨٩] .

ووصلنا خبر اسلام كعب ومدحه للرسول مع ذكر قصيدته بانت سعاد كاملة ، وان سبب اغفاله للانصار فى قصيدته هو أن أحدهم أراد قتله فمنعه الرسول من قتله[٩٠] ، ولكن كعب مدح الانصار بقصيدة أخـــرى فيما بعـــد[٩١] .

ووصلنا عن طريق عاصـم ـ ضمن اسـناد جمعي ـ تفاصـيل سرية مَرثَد بن أبي مرثد[٩٢] . وخبر وفد عضل وانقـارة[٩٣] ، وخبر قتل خبيب[٩٤]، ثم ذكر وفد عطارد بن حاجب بن زرارة بن عـدس التميمي في اشراف من بني تميم[٩٥] . ووفد بني عامر بن صعصعة[٩٦] .

اما عن تبوك فقد وصلنا عن عاصم ـ ضمن اسناد جمعي ـ تفاصـيل هذه الغزوة ، ومقتل زيد[٩٧] .

---

(٨٩) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٦٢١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٧٦٢ .

(٩٠) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٥٠٣ وما بعدها ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج٢ ص ٢٠٩ .

(٩١) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٥١٤ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج٢ ص ٢١٢ .

(٩٢) ابن سعد : ج٢ ص ٥٥ .

(٩٣) المصدر السابق ج٣ ص ٤٢٣ .

(٩٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ١٧٢ ، ١٧٣ ؛ الاصفاني : الاغاني ج ٤ ص ٢٢٤ .

(٩٥) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك I ١٧١٥ .

(٩٦) المصدر السابق I ١٧٤٥ .

(٩٧) ابن سعد ج ٢ ص ٥٦ .

ثم هناك اخباراً متفرقة عن أعمال الرسول (ص) في المدينة ، كقيامه (ص) بترشيح نفسه نقيباً لبني النجار بعد موت أسد بن زرارة[98] . وتنبأ الرسول(ص) بموت سعد بن معاذ[99] ، وان الرسول (ص) عد سعد بن معاذ من أهل الجنة[100] ، وان سعد بن معاذ أوصى الرسول(ص) بالانصار قبل أن يموت[101] .

ثم هناك خبر عن نفاق عبدالله بن ابي بن سلول[102] . وخبر مجيء ابنه عبد الله بن عبد الله يطلب من الرسول أن يأمره بقتل أبيـــه فلم يوافق الرسول(ص)[103] ، وخبر معرفة الناس المنافقين[104] ونفــاق زيد بن اللُّصَيت[105] ، وخبر نفاق بِشْر من بني أبيرق وهجائه للرسول[106].

اما عن اخبار الخلفاء الراشدين فقد وصلنا خبر قتل عبد الله بن عمر الهرمزان[107] ، وتوسط علي (رض) مع جماعة لرد أهل مصر عن مقتل عثمان[108] .

---

(٩٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٥٠٧ ؛ الطبري : تاريخ الرســـل I ١٢٦٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج٣ ص ٢٢٩ .

(٩٩) ابن سعد ج ٣ ص ٤٢٣ .

(١٠٠) ابن هشام : السيرة النبـوية ج٢ ص ٥٢٦ ؛ الطبـــري : تاريخ الرسل I ١٧٠١ – ١٧٠٢ .

(١٠١) ابن سعد ج ٢ ص ٢٥١ .

(١٠٢) ابن هشام : الســيرة النبـوية ج٢ ص ٢٩٢ ؛ الطبــري : تاريخ الرسل I ١٥١١ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج٢ ص ٩١ .

(١٠٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٩٢–٢٩٣ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٥١٥–١٥١٥٦ .

(١٠٤) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٥٢٢ .

(١٠٥) المصدر السابق ج ٢ ص ٥٢٣ .

(١٠٦) البلاذري : انساب الاشراف ج ١ ص ٢٧٨ – ٢٨١ .

(١٠٧) ابن سعد ج ٣ ص ٣٥٧ .

(١٠٨) I الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢٩٧٠ .

واما عن العصر الاموي ، فلم يصلنا الا خبر واحد يذكر فيه اجتماع الشام لمعاوية بن ابي سفيان(١٠٩) .

يُعَدُّ عاصم بن عمر بن قتادة من « العلماء بالسير »(١١٠) ، ومناقب لرسول الله (ص)(١١١) ، وقد وصلت المقتطفات عنه عن طريق ابن اسحق والطبري وابن سعد ، وكتب التاريخ الاخرى ولا نستطيع الجزم فيما اذا كانت تقدم صورة كاملة عن الحوادث التى أهتم بها عاصم فى حقل حياة الرسول فى مكة والمدينة والمغازي .

لم يهتم عاصم بحياة الرسول (ص) في مكة ، كما يدعي هورفتس ،(١١٢) اذ لم يذكر الا اتصال الرسول بالقبائل وتفاصيل عن اتصال الرسول بالانصار ، وبيعة العقبة ، واسماء من حضرها ، وموقف العباس بن عُبادة الانصارى(١١٣) ، وتسمية النقباء(١١٤) .

كما انه ركز اهتمامه على بعض المغازى ، والحوادث المهمة ، ومعظم رواياته تتعلق بموقف الانصار من الرسول (ص) وأعمالهم فى المعارك ، وبهذا فهو لا يقدم هيكلا واضحا لحياة الرسول (ص) في المدينة كما يدعي هورفتس(١١٥) ، بينما نجد الزهري الذى كان معاصراً له قدم لنا هيكلا واضحا عن حياة الرسول (ص) فى جميع مراحلها منذ ولادته حتى آخر كلمة قالها(١١٦) .

كما انه لم يصلنا عن عاصم اخبار الخلافة الاموية ، مما يدل على عدم اهتمامه بهذه الفترة .

---

(١٠٩) المصدر السابق I ٢٨٦٥ .
(١١٠) ابن سعد ج٣ ص ٤٥٢ ؛ ابن قتيبة : المعارف ص ٤٦٦ .
(١١١) الذهبي : تراجم رجال ص ٢٢ .
(١١٢) هورفتس : المغازى الاولى ص ٤٩ .
(١١٣) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٤٤٦ .
(١١٤) ابن سعد ج ٣ ص ٦٠٣ (عاصم ضمن اسناد جمعى) .
(١١٥) هورفتس : المغازى الاولى ص ٤٩ .
(١١٦) الدورى : بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب ص ٩٣ .

ان اسلوب عاصم واضح دقيق ، وأكثر رواياته قصيرة على نمط روايات المحدثين غير أنه يذكر اخباراً طويلة في بعض الاحيان[117] . وهو لم يعن بالسند كثيرا ، الا انه يذكر في بعض الاحيان اسماء من نقل عنهم ، وأحيانا يذكر عن شيوخ من أهل المدينة دون تسميتهم[118] . وتناول أسباب نزول بعض الآيات القرآنية[119] .

ان عاصم لم يهتم في رواياته بالسنين وبتسلسل الحوادث ، بل ذكر الاحداث منفصلة غير متصلة ، ولا نعلم هل أن هذه الصفة مميزة لتفكيره ، أم انها جاءت نتيجة تلاعب المؤرخين الذين نقلوا عنه .

ويذكر عاصم اشعار الشعراء ممن شارك في الخبر[120] . وقد روى بعض القصائد الكاملة كقصيدة كعب بن زهير « بانت سعاد » بكاملها[121] ، وقصيدة كعب في مدح الانصار[122] .

تظهر أهمية عاصم من أن ابن اسحق والواقدي أخذا برواياته ، اذ يعد عاصم من شيوخ ابن اسحق[123] ، علما بأن عاصم يعد ابن اسحق عالما في المغازي[124] .

---

(١١٧) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٢١٤ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج١ ص ٦-٦١ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ج١ ص٥٧-٦٠

(١١٨) ابن سعد ج ٣ ص ٥٣٢ .

(١١٩) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٥١٦ ؛ ابن سيد الناس: عيون الاثر ج١ ص ٥٨ ؛ الذهبي : تاريخ الاسلام ج١ ص ٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ج ١ ص ٣٠٨ .

(١٢٠) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٢٤٥ ج٢ ص ٢٨٠ ؛ الطبري : تاريخ الرسل I ١٥١٥ - ١٥١٦ ، ١٧١٠ .

(١٢١) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٥٠٣ ؛ ابن سيد الناس ج ٢ ص ٢٠٩ .

(١٢٢) ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٥١٤ .

(١٢٣) الذهبي : تراجم رجال ص ٢٢ .

(١٢٤) ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٩ .

واهتم عاصم بصورة خاصة بالانصار ، محاولا ابراز موقفهم المشرف والاعمال البطولية التى قدموها للرسول (ص) فى المعارك[١٢٥] ، واستشارته لهم[١٢٦] ، وحب الرسول (ص) للانصار ، والتوصية بهم خيرا في آخر خطبة قالها قبل مماته[١٢٧] . كما انه عند كلامه عن نفاق عبدا لله بن أبي بن سلول ، يذكر منزلته فى المدينة ، وكيف انه كان المرشح لعرش المدينة لولا مجيء الرسول (ص) ثم عطف الانصار[١٢٨] وابنه عليه[١٢٩] ، مما يدل على طغيان الروح القبلية عنده .

ولعل اهتمام عاصم بالانصار لم يكن يقل عن اهتمامه بحياة الرسول (ص) وأعماله ، واهتمامه كان منصبا عليهم كقبيلته ، اذ قلما يهتم بذكر أشخاصهم فهو اذاً يهتم بتاريخ الجماعات لا الافراد ، ويبدو عليه التعصب لقبيلته ، واظهاره دورها في حياة الرسول .

غير أن ما روي عنه أقل مما روي عن بعض مؤرخي السيرةالآخرين ، ولا نعلم هل أن سبب ذلك هو أن المعلومات التى رويت عنه هى كل ما كان عنده ؟ أم ان المؤرخين المتأخرين لم يوثقوا الا النصوص التى نقلوها ، وانهم تركوا نصوصا أخرى لم يوثقوها .

---

(١٢٥) ابن هشام : السيرة النبوية ج ١ ص ٦٤٣ ج ٢ ص ٨٢ ، ٨٧ ، ٢٢٧ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ص ١٤٧٧ ، ١٥٠٣ ، ١٦٦٢ ، ١٦٩٣ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ص ١٨٩ .

(١٢٦) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٤٠ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٤٩٤ .

(١٢٧) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٤٩٨ ؛ ابن سعد ج٢ ص ٢٥١ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٦٨٣ .

(١٢٨) ابن هشام : السيرة النبوية ج١ ص ٥٨٤ ج٢ ص ٢٩٠ ؛ الطبري : تاريخ الرسل والملوك I ١٥١٥ ـ ١٥١٦ ؛ ابن سيد الناس : عيون الاثر ج ١ ص ٢٢١ .

(١٢٩) ابن هشام : السيرة النبوية ج٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣ ؛ الطبري تاريخ الرسل والملوك I ١٥١٥ ـ ١٥١٦ .

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ)
الاغاني • ج ١-١٦ طبع دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠م فما بعـــد •
ج١١-٢١
طبع محمد الساسي القاهرة ١٣٢٢ هـ

البلاذري : احمد بن يحيى (ت ٢٧٩ هـ)
انساب الاشراف • ج١ تحقيق محمد حميد الله القاهرة ، دار المعارف
بمصر ١٩٥٩

ابن حجر : ابو الفضل أحمد بن علي العسقلانى (ت ٨٥٢ هـ)
تهذيب التهذيب • (١٤) جزءا ، حيدر آباد ١٣٢٥-١٣٢٧ هـ
لسان الميزان • حيدر آباد ، ١٣٣٠ هـ

الدوري : عبدالعزيز عبدالكريم
بحث فى نشأة علم التاريخ عند العرب • بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ،
١٩٦٠ م

الذهبي : شمس الدين ابن قايماز (ت ٧٤٨ هـ)
تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام• (٦) اجزاء ، القاهرة ، مكتبة
القدس ١٣٦٧ هـ
ميزان الاعتدال (٣) أجزاء ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٠٧م •
تراجم رجال روى محمد ابن اسحق رئيس أهل المغازى عنهم نشر
فشر ، بريل ، ١٨٩٠ م

ابن سعد : محمد (ت ٢٣٠ هـ)
الطبقات الكبير • (٨) أجزاء ، ط سخاو ، ليدن ١٩٠٥ - ١٩٢١ م ،
وطبعة بيروت

ابن سيد الناس : فتح الله (ت ٧٣٤ هـ)
عيون الاثر فى فنون المغازى والشمائل والسير • جزءان ، نشر مكتبة
القدس ، القاهرة ، ١٣٥٦ هـ

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ)
تاريخ الرسل والملوك • (٣) اجزاء ، طبع دي غوية ، ليدن ١٨٧٩ م

ابن عماد الحنبلي : ابو الفلاح عبدالحي (ت ١٠٨٩ هـ)
شذرات الذهب في اخبار من ذهب • (٨) اجزاء ، القاهرة مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ •

ابن قتيبة : عبدالله بن مسلم (ت ٢٧٦ هـ)
المعارف • تحقيق ثروت عكاشة ، القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٩٦٠م

ابن كثير : اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ)
البداية والنهاية في التاريخ • (١٤) جزءا ، القاهرة ، مطبعة السعادة ١٩٣٢ م •

الواقدي : ابو عبدالله محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ)
مغازي رسول الله • القاهرة ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

ابن هشام : محمد بن عبدالملك (ت ٢١٨ هـ)
السيرة النبوية • جزءان ، تحقيق مصطفى السقا وجماعته ط٣ ، القاهرة ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

هورفتس : يوسف
المغازي الاولى ومؤلفوها • ترجمة حسين نصار ، القاهرة ، طبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م •

اليعقوبي : أحمد (ت ٢٨٤ هـ)
التاريخ • جزءان ، طبع هوتسما ، ليدن ، ١٧٨٣م •

أثر جغرافي طبغرافي قديم في صفة بلاد العرب
لمؤلف عراقي قبل عشرة قرون

الدكتور حسين علي محفوظ

اطلعت في (دار الكتب الرضوية) بمدينة مشهد مركز خراسان في ايران ، اوائل خريف سنة ١٩٥٧ - على نسخة خطية قديمة نادرة ، لعلها وحيدة ، كان خازن المخطوطات الفاضل يظن انها كتاب « أخبار مكة » للأزرقي . وقد استطلع رأيي فيها ، لأنه لم يطلع عليه .

فأعجبت بالكتاب ، ونبهت طائفة من أفاضل الباحثين الى الاستفادة منه ، وصورته ، وأعلنت نبأ عثوري عليه ، وظللت مستمراً على تصفحه وتحقيقه .

رقم هذا المخطوط (٥٧٥١/تاريخ) ، وعدد أوراقه ١١٦ ، طول كل ورقة ٢٣ سنتيمتراً ، في عرض ١٨ سم ، وفي كل صفحة ١٩ سطراً ، مكتوبة بخط نسخيّ قديم .

وهو ناقص من أوله بضع أوراق ، والمظنون أنه تام الآخر .

والنسخة غير مؤرخة ، ولكن يخيل اليّ أنها اكتتبت في أوائل القرن السادس الهجري تقريباً ، أي أوائل القرن الثاني عشر الميلادى ، وعلى ظهرها ختم مؤرخ في ٩٥٧ هـ / ١٥٥٠ م ، وكانت ملك بعضهم في القرن التاسع ، فقد ملكتها يده سنة ٨٩٩ هـ / ١٤٩٤ م .

اهتممت منذ سبع سنين بهذا المخطوط القيّم ، وفضلته على كثير من النوادر ، التى كنت اطلعت عليها - حينئذ - في ايران ، ومنها كتب ورسائل بخط حنين بن اسحاق ، المتوفى سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤ م ، ومنظومة في صور الكواكب لابن « ابن الصوفي » المعروف ، المتوفى سنة ٣٧٦ هـ / ٩٨٦ م .

ثم أتيح لي الاطلاع على أوراق بخط الشيخ العلاّمة الفهرسي الكبير ، أقا بزرگ الطهراني ؛ نزيل النجف ؛ مصنف كتاب الذريعة الى تصانيف

الشيعة ، دوّن فيها أسماء بعض الكتب كمسوّدة لكتاب الذريعة المذكور ، ومنها كتاب (منازل مكة) • وكان الشيخ أقا بزرگ الطهراني عثر على هذا الاسم ، في كتاب المنقذ من التقليد والمرشد الى التوحيد ؛ المعروف بـ (التعليق العراقي) ؛ تأليف سديد الدين ، أبي الثناء ، محمود بن علي بن الحسن ، الرازي ، الحمصي ؛ المتوفى فيحدود سنة ٥٩٠ هـ / ١١٩٤ م ؛ الذي فرغ من تأليفه سنة ٥٨١ هـ / ١١٨٥ م ؛ فقد نقل الحمصي من كتاب غرر الأدلة ؛ تأليف أبي الحسين محمد بن علي بن الطيب البصري المعتزلي ؛ المتوفى سنة ٤٣٦ هـ / ١٠٤٤ م ؛ انه قال : « قرأت بخط ابن الكوفي في كتاب منازل مكة • » وهذه الكلمة ، هي التي دعت أقا بزرگ ان يثبت اسم كتاب منازل مكة ، وينسبه الى ابن الكوفي ، في كتابه الذريعة • فقلت : ربما كان هذا المخطوط « منازل مكة » ، ولعل مؤلفه « ابن الكوفي » •

أما ابن الكوفي ـ وهو أبو الحسن علي بن محمد بن عبيد بن الزبير ، الأسدي ، القرشي ، المعروف بابن الكوفي ، وابن الزبير ؛ فقد ولد بمدينة الكوفة سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م واستوطن بغداد ، وتوفي بها سنة ٣٤٨ هـ / ٩٦٠ م ؛ فاكتفي ـ الآن ـ بالاشارة الى اني أكاد أعدّ هذا النابغة العراقي من أوائل المحققين العرب ، الذين اتبعوا الطريقة العلمية الصحيحة في التأليف والكتابة ، والنقل والجمع •

وكان خطه معروفاً بالصحة والجودة والاتقان والضبط • وكانت تأليفاته غاية في الدقة • وقد رتب خزانته على العلوم ترتيباً خاصاً بارعاً ، مع تعيين أمكنتها • كما انه سبقنا الى استعمال البطاقات والجزازات ؛ وهي الرقاع والوريقات التي تعلّق فيها الفوائد ؛ التي نسمّيها اليوم (فيش = FICHE في التأليف والجمع • وقد بيعت رقاعه ـ بعد وفاته ـ كل بطاقة بدرهم • والدرهم يساوي ٢١٥ فلساً عراقياً ؛ بحسب عملتنا ، وفق تكسير سعر الدينار الذهب العراقي القديم ، في زمن ابن الكوفي ، على عشرة دراهم •

وقد اعتمد ابن النديم على مباحث ابن الكوفي . ولقد أحصيت مآخذ ابن النديم في كتابه (الفهرست) من خط ابن الكوفي ؛ فوجدته نقل فصولاً طوالاً في ٢٩ موضعاً من الكتاب ، ربما أوشكت ان تبلغ مقدار عشر الفهرست تقريباً .

ومما يزيد أهمية ابن الكوفي ، انه كان واسطة نقل التراث العلمي ، الذي تمّ طوال القرون الأربعة الأولى من تاريخ الثقافة الاسلامية . وقد حسبت ما وصلت الينا أسماؤه ، مما رواه عنه واحد من تلاميذه فقط ، وهو (أبو عبدالله أحمد بن عبدون) المعروف بـ (ابن الحاشر) ، المتوفى سنة ٤٢٣ هـ / ١٠٣٢ م ، فوجدته ٦٠٠ كتاب في اللغة ، والأدب ، والخطب ، والتاريخ ، والأنساب ، والتفسير ، والفقه ، والشعر ، وسائر العلوم الاسلامية . فقد أوصل الينا ٤٠٠ أصل من كتب الحديث ، كما أوصل الينا آثار ١٩ عالماً من رجال الفكر الاسلامي ، والثقافة الفقهية .

أمّا هذا الكتاب ، الذي أتكلم عليه ؛ فأكاد لا أشك ان اسمه (منازل مكة) فان مؤلفه صنفه في صفة منازل مكة . وقد صرح بالاسم عدة مرات ، فقال في الورقة (١٠١ ب) : « منازل مكة على طريق البصرة » وذكر في الورقة (٨٩ ب) : « قصيدة في وصف (المنازل الى مكة) » . وفي الورقة (١٧٦أ) : « ذكر المنازل على طريق مكة » نظماً .

ولقد وصف الطريق غاية في الدقة من (الكوفة) الى (مكة) ؛ فتكلم على المنازل من (طريق لينة) ـ وهو بدء القسم الموجود من المخطوط ـ الى (الربذة) . ثم طريق (الربذة) الى (المدينة) .

ثم ذكر (مسجد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم) الذي بناه حين قدم مكة ، والمسجد الذي بناه لمّا قدم من خيبر .

وقد وصف (مسجد النبيّ) في المدينة ، وبيّن زيادات (عثمان بن عفان) و (الوليد بن عبدالملك) و (المهدي) • وذكر (القبر) ، واختلاف الناس فيه • وكذا قبر (أبي بكر وعمر) ، وأشار الى (ذراع القبر) أي : مساحته •

وذكر – أيضاً – الكتابة التي حول المسجد ، وزينة المسجد ، وتوسيعه أيام (عمر بن عبدالعزيز) وبقية الخلفاء والولاة ؛ ولا سيما (المهدي) و (هارون) ، ومن بَعْدَه • ثم ذكر حدّ جدار النبيّ ، وذكر مساجده في المدينة ، ومساحتها ، وذكر العود (= المنبر) •

ثم بيّن حدّ (المدينة) ، وجبالها ، ومياهها ، وما حولها من الجبال • وذكر أرباعها (= أقسامها) ، وقبور الشهداء بأحد ، وأسماءهم •

ثم ذكر طريق (بدر) ، ثم فصّل الكلام على الطريق بين المدينة ومكة ، ووصف المنازل الى مكة ، وذكر آداب الحج •

وذكر – من بعد – مكة ، وأسماءها ، وسبب تسميتها • ووصف (المسجد الحرام) ، و (الصفا) و (المروة) و (الكعبة) ، وبنيانها ، و (زمزم) ، ومساحة المسجد الحرام والكعبة •

وذكر الطريق الى (منى) ، و (المشاعر) ، ومسافاتها • ثم الطريق القديمة بين (خيبر) و (المدينة) ، ومسافاتها ، وطريق (سلمان) •

وأفرد فصلاً جغرافياً لوصف (الحجاز) ، و (جزيرة العرب) ، و (نجد) ، و (تهامة) وحدّها •

ثم أثبت منظومة طويلة في ذكر المنازل على طريق مكة لـ « أحمد بن عمرو » ـ الذي كان مع أم جعفر « زبيدة » سنة حجها ، ووصف سفرها من (بغداد) الى (الكوفة) ثم الى (مكة) ، ثم الخروج في الطريق الأول ، الى (مدينة السلام) بغداد ـ عدتها ٢٧٣ بيتاً ، في ٥٤ فصلاً ؛ هي :

(١) طريقة مكة •
(٢) الفرات •
(٣) سورا •
(٤) نهر أبا •
(٥) أسفل الفرات •
(٦) الكوفة •
(٧) القادسية •
(٨) المغيثة •
(٩) القرعاء •
(١٠) واقصة •
(١١) العقبة •
(١٢) القاع •
(١٣) زبالة •
(١٤) الشقوق •
(١٥) البطان •
(١٦) الثعلبية
(١٧) الخزيمية •
(١٨) الأجفر •
(١٩) فيد •
(٢٠) توز •
(٢١) سميرا •

(٢٢) الحاجر .

(٢٣) النقرة .

(٢٤) مغيثة الماوان .

(٢٥) الربذة .

(٢٦) السليلة .

(٢٧) العمق .

(٢٨) المعدن .

(٢٩) افيعية .

(٣٠) المسلح .

(٣١) الغمرة .

(٣٢) ذات عرق .

(٣٣) البستان .

(٣٤) المشاش .

(٣٥) مكة .

(٣٦) منى .

(٣٧) عرفات .

(٣٨) المزدلفة .

(٣٩) المشعر .

(٤٠) بطن مر .

(٤١) عسفان .

(٤٢) فديد .

(٤٣) الجحفة .

(٤٤) الأبواء .

(٤٥) السقيا .

(٤٦) الروحاء .

(٤٧) السيالة .

(٤٨) ملل .

(٤٩) المدينة .

(٥٠) الطرف .

(٥١) بطن نخل .

(٥٢) العسيلة .

(٥٣) المحدث .

(٥٤) الطريق الأول .

ومنظومة أخرى في وصف الطريق – أيضاً – تحتوي على ١٥٢ بيتاً ؛ أولها :

الحمد لله البديع البادي ذي المن والقدرة والأيادي

ومنظومة ثالثة ، أنشدها أبو جعفر ، أحمد بن محمد بن الضحاك بن عمر ؛ الجماني ، الكوفي – فى ٢٧ بيتاً ؛ أولها :

سير حثيث وزمان مسعد وعدوة طاب عليها المرقد

ومنظومة رابعة ؛ للمؤلف فى وصف طريق العودة الى الكوفة ، قوامها ٤٨ بيتاً ؛ أولها :

الحمد للرحمن وهو يحمد وحسبنا الله العلي الأمجد

ثم ذكر طريق (البصرة) ، ومياهه ، والطريق التي يسلكها الناس فى عصره .

وذكر – أيضاً – طريق (البحرين) .

وأثبت قصيدة (وهب بن جرير بن حازم الجهضمي) فى (الطريق والمناسك) ، عدّتها ٣٠٩ أبيات ، أولها :

قربت للرحلة يوم الاثنين كل علند أيّد المعدين

وأورد أخيراً الطريق الى (مكة) من اليمن ، و (تهامة) ، و (حضرموت) ، و (مصر) و (الساحل) ، و (الشام) ، و (الطائف) ، و (جُدّة) .

وهو يروي كل ما يأتي به ، عن الرواة الثقات ؛ باسنادهم ، ويصف الأمكنة والمنازل ، ومن ينزلها من القبائل ، وأسماءها ، وأسباب تسميتها ، ويعين مسافاتها ، وبعدها عن البقاع المحيطة بها ، وما فيها من قصور ، ومساجد ، وبرك ، وأحواض ، ومشارب ، ومصافي ، ومسايل ، ومجاري ، وآبار ، مع بيان أسمائها ومياهها . وكذلك الهضاب ، والعقبات ، والرمال ، والرياض ، والبساتين ، والحدائق . ويعيّن أنواع الأرضين ، وارتفاعها ، والآبار المطمورة ، والمعطلة ، والعذبة ، المالحة . ولم ينس اثبات ما قيل في ذلك كله من الشعر ، وما ورد فيه من الاخبار .

وقد ضمنه نيفاً وستين مقطوعة ، ونتفة ؛ لطائفة من الشعراء ؛ منهم :

الأشهب بن رميلة .
الأعشى .
امرؤ القيس .
جرير .
الخنساء .
ذو الرمة .
زهير .
سحيم عبد بني الحسحاس .

الشماخ .
الصمة بن عبدالله القشيري .
طرفـــة
عبيد بن الأبرص .
الفرزدق .
قيس بن ذريح .
كثـــير .
معقر بن اوس بن حمار البارقي .
النابغـــة ... الخ .

فالكتـــاب ـ اذن ـ مجموع أدبي ، تاريخي ، نَسَبي ، جغـــرافي ، طبغرافي ، فقهي .

وقد روى المؤلف في كتابه هذا عن جماعة ، زادوا على مائة من العلماء والأخباريين ؛ استطعت أن أعرف حياة نيّف وأربعين منهم ؛ هم :

١ ـ ابراهيم بن مجش بن معـدان ، أبو اسـحق الكاتب . مات فى جمادى الآخرة سنة ٢٥٤ هـ [١] .

٢ ـ أحمد بن اسمعيل بن محمـد بن نبيه ، أبو حذافة السهمي ، من أهل مدينة الرسول .

سكن بغداد ، ومات فى سنة ٢٥٩ هـ [٢] .

٣ ـ أحمد بن بديل بن قريش بن الحارث ، أبوجعفر اليامي ، الكوفي. مات سنة ٢٥٨ هـ [٣] .

---

(١) تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٨٤ ـ ٥

(٢) المرجع المذكور ج ٤ ص ٢٢ ـ ٤

(٣) المرجع نفسه ج ٤ ص ٤٩ ـ ٥٢

٤ ـ أحمد بن عبدالجبار بن محمد بن عمير بن عطارد بن حاجب بن زرارة ، أبو عمر التميمي • المعروف بالعطاردي • من أهل الكوفة ، قدم بغداد وحدث بها • مات بالكوفة سنة ٢٧٢ هـ[٤] •

٥ ـ أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد ، أبو سعيد القطان البصرى • مات بالعسكر ، سنة ٢٥٨ هـ [٥] •

٦ ـ أحمد بن منصور بن راشد ، أبو صالح الحنظلي المروزى ، ويلقب زاج • ورد بغداد حاجاً في سنة ٢٥٤ هـ ، ومات في شهر ذى الحجة سنة ٢٥٧ هـ[٦] •

٧ ـ أحمد بن منصور بن سيار بن معارك ، أبو بكر الرمادى • مات سنة ٢٦٥ هـ [٧] •

٨ ـ أحمد بن الوليد بن ابان ، أبو جعفر الكرابيسي ، المعدل • مات بالعمق منصرفه من مكة سنة ٢٥٩ هـ[٨] •

٩ ـ ادريس بن عيسى ، أبو محمد ، القطان المخرمي • مات في سنة ٢٥٦ هـ[٩] •

١٠ ـ اسمعيل بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو محمد [١٠]

١١ ـ جعفر بن محمد بن أبي عثمان ، أبو الفضل الطيالسي • مات في شهر رمضان سنة ٢٨٢ هـ[١١] •

---

(٤) المرجع نفسه ج ٤ ص ٢٦٢ ـ ٥
(٥) المرجع نفسه ج ٥ ص ١١٧ ـ ٨
(٦) المرجع نفسه ج ٥ ص ١٥٠ ـ ٥١
(٧) المرجع نفسه ج ٥ ص ١٥١ ـ ٣
(٨) المرجع نفسه ج ٥ ص ١٨٦ ـ ٧
(٩) المرجع نفسه ج ٧ ص ١٢ ـ ٣
(١٠) الرجال للنجاشي ص ٢١ ، وخلاصة الاقوال ص ٦
(١١) تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٨٨ ـ ٩

١٢ ـ جعفر بن محمد بن شاكر ، أبو محمد الصائغ ، المعروف بابن شاكر . توفي في ذي الحجة سنة ٢٧٩ هـ[١٢] .

١٣ ـ الحارث بن محمد بن أبي أسامة ، أبو محمد التميمي . مات في ذي الحجة سنة ٢٨٢ هـ[١٣] .

١٤ ـ الحسن بن محمد بن الصباح ، أبو علي الزعفراني . مات في شهر رمضان سنة ٢٦٠ هـ[١٤].

١٥ ـ الحسن بن محمد بن أحمد بن الهيثم الأموى ، عم أبي الفرج[١٥] . أو الحسن بن محمد بن أحمد بن أبي الشوك ؛ أبو محمد الزيات . مات في سنة ٣٢٩ هـ[١٦] .

١٦ ـ الحسن بن مكرم بن حسان ، أبو علي البزار . مات في شهر رمضان سنة ٢٧٤ هـ[١٧] .

١٧ ـ الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب بن ثابت ؛ قاضي مكة بن عبدالله بن الزبير ، أبو عبدالله الأسدي المدني العلامة . توفي في ذي القعدة سنة ٢٥٦ هـ[١٨] .

١٨ ـ سعدان بن نصر بن منصور ، أبو عثمان الثقفي البزاز ؛ اسمه سعيد ، والغالب عليه سعدان . مات في ذي القعدة سنة ٢٦٥ هـ[١٩] .

١٩ ـ سعيد بن أحمد بن عثمان ؛ صاحب يحيى بن أيوب المقابرى(ظ). كان حياً سنة ٢٦٦ هـ[٢٠] .

---

(١٢) المرجع نفسه ج ٧ ص ١٨٥ ـ ٧

(١٣) المرجع نفسه ج ٨ ص ٢١٨ ـ ٩

(١٤) المرجع نفسه ج ٧ ص ٤٠٧ ـ ١٠

(١٥) المرجع نفسه ج ٧ ص ٤١٧

(١٦) المرجع نفسه ج ٧ ص ٤١٩

(١٧) المرجع نفسه ج ٧ ص ٤٣٢ ـ ٣

(١٨) المرجع نفسه ج ٨ ص ٤٦٧ ـ ٧١

(١٩) المرجع نفسه ج ٩ ص ٢٠٥ ـ ٦

(٢٠) المرجع نفسه ج ٩ ص ٩٥ ـ ٦

٢٠ ـ صالح بن عمر [ان] بن حرب ، أبو شعيب الدعا ، بخاري الأصل • مات في ذي القعدة سنة ٢٨٥ هـ[٢١] • أو : صالح بن محمد بن عمرو بن حبيب ؛ أبي الأشرس الأسدي • يكنى أبا علي ويلقب جزره • مات سنة ٢٩٤ هـ[٢٢] •

٢١ ـ صالح بن محمد بن عبدالله بن زياد بن دراج ، وقيل درعاز ؛ أبو توبة الكاتب[٢٣] •

٢٢ ـ عبدالله بن أحمد بن ابراهيم بن كثير ، أبو العباس ؛ العبدى الدورقي • مات في ربيع الأول سنة ٢٧٦ هـ[٢٤] •

٢٣ ـ عبدالله بن الحسن بن أحمد بن أبي شعيب عبدالله بن الحسن ، أبوشعيب الأموى ، الحراني المؤدب • توفى في ذي الحجة سنة ٢٩٥ هـ[٢٥] •

٢٤ ـ عبدالله بن شبيب ، أبوسعيدالربعي ، البصرى • قدم بغداد[٢٦] •

٢٥ ـ عبدالله بن أبي سعد ، أبو محمد الوراق • وهو عبدالله بن عمرو بن عبدالرحمن بن بشر بن هلال الانصاري ؛ بلخي الأصل ، سكن بغداد • مات بسامرا سنة ٢٧٤ هـ[٢٧] •

٢٦ ـ عبدالله بن محمد بن سنان بن الشماخ ، أبو محمد السعدى البصرى ، يعرف بالروحي ، ولي قضاء الدينور • وقدم بغداد[٢٨] •

---

(٢١) المرجع نفسه ج ٩ ص ٣٢١
(٢٢) المرجع نفسه ج ٩ ص ٣٢٢ ـ ٩
(٢٣) المرجع نفسه ج ٩ ص ٣١٩ ـ ٢٠
(٢٤) المرجع نفسه ج ٩ ص ٣٧١ ـ ٢
(٢٥) المرجع نفسه ج ٩ ص ٤٣٥ ـ ٧
(٢٦) المرجع نفسه ج ٩ ص ٤٧٤ ـ ٥
(٢٧) المرجع نفسه ج ١٠ ص ٢٥ ـ ٦
(٢٨) المرجع نفسه ج ١٠ ص ٨٧ ـ ٨

٢٧ ـ عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، أبو محمد الكاتب الدينوري . مات في ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ[٢٩] .

٢٨ ـ عبدالله بن محمد بن شاكر ، أبو البختري العنبري الكوفي . استوطن بغداد . وتوفي سنة ٢٧٠ هـ[٣٠].

٢٩ ـ عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمن يلقب حبتر البلخي[٣١].

٣٠ ـ علي بن داود ، أبوالحسن التميمي القنطري . مات في ذي الحجة سنة ٢٧٢ هـ[٣٢] .

٣١ ـ علي بن شعيب بن عدي بن همام ، أبوالحسن السمسار الطوسي . مات في شوال ببغداد سنة ٢٥٣ هـ[٣٣].

٣٢ ـ علي بن مسلم بن سعيد ، أبو الحسن الطوسي ، سكن بغداد ، ومات بها في جمادى الآخرة سنة ٢٥٣ هـ[٣٤] .

٣٣ ـ الفضل بن الحسن بن محمد بن الفضل بن الأعين ، أبو العباس الانصاري الأهوازي . مات في ذي القعدة سنة ٢٨٨ هـ[٣٥].

٣٤ ـ فضل بن سهل بن ابراهيم ، أبوالعباس الأعرج مولى بني هاشم . مات ببغداد في صفر سنة ٢٥٥ هـ[٣٦].

٣٥ ـ القسم بن محمد بن عباد بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة ، أبو محمد الازدي البصري المهلبي . سكن بغداد[٣٧] .

---

(٢٩) المرجع نفسه ج ١٠ ص ١٧٠ ـ ١
(٣٠) المرجع نفسه ج ١٠ ص ٨٢ ـ ٣
(٣١) المرجع نفسه ج ١٠ ص ٤٢٤
(٣٢) المرجع نفسه ج ١١ ص ٤٢٤ ـ ٥
(٣٣) المرجع نفسه ج ١١ ص ٤٣٥ ـ ٦
(٣٤) المرجع نفسه ج ١٢ ص ١٠٨ ـ ٩
(٣٥) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٣٧١
(٣٦) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٣٦٤ ـ ٥
(٣٧) المرجع نفسه ج ١٢ ص ٤٣١

٣٦ ـ محمد بن اسمعيل بن البختري ، أبو عبدالله الواسطي يعرف بالحساني • مات سنة ٢٥٨ هـ[٣٨] •

٣٧ ـ محمد بن الجهم بن هارون ، أبو عبدالله الكاتب السمري ؛ صاحب الفراء • مات يوم الاثنين أول رجب سنة ٢٧٧ هـ[٣٩] •

٣٨ ـ محمد بن خلف بن عبدالسلام ، أبو عبدالله الاعور يعرف بالمروزي لأنه كان يسكن محلة المراوزة • مات في سنة ٢٨١ هـ[٤٠] •

٣٩ ـ محمد بن سعيد بن غالب ، أبو يحيى العطار الضرير • مات فى شوال سنة ٢٦١ هـ[٤١] •

٤٠ ـ محمد بن عبدالله بن المبارك ، أبو جعفر المخرمي ؛ قاضي حلوان • مات فى سنة ٢٥٤ هـ[٤٢] •

٤١ ـ محمد بن عبدالرحمن أبو جعفر ؛ الصيرفي • مات فى ربيع الآخر سنة ٢٦٥ هـ[٤٣] •

٤٢ ـ محمد بن عبدالملك بن زنجويه ، أبو بكر • مات فى شهر رمضان سنة ٢٥٧ هـ[٤٤] •

٤٣ ـ محمد بن علي بن حمزة بن الحسين بن عبدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب ، أبو عبدالله العلوي • مات فى سنة ٢٨٧ هـ أو ٢٨٦[٤٥] •

---

(٣٨) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣٦ ـ ٧
(٣٩) المرجع نفسه ج ٢ ص ١٦١
(٤٠) المرجع نفسه ج ٥ ص ٢٣٥ ـ ٦
(٤١) المرجع نفسه ج ٥ ص ٣٠٦ ـ ٧
(٤٢) المرجع نفسه ج ٥ ص ٤٢٣ ـ ٥
(٤٣) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣١٢ ـ ١٣
(٤٤) المرجع نفسه ج ٢ ص ٣٤٥ ـ ٦
(٤٥) المرجع نفسه ج ٣ ص ٦٣

٤٤ ـ محمد بن عمرو بن سليمان ، أبو عبدالله يعرف بابن أبي مذعور[٤٦] .

٤٥ ـ محمد بن نصر بن عبدالله ، أبو بكر الصائغ المخرمي . توفى سنة ٣٢١ هـ [٤٧] . أو محمد بن نصر بن منصور بن عبدالرحمن بن هشام بن عبدالله ، أبو جعفر الصائغ . مات في شهر رمضان سنة ٢٩٧ هـ [٤٨] .

٤٦ ـ هرون بن أحمد ، أبوالقاسم الورداني . بلخي ؛ نزل بغداد[٤٩] .

٤٧ ـ يحيى بن حسن بن جعفر بن عبدالله بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ عليهم السلام[٥٠] .

وهؤلاء كلهم أجمعون ، ممن كان يعيش في بغداد ، في أواخر القرن الثالث ، وأوائل القرن الرابع الهجرى ؛ التاسع والعاشر الميلادى ؛ وهو عصر ابن الكوفي . وقد أدرك بعضهم في أوائل صباه ، وعاصر الآخرين وهو في ريعان الشباب . ولاريب انه لاقاهم فاستفاد منهم كل ما ذكره في كتبه ، فنحن نعلم ان ابن الكوفي « اشتغل بطلب العلم من يومه » كما قال القفطي[٥١] .

هذا ـ أما مؤلف الكتاب ؛ فهو عراقي ـ على كل حال ـ سواء كان ابن الكوفي ، أم لم يكنه ؛ لأنه خص العراق بالجزء الأكبر من الكتاب ، ووصف طريق العراق مفصلاً ؛ وقد أوجز في الكلام على الطرق الأخرى ، واكتفى ـ أحياناً ـ بالأسماء .

---

(٤٦) المرجع نفسه ج ٣ ص ١٣٠

(٤٧) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣١٩

(٤٨) المرجع نفسه ج ٣ ص ٣٦٨ ـ ٩

(٤٩) المرجع نفسه ج ١٤ ص ٢٥ ـ ٦

(٥٠) جامع الرواة ج ٢ ص ٣٢٧ ، وخلاصة الاقوال ص ٨٨ ، والفهرست للطوسى ص ١٧٨ ـ ٩ ، ومعالم العلماء ص ١١٨ ، والرجال للنجاشى ص ٣٠٩

(٥١) انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥

كما نستطيع أن نقول : انه عاش فى القرنين الثالث والرابع (التاسع والعاشر الميلادى) لأنه روى عن رجال من أهل ذينك القرنين .

وربما صح أن نقول ــ أيضاً ــ انه كوفي ؛ لأنه اهتم بالكوفة ، وخصها بكثير من العناية والكلام فى قصيدته التى وصف بها الطريق ، وكانت آخر مراحل سفره .

وهو بغدادى المنزل ؛ لأنه روى عن علماء كانوا جمعاً فى بغداد .

فهل هو ابن الكوفي ؟!

دا

حدثهم موسى عليهم نبا بهم فامس الواحد منهم انفردوا واخرج معه
سبعا وجبة به الى المهدى ومن بطان الى الثعلبية اثنان وعشرون ميلا
ونصف وبها قصر ومسجد وفى الوادي لبني اسد للعثيم بن منيع وخصوم المنزل
تدعى الخالصية لها مصفاه وهل مصفا رمنا ونصف من البركة بشرة بر عمود
تعرف بالمهلبي وخزانة للماء في وسط الوادي من عمل عمر بن فرج وفيها
بير لام المتوكل وفيها اعراب وفي سوق الغار يعرف من غنيز بن خوصنا

قبر العبادي

وقبر العبادي حاذى جوز من بطان
على اقل من ميل عن يسار الطريق [illegible] عن ابي بكر بن عياش ان اسمه ساسان
بن دوربة كان نصرانيا فاسلم ومات هناك [illegible] ابراهيم بن الجنيد عن ابي
بكر بن عفان قال سمعت ابا بكر بن عياش يقول وجاء رجل خراساني فقال
يا ابا بكر [illegible] لم ارم قبر العبادي قال ولم لم ترمه رحمه الله كان رجلا
صالحا امر بمعروف فقتل فهذا قبره ن حدثني محمد بن موسى
عن محمد بن السري عن هشام بن محمد الكلبي قال اخبرنا ابو بكر بن عياش عن اهله
عمر بن عياش عن ابي كثير ان دوربة بن بزرجمهر بن ساسان كان نصرانيا وكان على
فرج من فروج الروم ما دخل عليهم [illegible] فاخافه [illegible] تلحق بالروم
فلم يامن حتى هزم سعد بن ابي وقاص فبنا له القصر والمسجد وكتب معه
الى عمر فاخبره بحاله فاسلم وعرض له عمر في الديوان واعطاه وصرفه الى
سعد مع [illegible] العبادية حتى اذا كان بهذا المكان
ما [illegible] الله ثم انتظروا [illegible] فلتشهدوا انه على [illegible] امر دمه
من قوم من الاعراب [illegible] الطريق فاشهدوا [illegible] ذلك

وفيه لها السواني ومصفاة له وبها بئر تعرف ببئر البرود وبئر تعرف بالوزيرية
وبئر تعرف بالرمادي وبئر تعرف بعنبه وخزانة للماء. ومن اراد طريق
بحبه وهو طريق سهل عن يمين بركة السقوف الواطئة بشره وهو مصعد
فيخرج عن المشرف [illegible] وسكة بين الخفير ما المهدي بينها وبين الطريق ميلان
وقد [illegible] وعطلت وعلى ميلين من السقوف قصر خرب لام جعفر وعلى
ستة اميال منه على الطريق بركة تسمى [illegible] وقباب ومسجد يدعى الرشيدية
وهذا الموضع اول الوادي والوادي عقاب صعاب وارض حسنة صعود
وهبوط الى البطان ويقال انها ستة وثلاثون عقبة وفيه رمل كثير
ثم بركة السبخة وقصر وقباب وهو المنصف

الطلح

ولا المليحة على اثني عشر ميلا من بطان [illegible] بركة كان فيه نحو طلح وقباب
خالصة وخزانة للماء والبركة تسمى [illegible] دون البطان بستة اميال

البطان

خبرنا عبد الله بن عمرو بن بشر عن ابي هميم
بن عطارد الاسدي قال سمعت تميم بن [illegible] الناشري يخبر عن جده ارطاة
الناشري ان بطانا انما سميت بطانا لانها باسفل الهبير الذي يسمى بطن [illegible] والهبير
وادي [illegible] من الجرف وهي لبني ناشرة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان
بن اسد زعم جعفر بن الحسين اليقطيني [illegible] قالوا اخبرنا ابو موسى اخو يقطين
[illegible] البطان ما طال الحفر حتى كانوا ينزلون بالسرح [illegible] خرجت عليهم
ريح من جانبها فلم يلتئم الحفر ولا النزول فطلبوا ذلك واخبره ابو موسى
وكان [illegible] والبيت فنزل [illegible] في النقب الذي خرجت منه
الريح فاخبرا [illegible] الى [illegible] واذا [illegible] عظيم

وإذا الصابيا السوى عن فتنو ان زملنا ابراب ٥ وهو الالطاط منازل
العرب الى منتهى السباح والحمار والاحول بالالاحه من ارض العجم منازل
لمن منزله من العرب بالعراق معروف في الجاهلية الاسلام وذكر مملكة فارس
حد الجوخان خراسان وسجستان وفارس والمهالك وهو زمينا ن
وبها العراد من ارض النبط من مهب الاهواز الى منتهى اداني الموصل
الى منقطع دجلة البصرة في البحر الى منتهى العراق العراق وكرمان
والسند والهند من العراق ه وكرمن هو وحد العراق الى الطائف
الى تهامة من قبل ذات عرق فجبال الحجاز وحد الحجاز الذي يلي العراق
ويلي تهامة من قبل ذات عرق فجبل احمر يرتفع حتى يجاوز بطن العقيق
منحدرا فاطل جبال تهامة واصعد منها مهب الشمال الى الله جل وعز بلغ
الله او دونها وتهامة غور اليمن كلها واما السراة اعلى واوسع من الغور
وتهامة من ارض اليمن والدليل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم
الايمان يمان والحكمة يمانية فاذا انقطعت حد العراق من مهب الجنوب
الى منبت الغضاه والرمل والاحساء السواد وهو منبت النخل الى البحرين
فاستقبل الشمال فحيث كم قد اهبطا اي التي تمار حتى تبلغ الشحر من اليمن
دون بلاد اليمن ه وحدثني عن محمد بن صالح قال وسمعت ابا عبيده مره
اخرى يقول العراق ما تنحا على حد العراق ما دون البحرين الى البحر
ورمل الحرام فقال بعضهم حصرا في وسيمه وقال بعضهم البياح الى الحجم
الوصله الى تهامة على سما نجد اذا طلعت من العراق فانت في نجد

والقوم منهم في هنا وكمد   ينتكوا الى صاحبيها فرحـ
ـت وبان مسكينا ناصبا   كأن في أطرافنا عصا ورما
أو كمن سبع انشب المخالبا   فقلت صبرا لا تكن جزوعا
بوشك فلما فرجا سويعا   فصاح بي وارسل الدموعا

النباج

حتى اذا مرت على النباج   واصله اللهجة بالادلاج
مرت بماسالح تحبا ج   تروى به النخل وعين الفضل
لمنزل يا دكتبه الامثل   به نطال الكرام الاهل
من عبد شمس سعد وين صميمها   بهمهم الابطال من قرومها
الى اروم طاب ارومها   حلوا بحلا حيث حلو الجامع
ما دخلاوننا را بعيـل   وصدمره ومدا واسعا
للبحر فيه متحرو سح   ومنزل لمطرد مستبح
يسن في حافاته السيوح   موضع القوم بها ما وصفوا
من رادهم واختلوا انا سعوا   وصاح شوا قريهم فانتفعوا

الصريف منعشا

حتى اذا امر ذحل الصريف   حرنة المعهد بارض الريف
ما الجريب لسبورك الحروف   سعوا الحماد امبه المنا سمر
في سبسب جرد المدافاثم   اعبر دي نفـ وذي صوا ايم

القصيم

حتى اذا اوفت على القصيم   وخلفت ارض بني تميم
قلت لها جدي ولا تقيمي   ما خلفت تخطو في زماله
مثل الخطاط الدعلج الحباله   تحدو اذا انخفضت على شماله
حتى اذا اوفت بقاع يوكلا ن   من هوه تحوي امام الاذان
حرب امور دا ب لوت مرعان   تم مصت منها يوم الرحلا
يقدم اصلاحا عنانا بزلا   كاد يذرى حلسها والرحلا

القنوبيان منزلك

عامرة للعربين ها ى   لو عطف لم ينغ لم ينتش
في الحركها يبين المعرب   يهزه في اتبق بها د ز
لما رايت وبه بن غا مر   تصمها بالاعين العواسر
فوردت المشرها انطلع   على اسنانها حراره لم تنقع
متى تغرها لما انحسر ع   بها وبحق في صمم البرد
فلما طسها الورد بعد الورد   عمهمه كالطفل حركها
فاخبر القوم وقالوا اشمروا   فاريخلوا لوهن حوض متمو
سبقا فقي سابح عد و ر   عجلر منعنسا
تم مضحكوا لبث عجلن   يخطر السراة الوعى المهيد
لوطلبت فحسه لم يعجز   مسدنة لبث الكثيب
هبل فيه عملان الزبيب   بانه النزعل الدوب
لسرف فيه تارة   وعمر ر دالبه السالمها العبا الشر

خمسة فلتثن مبكا وملحه ما وكا صالح ستعرف كاملها وان مرتها من القطبيات

وفي مثله ابيات منها مكتنف ملحة الوضح والجمال التي ذكرتها عنبسة   قال

امهر من اهله ملحوب   فالقطبيات فالذنوب

فراكس فثعالبات   فذات فرقين فالقليب

فعردة فقفا حبر   ليس بها منهم عريب

الرجيع

عن عبد الحميد بن ابي يزيد قال لما كان زمن يزيد بن المهلب خرجنا الى مكة فحدرنا بماء يقال له الرجيع فقالوا ههنا دخل رأى النبي صلى الله عليه فانتفاه فقلنا ادرانا النبي صلى الله عليه قال نعم وكتب لي بهذا الماء كتابا قال فقلنا ما اسمك قال العداء بن خالد بن هوذة   والرجيع ماء اخبرني جبير عن علي بن محمد عن ابيه جبل راسه محمود كان راسه رجع وفيه يقول بعض الشعراء

شربت الراح مزجا لا مزاجا   ولما افض من اسما حجاجا

فيا لك يوم منعم وعيش   نعاطينا مع الصبح الزجاجا

ودونا الاعنة مشكلات   فاوردنا رجيعا او سواجا

فاوفقنا لحضهم واسمحا   واسقينا من الماء الاجاجا

وانبا غائبين وقد شربنا   امورا ما لنا كانت حجاجا

ثم الذئبة

اخبرني ابن ابي سعد عن النوفلي قال الذئبة لبني سليم كان وفدهم قدموا على رسول الله صلى الله عليه فاستقطعوه اياه فلم يقطعهم ولم يعطهم وسالوه ان يزودهم شيئا يتبركون به فاعطاهم جبابة من تمر عشيلة فجاوزا بها الى حاي بهم ففي من لطعم جبابة

في الجاهلية وأسلموا عليها في الإسلام والذي نفسي بيده لولا المال الذي أحمل عليه
في سبيل الله ما حميت عليهم من بلادهم شبرا . والحمى مذكور في أشعار
العرب من ذلك قول الشاعر

ألا أسأل الله أن يسقي الحمى بلى فسقى الله الحمى فالمطاليا

وأسأل من لاقيت هل أسقي الحمى وهل يسألن عني الحمى كيف حاليا

ولضرية بركة وآبار كبيرة ونخل وبها بئر يقال لها الطماسنيه لا يعلم لهم منها
الماء وبه قلة في اختلاف سنها ابنها الطيبة

ثم جديلة

عن علي بن محمد الهاشمي عن أبيه أن أبرقا جون من جديلة على أربعة عشر ميلا وفيها أجلا
بجفان الطريق كان عليها حجر أبرامي كالفرس الكندي الشاعر وهو أن
ملكا فقتله ... أسد بنزلة الموضع ومن ضرية إلى جديلة اثنان وثلاثون
ميلا وقبل جديلة بخمسة أميال موضع يقال له أسود العين فيه أمار
غربيه البئر

ثم فلجة

أخبرنا ابن
سعيد بن المؤمل عن أبيه أن فلجة لبني الطائفي منزل حرقا صاحبة
ذي الرمة مروا بأهلها منصرفين من الحج فوقفوا على حرقا وهم لا يعرفونها
فالتمسوا الماء قالوا أمن بني عدي الرباب قالت زعمت ذي الرمة قالوا
نعم فالتمس من الحج انصرفتم قالوا نعم قالت فهل تركتم منسكا فقالوا علينا
من مناسك الحج قالوا وما هو قالت أوما سمعتم ذا الرمة يقول

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقا واضعة اللثام

قالوا وأنك لهي فقالت نعم فلما جاوا عنها ومن جديلة إلى فلجة

ملاحيق :

(١) أصول مراجع ترجمة ابن الكوفي مرتبة على الأزمنة :

الفهرست ص ٧٩

رجال النجاشي ص ٩ و٦٤

الرجال للطوسي ورقة ١١٥ ب من نسختي الخطيـة ، وطبعة النجف ص ٤٨٠

تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٨١

المنتظم ج ٦ ص ٣٩١

معجم الادباء ج ١٤ ص ١٥٣ ـ ١٥٦

انباه الرواه ج ٢ ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦ وتراجع ج ٣ ص ١٣١ و١٦١

سير النبلاء ج ١٠ ورقة ١٤٠ أنسخة المجمع العلمي العربي بدمشق .

العبر ج ١ ق ٢ ورقة ١٤٩ ب نسخة المجمع المذكور ـ أيضاً .

الوافي بالوفيات ج ٢٢ ورقة ٢٩ أنسخة المجمع نفسه .

عيون التواريخ ج ١٢ ورقة ١٠٤ ب نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق .

بغية الوعاة ص ٣٥٠

منهج المقال ص ٢٢٧

تلخيص الأقوال في تحقيق أحوال الرجال ورقة ١٨٦ أ من نسختي الخطيـة .

نقد الرجال ص ٢٤٢

شذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٩

جامع الرواة ج ١ ص ٥٩٨

مجمع الرجال « باب العين » نسخة الشيخ أقا بزرگ الخطية

الوجيزة ص ١٨٩

رياض العلماء « باب العين » ص٤٧٩ من نسخة المدرسة المحسنية بالشام .

شرح الرجال « باب العين » ، وص٩١ من نسخة المدرسة المذكورة .

منتهى المقال ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣ ، وص ٣٦

العدة ج ٢ ص ٣٤٣ من نسخة المدرسة المحسينية •
اتقان المقال ص ٢٠٩
تلخيص المقال ـ القسم الثالث في الحسان ـ « باب العين » •
ايضاح المكنون ج ٢ ص ٣٥١
هدية العارفين ج ١ ص ٦٨٠
تنقيح المقال ج ٣ ص ٣٠٤
تأسيس الشيعة ص ٨٢ ـ ٨٣ ، و ٣٤٥ ـ ٦
الكنى والالقاب ج ١ ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥
ريحانة الأدب ج ٥ ص ٣٥٧
مصفى المقال ص ٢٩٦
ازالة الحلك الدامس ص ١٤ « ترجمة ابن عبدون » •
الذريعة [مجلد الميم] « منازل مكة » •
نوابغ الرواة « باب العين » •
الاعلام ج ٥ ص ١٤٢ ـ ١٤٣
معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢١٣
ابن الكوفي / مجلة كلية الآداب ع ٣ ص ١٩ ـ ٤٦

(٢) زد على ما ذكرته فى فصل [الاعتماد على ابن الكوفي] ؛ فى سيرته ، المنشورة فى مجلة كلية الآداب / العدد ٣ ص ٣٧ ـ ٨

أ ـ جاء فى البصائر والذخائر ص ١١٠ : « ••• الخشاش ـ بفتح الخاء ـ المنكر ؛ كرأس الحية ، كذا قال الأموي ، فى (النوادر) بخط ابن الكوفي • وها هنا يريد جميع الدبيب••• والخشاش ـ بكسر الخاء ـ خشاش الناقة • هذا لفظ الأموي أيضاً•••»(٥٢)

---

(٥٢) تتبعات الاستاذ ناجي علي محفوظ

ب ـ وورد في معجم البلدان ج ٢ ص ٤٤٤ : « خشبان ـ في كتاب نصر ـ بضم الخاء المعجمة ، وبعده شين معجمة ، ثم باء موحدة ؛ بخط ابن الكوفي ؛ صاحب أبي العباس . احكم ضبط الاسم ، في قوله :

هــوت أمهم ماذا بهــم يوم صرّعــوا
بخشبــان من أسبــاب مجــد تصرّما

ج ـ وجاء في الورقة ٥٥ أ من كتاب (تنقيح الأبحاث للملل الثلاث) تأليف ابن كمونة ؛ المتوفى سنــة ٦٧٦ هـ / نسخــة خزانتي الخطية ، ذات العدد ٩٦٨ : « جبل فاران : هو بالحجاز كما ذكره بعضهم انه وجده بخط ابن الكوفي ، في كتاب منازل مكة » .

المراجــع

١ ـ المطبوعة :

اتقان المقال ـ الشيخ محمد طه نجف (النجف ١٣٤٠ هـ)

الاعلام ـ خيرالدين الزركلي / ج٥ (الطبعة الثانية)

انباه الرواه ـ القفطي (مصر ١٩٥٢ و ١٩٥٥)

ايضــاح المكنون في الذيل عــلى كشف الظنون ـ اسـمـاعيل باشـا البغدادي / ج٢ (استانبول ١٣٦٦ / ١٩٤٧)

البصائر والذخائر ـ أبو حيان التوحيدي / ج١ (بغداد ١٩٥٤)

بغية الوعاة ـ السيوطي (مصر ١٣٢٦ هـ)

تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي (مصر ١٣٤٩ هـ)

تأسيس الشيعة ـ السيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠ هـ)

تلخيص المقال ـ ابراهيم الدنبلي الخوئي (ايران ١٢٧٧ هـ)

تنقيح المقال ـ المامقاني (النجف ١٣٥٢ هـ)

جامع الرواة ـ الاردبيلي (ايران ١٣٣٤ ش)

خلاصة الاقوال ـ العلامة الحلي (ايران ١٣١٠ هـ)
الرجال ـ النجاشي (بمبي ١٣١٧ هـ)
الرجال ـ الطوسي (النجف ١٣٨١ هـ)
ريحانة الأدب ـ مدرس التبريزى (ايران ١٣٧٣ هـ)
شذرات الذهب ـ ابن العماد (مصر ١٣٥٠ هـ)
الفهرست ـ الطوسي (النجف ١٣٥٦ هـ)
الفهرست ـ ابن النديم (ليبزيك ١٨٧١)
الكنى والالقاب ـ الشيخ عباس القمي (صيدا ١٣٥٨ هـ)
مجلة كلية الآداب ـ كلية الآداب / ع٣ (بغداد ١٩٦١)
مصفى المقال ـ الشيخ اقا بزرگ (طهران ١٣٧٨ هـ)
معالم العلماء ـ ابن شهر اشوب (طهران ١٣٥٣ هـ)
معجم الادباء ـ ياقوت الحموي (مصر / طبعة دار المأمون)
معجم البلدان ـ ياقوت الحموى (ليبزيك ١٩٢٤)
معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة / ج٧ (دمشق ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩)
المنتظم ـ ابن الجوزى (حيدر آباد ١٣٥٧ هـ)
منتهى المقال ـ أبو علي (طهران ١٣٠٢ هـ)
منهج المقال ـ ميرزا محمد (طهران ١٣٠٧ هـ)
نقد الرجال ـ مصطفى التفرشي (طهران ١٣١٨ هـ)
هدية العارفين ـ اسماعيل باشا البغدادى (تركية ١٩٥١ ـ ٥)
الوجيزة ـ المجلسي (طهران ١٣١٢ هـ)

٢ ـ المخطوطة :

ازالة الحلك الدامس ـ اقابزرگ (نسخة خزانة اقا بزرگ بالنجف)
تلخيص الاقوال ـ ميرزا محمد الاسترابادى (نسخة خزانة الدكتور حسين علي محفوظ)

الذريعة / مجلد الميم ــ اقابزرگ (نسخة خزانة اقا بزرگ بالنجف)
الرجال ــ الشيخ الطوسي (نسخة خزانة الدكتور حسين علي محفوظ)
رياض العلماء ــ ميرزا عبدالله الافندى (نسخة خزانة المدرسة المحسنية بالشـــام)

سيرالنبلاء ــ الذهبي (نسخة المجمع العلمي العربي بدمشق «مصورة»)
شرح الرجال ــ السيد بحر العلوم (نسخة المدرسة المحسنية بالشـام ق ٧ ع ١٣٩)

العبر ــ الذهبي (نسخة المجمع العلمي العربي « مصورة »)
العدة ــ السيد محســن الاعرجي (نسخة المدرســة المحسنية بالشـام ق ٧ ع ١٤٠)

عيون التواريخ ــ ابن شـاكر الكتبي (نسخة المكتبة الظـاهرية / ع تاريخ ٤٨)

مجمع الرجال ــ القهپائي (نسخة خزانة اقا بزرگ بالنجف)
نوابغ الرواة ــ اقا بزرگ (نسخة الخزانة المذكورة)

الوافي بالوفيـات ــ الصفدي (نســخة خزانة المجمع العلمي العربي بدمشق « مصــورة ») (*)

(*) كان الظن أن الحق بهذه المقـالة ــ التى كنت ألقيت مادتهـا فى مؤتمر المستشرقين الدولى الخامس والعشرين صيف ١٩٦٠ ــ الفصل المطول (الذى أودعته تتبعاتى فى نسبـة الكتاب الى أبى عبدالله محمد بن أحمد الاسـدى ، أو غيره) وهو الذى وعدته قراء مجلة الاقلام « العدد / ٧ ص ١٤٠ » التى استطلعت رأيى فى مقالة الاخ الصـديق الجليل الشيخ محمد حسـن آل ياسـين ــ أدام الله تأييده ــ فكتبت « قصة المخطوط النادر » ص ١٣٥ ــ ١٤٠ التى سلختها من مباحثى هـذه انتساخا واقتضـابا ، ولكنى رأيت أن أرجىء ذلك الفصـل لبحث آخر (ان شاء الله) ، فقد كنت قدمت هـذه المقالة الى مجلة كلية الآداب من قبل .